شهداء المشرق

الجزء الأول

الاب البير ابونا

بغداد - ١٩٨٥

١

بأذن الرؤســـاء

القسم الاول

القديسون والشهداء في القرون الثلاثة الاولى ٣

المقدمة

انتشر رسل المسيح الحواريون في ارجاء المعمور، بعد ان امتلأوا من الروح القدس يوم العنصرة، وراحوا يبشرون بالمسيح الحي المنبعث، ويدعون الامم والشعوب الى الانضواء تحت راية الحق، والى نبذ الاضاليل وعبادة الاصنام التي كانت ضاربةً اطنابَها في المسكونة.

وكان الرب يسوع قد سبق وأنبأهم بالاضطهادات التي سيلاقونها من الذين يفضّلون الظلمة على النور والباطل على الحق: «سيكون لكم ضيق في العالم» (يوحنا ١٦/٣٣)، اذ «ليس تلميذ افضل من معلمه» (متى ١٠/٢٤)، «فاذا اضطهدوني، يضطهدونكم ايضا» (يوحنا ١٥/٢٠)، و«هاأنذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب» (متى ١٠/١٦). ولكنه شجّعهم ليؤدّوا الشهادة امام الحكام والملوك، والا يخافوا الذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون قتلَ النفس. وكما انه هو الرب غلبَ العالم بآلامه وموته وقيامته، كذلك وعدَ رسلَه بان يغلبوا العالم بشجاعتهم وشهادتهم للحق.

وسار الرسل على نهج معلمهم، وتعرّضوا للاضطهادات منذ بدء رسالتهم الى ان ختموها بدمائهم. الا ان شعلة الحق والقيم السامية لم تَخبُ بموتهم، بل تناولتها الاجيالُ المسيحية ورفعتها عالية ونقلتها وهّاجة الى الاجيال اللاحقة، دون ان تشوّه حقيقة الايمان القويم... وكان ثمنُ هذه الشجاعة باهظا، لانه كلّفَ المسيحية عشراتِ الالوف من الشهداء. ولكن دم هؤلاء الشهداء اصبحَ بذارا انبتَ عدداً أوفر من المسيحيين الجدد الذين واصلوا الجهاد ضد الباطل، ليس بالعنف والسلاح، بل بالحق والمحبة والصبر.

واذا كان لمنطقة الروم قديسوها وشهداؤها، فان البلاد الفارسية كانت مسرحا لأعنف الاضطهادات التي شهدتها المسيحية. فقد تضافر عِداءُ المجوس وحقدُ

اليهود وغطرسةُ الملوك وانصبَّ نارا ولهيبا على المسيحيين وحصدَ اعدادا غفيرة منهم بقساوة وهمجية قلما شهد التاريخ لها مثيلا، لاسيما ذلك الاضطهاد الرهيب الذي اثاره ضدهم الملك الفارسي شابور الثاني والذي دام نحو اربعين عاما وسمي بالاضطهاد الاربعيني (٣٣٩-٣٧٩).

وفي هذا المجلد الاول، نذكر بعضا من القديسين والشهداء الذين عاشوا منذ مطلع العهد المسيحي حتى نهاية الاضطهاد الاربعيني. وننوي مواصلة نشر سِيَرِ القديسين والشهداء الآخرين في مجلدات لاحقة، بعون الله.

لقد اعتمدنا «سير الشهداء والقديسين» التي نشرها الاب بولس بيجان بالكلدانية في عدة مجلدات، في باريس وليبسيك، في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والترجمة العربية الموجزة التي نشرها المثلث الرحمة المطران ادي شير بمجلدين تحت عنوان «شهداء المشرق» (الموصل ١٩٠٠-١٩٠٦). ولم نتوخَّ دراسة علمية اونقدية لهذه القصص، انما نرمي الى تقديمها لقرائنا الاحباء على بساطتها لتكون لهم غذاء روحيا وامثلة جليلة تحدوهم الى الشجاعة والاقدام والتمسك بالمبادىء السامية والقيم الروحية، مهما اقتضى ذلك من التضحيات.

واستخدمنا في عرض هذه السِيَر اسلوبا بسيطا وزوّدناها بهوامش ضرورية من شأنها ان تساعد القراء على تكوين فكرة اوضح عن الازمنة والامكنة التي عاش فيها هؤلاء الابطال الذين هم آباؤنا في الايمان.

وقسمنا هذا المجلد الاول الى قسمين كبيرين: يتناول الاول سِيَرَ القديسين والشهداء الذين عاشوا في القرون الثلاثة الاولى، ويتطرق الثاني الى سير الذين استشهدوا خلال الاضطهاد الاربعيني او بعده بمدة وجيزة.

ومن البديهي ان العناصر التي وردت في هذه القصص ليست جميعها تاريخية. فان هذه الكتابات التي ترقى نواتها الاولى الى ازمنة معاصرة للاحداث ذاتها، وقد كتب بعضا منها شهودُ عيان، امتزجت عبر الاجيال بقصص واساطير اضافتها اليها تقوى المسيحيين. الا ان هذه الاضافات ذاتها جاءت متناسقة مع الروح البطولية التي دفعت هؤلاء الصناديد الى استرخاص كل شيء في سبيل المسيح وللذود عن

الايمان والقيم السميا.

ونأمل ان تعود هذه «السِيَر» بالفائدة الروحية على قرائنا الاحباء، فترسخ فيهم الايمان وتذكي المحبة وتدفعهم الى الشجاعة والبطولة في مختلف ميادين الحياة، ولاسيما ابان الصعوبات والملمّات، وهم واثقون بان الذي قال: «ها انا معكم طوال الايام حتى انقضاء الدهر» سيرافقهم في مراحل الحياة كلها، الى ان يبلغ بهم الى مشاركته المجدَ مع جميع الشهداء والقديسين.

الاب البير ابونا

١ مار اِدّي الرسول

في السنـة الخـامسـة عشـرة من حكم طيبـاريـوس قيصـر(١)، اوشكت ان تنتهي السنـوات الثـلاث من حيـاة سيـدنـا يسـوع المسيح بين البشر، وقد انتشرت البشرى السـارة ليس بين اليهـود حسب، بل لدى الامم ايضا. وكان الناس يقصدونه وينالون منـه الحيـاة. وكان يبشرهم بالحياة العتيدة ليس بالكلام حسب، بل بالاعمال ايضا. فيعـودون الى بيـوتهم وقـد نالـوا الفـرجَ عن شدائـدهم ومغفـرةَ خطـايـاهم. وشرعوا يصوّرون صورة الرب باشكال مختلفة، كما أطلعَنا على ذلك أحدُ الصالحين وقال: «حينما ذهبتُ مرةً الى قيصرية فيلبس(٢)، رأيت هناك تمثالا للمسيح المخلِّص. أجل اني رأيت تمثـالا من نحـاس فوق صخـرة كبيرة على باب منزل تلك المرأة التي كُتب عنهـا في الانجيـل(٣) انهـا كانت منـزوفة منذ اثنتي عشرة سنة. انها كانت راكعة على ركبتيهـا وبـاسطـة يديها بهيئة التضرع، وكان امامها تمثال آخر من نحاس يمثّل رجلا لابسـا رداء وهـو يمـدُّ يده نحـو المرأة وكان هذا التمثال يشير الى المخلِّص، حسبما جاء في شهادة الذين نالوا المساعدة من الرب. فقد صوّروا صورته في اماكن مختلفة بأصباغ فاخرة ماتزال باقية الى اليوم.»

فانتشر خبر العجائب والاشفية التي كان المخلّص يصنعها حتى بلغ مسامعَ أبجر ملك الرها(٤) الذي كان مصابا بداء الملوك (النقرس) ويعاني آلاما شديدة. فلما بلغه

---

(١) - هو طيبـاريـوس الاول، ثاني امبـراطـور رومـاني. ولـد في روما سنة ٤٢ ق. م، واصبح امبراطورا سنة ١٤ م، وتوفي سنة ٣٧ م.

(٢) - هي بلدة بانيـاس السـوريـة الـواقعة قرب نبع الاردن على سفح جبل الشيخ، وفيها اعترف القديس بطرس بلاهوت المسيح (انظر متى ١٦/١٦).

(٣) - متى ٩/٢٠ - ٢٢.

(٤) - هو ابجـر الخـامس اوكـاما (أي الاسود) ملك الرها (+ ٥٠ م). والرها مدينة تقع في حوض الفرات في تركيا وتسمى الآن «اورفة».

خبر العجائب التي كان المخلّص يجريها، ارسل اليه وفدا وحمّله رسالة فيها يلتمس منه ان يأتي ويَشفيَه. وجاء في الرسالة: «من ابجر اوكاما زعيم البلاد، الى يسوع المخلّص، السلام. لقد بلغني انك تطهّر البرص، وتخرج الارواح النجسة، وتطرد الشياطين، فظننت انك اله وابن الله، وقد اتيتَ لشفاء الخليقة. وانا مصاب بداء عضال، فأسألك ان تأتي اليّ وتشفيني من هذا المرض. كما اني سمعت ان اليهود مواطنيك يبغضونك وينوون الاساءة اليك. وان اردتَ، فان لي مدينة صغيرة تكفي لي ولك، فنحيا فيها بأمان.» وجاء الموفدون ودخلوا اورشليم في الثاني عشر من نيسان ووجدوا المسيح جالسا في بيت احد رؤساء كهنة اليهود. وتُليت الرسالة امامه. واذ لم يكن للرب مجال ليرسل اليه موفدين، ولم يرَ من المناسب ان تنتشر بشارته بين الأمم قبل قيامته، فلم يرسل اليه احدا، بل اكتفى بالرد عليه بالجواب التالي: «لقد كُتب عني: طوبى للذين لم يروني وآمنوا بي[٥]. فاني اريد ان اكمل عملَ مَن ارسلني. وبعد قيامتي وصعودي الى السماء سارسل اليك واحدا من تلاميذي ليشفي مرضك ويمنحك الحياة انت والذين معك، وتكون مدينتك مباركة ولا يتسلط العدو عليها».

ولدى وصول رسالة المسيح الى ابجر الملك، تلقاها بفرح عظيم. وروى له الموفدون الامور الخارقة التي كان المسيح يجريها في ارض اليهودية. فتعجب ابجر ودهش مما قيل له. ولكنه تحسر كثيرا لانه لم يستحق تلك المشاهدة. بيد ان رغبته الشديدة دفعته الى اختيار مصوّرين حاذقين وامرهم بأن يذهبوا مع موفديه ويرسموا صورة الرب ويأتوه بها ليفرح بها وكأنه بواسطتها يلتقي المسيح نفسه. ولما وصل المصوّرون مع موفدي الملك، عجزوا عن تصوير المسيح في بهائه البشري. واذ رأى الرب عجزهم وعلم ما في قلب ابجر من الرغبة الشديدة في مشاهدته، اخذ منديلا ووضعه على وجهه، فانطبعت فيه صورة وجهه المقدس. وجيء بالمنديل الى ابجر، فوضعه في كنيسة الرها وصار معينا للمساعدات.

وبعد صعود الرب، انتشر الرسل في انحاء العالم، فدفعت نعمةُ الله توما احدَ

(٥) - يوحنا ٢٠/ ٢٩.

الاثني عشر لكي يرسل الى مدينة الرها واحدا من الاثنين والسبعين تلميذا اسمه ادي وكان يرافق توما. ولما وصل ادي الى الرها. حلّ في بيت رجل يدعى «طوبانا» (سعيد)، وشرع يصنع العجائب. وسرعان ما انتشر خبره في المدينة كلها، وقيل لابجر الملك ان رسول يسوع قد قدم الى هنا. فاستدعى الملك طوبانا وقال له: «بلغني ان في بيتك رجلا قديرا، فأتِني به.» وفي الحال ذهب الرجل واتى بأدي، فمثل امام الملك ابجر الذي كان يحيط به جمع غفير. ولدى دخول ادي، شاهد الملك منظرا عجيبا على وجهه، فسجد امام ادي. اما العظماء الذين لم ينعموا بهذه المشاهدة، فقد اعتراهم الدهش الشديد من ان رجلا لابسا ثيابا رثة أثّر في الملك هذا التأثير كله، ولم يعلموا ان المسيح اظهر لابجر مجده في الرجل الذي اقبل عليه. فقال ادي للملك: «لماذا استدعيتني؟» قال له الملك: «بلغني انك تقوم بأمور عجيبة وتُجري قواتٍ خارقة، وعرفت انك تلميذ يسوع الذي كتب اليَّ في رسالته: اني بعد قيامتي سارسل اليك واحداً من تلاميذي. فقد اتيت اليّ الآن لكي تشفيني.» فقال له ادي: «ان تؤمنْ، تنَلْ مرامك. اذ ان كل شيء مستطاع لمن يؤمن». فقال له الملك: «اني آمنت به الى حد اني لولا خوفي من مملكة الرومان، لارسلت جيشا لأبيدَ اليهود الذين صلبوه.» فوضع ادي يده عليه وتعافى بقوة يسوع من جميع امراضه. وتعجب ابجر وانذهل أمام تلك الآية البيّنة التي جرت له بشفائه من داء الملوك. وشفى ادي ايضا احدَ عبيد الملك وآخرين عديدين من سكان المدينة.

ولما عاين الملك وعظماؤه الآيات التي صنعها ادي، شرعوا يقولون له: «اننا نلتمس منك ان تشرح لنا من هو يسوع، وماذا علّم، وماذا صنع؟» فقال ادي للملك: «ان الوقت الآن متأخر، واذا شئت ان اشرح لك ذلك، فادعُ عساكرك، وانا في الغد آتي واشرح لك قصة يسوع». وقبل الملك كلامه بفرح، واستدعى جميعَ اعيانه. وفي صباح الغد، جاء ادي وشرع يحدّثهم عن العناية الالهية وكيف ابدع الله الكون وخلق البشر، وكلّمهم عن الوعود التي ابرمها للاولين، وعن مجيء المسيح والعجائب التي صنعها وعن قيامته وصعوده الى السماء، وعن الموهبة التي منحها للانبياء والرسل لكي يبشروا الامم. وكان الملك يستحسن كلام الرسول، والروح القدس يؤيد تلك الاقوال بالعجائب.

وامر الملك بأن يُعطى ادي فضة وذهبا . فقال له ادي : «كيف نستطيع ان نأخذ ما ليس لنا؟ فاننا قد تركنا ما كان لنا ، إذ أوصانا الرب ان نكون بغير اكياس ولا حقائب ، وان نحمل الصليب على اكتافنا ونعلن بشارته في المسكونة كلها . »

وانضمَّتِ المدينةُ كلُها وجميع البلدان المحيطة بها الى الايمان المسيحي ، حتى ان منطقة مابين النهرين برمتها كادت تنضَمُّ الى الايمان الصحيح ، بسبب العجائب التي كانت تجري على يد مار أدّي . وكان الذين آمنوا يتنافسون في الفضيلة والاعمال الصالحة .

وشيَّدَ ادي كنيسة في الرها ، وزوّدها بكل المستلزمات ، ورسم كهنة وشمامسة في المدينة وما يجاورها . بعد ذلك غادر ادي هذا العالم بالسلام ، في يوم الخميس الموافق الرابع عشر من شهر ايار (؟) ، مختتما جهاده المجيد بالنصر والغلبة ، ودُفن في قبر كبير في الكنيسة ذاتها . وكان المؤمنون يتوافدون لزيارة ضريحه ويحتفلون بتذكاره كل سنة(٦) .

٢

مار أَجي الشهيد

من بين التلاميذ الذين تبعوا مار ادي الرسول كان أجي وفالوط وبرشلاما وبرسميا مع آخرين من رفاقهم . فقبلهم ادي معه في الخدمة واوصاهم بالتزام جانب العفاف المترتب على الذين يخدمون مذبح الله .

(٦) ـ ويقول ادي شير : «في هذه السنين الاخيرة ، وُجد تحت ردم كنيسة مار كوركيس في خارج كرمليس صندوق فيه ذخائر مار ادي الرسول . فنُقلت ووُضعت في الكنيسة التي في وسط القرية ، وبني لها هيكل فاخر على اسم القديس» (شهداء المشرق ١ ص ١٢) .

ـ وهناك مزارات اخرى اقيمت لاكرام هذا القديس ، منها مزار شهير يقع في الجبل القريب من قرية يردا الواقعة في شمال زاخو . ويحتفل اهل القرية حتى الآن بعيده الواقع في الأحد الخامس بعد عيد القيامة .

وقبل ان يغادر ادي هذا العالم، دعا أجي امام جماعة الكنيسة كلها واقامه خلفا له في تدبير الكنيسة. اما فالوط الذي كان شماسا، فقد اقامه كاهنا، واقام برشلاما شماسا. واوصاهم ادي قائلا: «احترسوا جيدا على الخدمة التي تقلّدتموها، ولا تتهاونوا في القيام بالصلاة الفرضية، ولا تكفّ انظارُ عقولكم عن الشخوص الى العلى، لئلا تزداد عثراتكم. انشدُوا الضالَّ من خرافكم، وافرحوا بالموجود، وضمّدوا الجريح، واحرسوا السمين، لأنكم ستؤدون حسابا عن قطيع المسيح. لا تنظروا الى المجد الزائل. فان الراعي الذي يتوخى اكرام رعيته، تسوء العلاقات بينه وبينها. وابذلوا جلّ اهتمامكم بالخراف الفتية، لان ملائكتهم ينظرون وجهَ الآب. لاتكونوا عثرة امام العميان، ولا تغلبنّكم افكارُ الشيطان الذميمة.»

وكان أجي قبل انضمامه الى ادي يصنع ثيابا حريرية وخوَذاً للملك. فتخلّى عن مهنته هذه وصار مدبراً ورئيسا للكنيسة خلفا لمعلمه. واخذ يمارس السلطة التي تلقاها من أدي، فيرسم كهنة ومدبّرين في بلاد ما بين النهرين كلها.

وبعد وفاة الملك ابجر، خلَفه احدُ ابنائه، ولم يسِرْ على نهج ابيه في طريق الخير والسلام. وفي احد الايام، ارسل الى أجي الذي كان جالسا في الكنيسة وقال له: «اصنع لي خوذة ذهبية، كما كنت تصنع لآبائي من قبل». فاجابه أجي: «اني لا اتخلّى عن خدمة المسيح التي عهد بها اليّ لأصنع خوذة الشر». ولما رأى الملك عدم اذعانه لأمره، ارسل فكسر ساقيه بينما كان جالسا في الكنيسة يعلّم الشعب. فتوفي اجي ودُفنَ داخل باب الكنيسة الاوسط، بين الرجال والنساء، وأقيم له حِدادٌ كبير في الكنيسة وفي المدينة كلها...

٣ مار ماري رسول المشرق

١ - تنصّر نصيبين وارزون

كان ادي قد اختار قبل وفاته واحدا من تلاميذه اسمه «ماري» يتحلّى بالفضيلة

وبمحبة الله . فوضع يده عليه (رسمه) وارسله الى بلاد المشرق، الى منطقة بابل[١]، لينشر هناك كلام الله والبشرى السارة.

فخرج مار ماري من الرها مبشرا حتى وصل الى مدينة نصيبين[٢] حيث اعلن كلام الحق وحطم الاصنام والانصاب وشيَّدَ الكنائس والاديرة واقام معلمين ومدارس. ومنها توجه الى ارزون[٣] مع الكاهن اناسيمس الذي رافقه من الرها ومع تلاميذه فيلبس وملكيشوع وأدّا وآخرين كثيرين. وارسل فيلبس الى قردو[٤]. ولما وصل الطوباوي الى ارزون، نصّر فيها كثيرين بالآيات المدهشة التي كان يصنعها. وكان ملك ارزون طريح الفراش يعاني من داء الملوك (النقرس). فلما سمع بالخوارق والاشفية التي تجري على يد الطوباوي، ذاب شوقا الى رؤيته، فارسل يستدعيه. وحينما جاء ومثل امامه، سُرَّ به الملك سرورا عظيما، ولاسيما لانه سجد امامه فرحاً. فسمع كلام الطوباوي، وازداد له اكراما لاجل لطفه ووداعته وبشاشته. لان مار ماري كان متواضعا جدا ولطيفا تجاه الجميع ولا أثَرَ فيه للغضب. فقال له الملك: «قل لي ما هي ديانتك؟ فقد ظننتك الهاً». فاجاب مار ماري وقال للملك: «حاشا، ياسيدي الملك، فاني لست الها، بل انا انسان وعبد للاله الحي. اما ديانتي فهي المسيحية. فانا اومن بالمسيح ابن الله الذي نزل في ملء الازمنة من السماء وأعاد العالم من الضلال الى معرفة الحق. فانا اعترف به، ياسيدي الملك، وباسمه اصنع هذه المعجزات، واعيد الضالين الى الايمان به». فقال له الملك: «افيستطيع اذن سيدُك، حسب قولك، إن يشفيني من هذا المرض الذي اعاني منه منذ أمدٍ طويل؟»

---

(١) ـ منطقة بابل هي المنطقة الواقعة جنوبي بغداد بالقرب من مدينة حلة العراقية.

(٢) ـ نصيبين مدينة في ما بين النهرين، تقع في تركيا بالقرب من الحدود السورية تجاه القامشلي. وكانت مركزا هاما للمسيحية وللآداب السريانية.

(٣) ـ ارزون بلدة تقع في اعالي دجلة على ضفته اليسرى، شرقي بلدة ميافارقين على منتصف الطريق بينها وبين مدينة سعرد في تركيا الحالية.

(٤) ـ قردو هي المنطقة التي تمتد على الشاطئ الايسر من نهر دجلة بجوار جزيرة ابن عمر في تركيا الحالية.

قال له الطوباوي: «ان تؤمن به تُستَجَبْ طلبتك». فجثا الملك امام الطوباوي والتمس منه قائلا: «انا اومن، ياسيدي، فساعدْني». فوضع الطوباوي يدَه على موضع الالم وقال: «باسم ربنا يسوع المسيح الذي صَلبه اليهود في اورشليم، قِفْ على رجليك». فشُفي الملك حالا، واقتبل العماد هو واهل بيته. ولما عاين سكانُ المدينة ان الملك نال الشفاء، دنوا هم ايضا من الطوباوي، فشفى عللهم ونصّر المدينة كلها وشيد فيها كنيسة واقام فيها كهنة وشمامسة.

٢ ـ تنصّر منطقة الزوابي واربيل

وخرج من هناك وجاء الى بيث زبدى[٥] حيث نصّر خلقا كثيرا. ثم غادر الموضع متوجها الى بلاد بيث عربايي[٦]، وهناك ايضا نصّر كثيرين. ومن هناك نزل الى اربيل[٧] واثور[٨]. وكان ملك اربيل مصابا بداء البرص، وكانت يده اليسرى شلاء. فلما دخل الطوباوي مار ماري الى اربيل لينشر فيها كلام الحياة، ثار سكان المدينة عليه وقالوا: «من اين اتانا هذا الرجل الذي يبطل آلهتنا؟» وسعوا به لدى الملك واخبروه بكل ما كان يجريه. فاضطرب الملك لدى سماعه هذا الكلام وامر باحضاره. فاسرعوا واتوا به الى الملك. فقال له الملك: «ما بالك تبطل الآلهة وتنادي باله واحد صلبه اليهود في عهد هيرودس، حسبما سمعنا؟» حينئذ قال مار ماري: «صحيح ماسمعت من ان اليهود قتلوه ودُفن. ولكنك لاتعلم ايها الملك انه قام من القبر وصعد بالمجد الى السماء وهو الآن جالس عن يمين الآب. والآن حينما تجري الآيات

(٥) ـ بيث زبدى هي المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى من نهر دجلة ازاء قردو.

(٦) ـ بيث عربايي هي الجزء الشمالي من بين النهرين وتقع بين الموصل ودجلة وخابور. وكان مركزها الكنسي مدينة نصيبين. وسميت كذلك لسكنى بعض القبائل العربية فيها.

(٧) ـ اربيل مدينة شهيرة في العراق تقع على نحو ٨٠ كم شرقي الموصل. وكانت مركز مقاطعة حدياب القديمة.

(٨) ـ آثور اسم عام كان يُطلَق على المنطقة التي تشمل الموصل الحالية واربيل وما فيهما من المقاطعات الكنسية والابرشيات.

باسمه على يدي، تتأكد من انه هو الاله الحق وحده ولا اله سواه». فقال له الملك: «وما الآيات التي يستطيع الهك ان يجريها؟» قال له الطوباوي مار ماري: «ليس عند الله امر عسير. وكل ما تلتمسه منه بايمان تنله». فقال له الملك: «ان ابرأتني من الداء الذي انا مصاب به، آمنت بالمسيح وبرسله». فقال الطوباوي للملك: «أمهلني قليلا.» ثم جثا على ركبتيه وصلى قائلا: «اتضرع اليك اللهم، يا ابا ربنا يسوع المسيح، ان تشفي عبدك هذا». ثم اخذ زيتا وماء ورسم عليهما علامة الصليب واعطاهما للملك الذي شرب منهما وتدهن بهما، فشفي على الفور وصار لحمه مثل لحم طفل صغير. وشفى مار ماري يده الشلاء ايضا.

وكان بين الشهود هناك قائد اسمه «زرادش». فما ان عاين ان سيده الملك قد شفي، حتى رفع صوته وقال للطوباوي: «تباركَ سيدك الذي ارسلك الينا لتشفي امراضنا، وتباركَ المسيح الذي تنادي به، وتبارك مجده فوق كل الخلائق. فليكن مسجودا في السماء والارض الى الابد». ثمّ احنى رأسه امام الطوباوي وناشده وقال له ان له ابنا وحيدا رائع الجمال إسمه «داواي» تعذبه روح نجسة قد استحوذت عليه، مما يضطرهم الى تقييده بسلسلتين، والتمس شفاءه منه. فقال له ماري: «اذهب واتني به الى ههنا، فترى محبة سيدي المسيح له. «ولما مثل الصبي امامه، صرخ صرخة عظيمة وازبد، وصرعه الشيطان حتى اضحى كالميت. فدنا منه مار ماري وقال لذاك الشيطان: «لك اقول ايها الشيطان اللعين، باسم يسوع المسيح الذي قضى على سلطتك: اخرجْ من خليقة الله دون ان تمسَّها بأذى». فصرخ الشيطان الرجيم وقال: «الى اين تأمرني بأن اذهب؟» فقال له الطوباوي: «اذهب انت وزمرتك الى اسافل الجحيم». فخرج الشيطان اللعين وصار مثل عاصفة ظلماء وتلاشى. فنهض الصبي واخذ يسبِّح الله ووقع على قدمي مار ماري واخذ يقبّلهما.

وفي ذلك اليوم، اعتمد الملك مع جميع ذويه، وكذلك زرادش وابنه وجميع اقاربهم وامناء الملك واعيانه. ولما عاين احد احبار الملك ما صنعه مار ماري من الآيات البيّنات، آمن بالمسيح هو واهل بيته وحطّم الاصنام التي كان يعبدها ورمى

بحطامها في الزاب الكبير. وهكذا اعاد مار ماري منطقة آثور ونينوى كلها الى الايمان القويم.

وانحدر الطوباوي مار ماري من الزاب الكبير ودخل قرية تدعى «بروجية» واقعة على الضفة الاخرى من الزوابي نحو منطقة اربيل، ومنها ذهب الى قرية اخرى تدعى «رعمسيس» تقع في الجهة الشرقية، ثم الى قرية اخرى اسمها «وازيق» واقعة في جهتها السفلى.

٣ ـ تنصّر داسان وزوزان وكاوار

بينما كان الطوباوي يطوف في منطقة اربيل وهو يعلن البشرى السارة، ظهر له الرب ذاتَ ليلة وقال له: «ارسلْ تلميذك طوميس الى بلاد داسان ليذهب ويعيد سكانها عن ضلالهم، فان تلك البلاد ومعتقداتها ذميمة جدا. فمنهم من يسجدون للاشجار، وغيره للحجارة والينابيع، حتى انهم يحرقون ابناءهم وبناتِهم، شأن ما كان يفعله اهلُ آثور واربيل. فرسم مار ماري تلميذَه طوميس وارسله الى بلاد داسان وزوزان[٩] وحتى الى ارمينية الخارجية (الصغرى) والى بلدان مادي[١٠]. وهناك استشهد الطوباوي طوميس في سبيل المسيح، في بلاد كاوار، في الساعة الثالثة من الاول من شهر تموز الموافق يوم الجمعة.

٤ ـ تنصّر شهرقرد في بيث جرماي

حينما دخل مار ماري الى قرية «بروجية»، تلمذَ هناك رئيسَ القرية الذي كان قد سمع بتنصّر الملك واعيانه، فآمن هو ايضا واعتمد مع اهل البلدة كلهم. ثم اجتاز مار ماري الى قريتي رعمسيس ووازيق وتلمذ سكانهما وفتح عيون رجلين اعميين من كبار القوم. واقام هناك كنائس على اسم الرسل بطرس وبولس وأدّي.

---

(٩) ـ داسان منطقة جبال كارا تقع غربي الزاب الكبير وجنوبي بلدة العمادية. وزوزان مقاطعة في داسان.

(١٠) ـ هي بلاد الماديين الواقعة بجوار همدان في ايران الحالية.

ومن هناك ذهب الطوباوي الى بيث جرماي[١١] بلد الظلام والضلال . ودخل اولا الى مدينة شهرقرد[١٢] ، وكان فيها ملك وثني قاسٍ رهيب ، ولدى مجيء الطوباوي اليها ، كان الاهلون يسجدون لشجرة يسكنها الشيطان ويقربون الذبائح لصنم نحاسي . ولم يكن للملك ولد ، بل ابنة وحيدة اسمها «افراطيا» عزيزة عليه جدا . ولكنها كانت مصابة بشلل كلّي يتعذّر عليها السير او العمل . فوصل مار ماري والذين معه وحلوا عند قصر الملك . فدنا من القصر وقرعَ الباب . فاجابته الصبية من الداخل وقالت له : «من انت ؟» قال لها مار ماري : «افتحي لنا الباب ، يا ابنتي ، وخذي منا هذا الطحين واعجنيه واخبزيه لنا رغيفا ، فيكون لك اجر ، لاننا قادمون من بعيد ولم نستطع شراء خبز في هذه المدينة .» فقالت له الفتاة : «لااستطيع ان اقوم وافتح لك الباب ، لاني كسيحة اليدين والرجلين ، وقد خرج اهلُ الدار كلهم ليقرّبوا الذبائح للآلهة» . فاجابها الطوباوي : «باسم ربنا يسوع المسيح لتتشددْ جميعُ اعضائك» . وما ان نطق الطوباوي بهذه الكلمات ، حتى بارحها داؤها . فقامت حالا وفتحت الباب بفرح ودهشة . ثم قالت له : «وما العمل ايها الرجل الصالح ؟ فان قانون مَلكنا ومملكتنا يقضي بعدم إضرام النار في هذه الايام الثلاثة المخصّصة بعبادة الآلهة . ومن تجاسر وخالف هذا الامر ، يُحرق هو وكل ما له» . فقال لها الطوباوي : «لا تخافي ، فما من احد يستطيع احراقكم بالنار» . وما ان قال لها ذلك ، حتى اخذت منه الطحين واوقدت نارا وشرعت تُهيئ الخبز . فارتفع الدخان فوق سطوح المدينة ، ورآه القائمون على تنفيذ امر الملك ، فاتوا وتعقبوا الامر وعرفوا انه صادر عن بيت الملك .

فجاؤوا الى الملك وهمّوا باطلاعه على الامر ، ولكنهم خافوا . ولما رأى الملك ارتباكهم ، قال لهم : «ما شأنكم ؟» فقالوا له : «ايها الملك ، ها ان الدخان يتصاعد من دارك كالأتون» . فأُسقِط الملك في يده ، وهو يدري ان لا احد في الدار

---

(١١) ـ بيث جرماي (اوباجرمي) هي المنطقة الواقعة شرقي دجلة بين هذا النهر والزاب الصغير وجبال حمرين وديالى ، وكان مركزها الكنسي مدينة كرخ سلوخ (كركوك الحالية) .

(١٢) ـ تقع شهرقرد في منطقة بيث جرماي ، بين داقوق واربيل .

ما خلا ابنته افراطيا . فقام مرتعدا واقبل الى بيته مع عشرة من اعيانه . وما ان دخلوا الدار حتى توجهوا على الفور الى التنور . فرأوا ابنته التي لم تمش قط واقفةً عند التنور ، والطوباوي مار ماري جالسا هناك . فانذهل الملك في بادئ الامر ، ثم قال للطوباوي : «من انت ؟» فقال له مار ماري : «انا انسان عبد للاله الحي» . فقال له الملك : «ومن منح هذه الفتاة الشفاء واولاها هذه القوة التي عجزت آلهتنا عن اعطائها؟» فأجاب مار ماري وقال : «انما المسيح هو الذي منح ابنةَ الملك الشفاء» فقال له الملك : «ومن هذا المسيح الذي تتكلم عنه؟» قال له الطوباوي : «انه ابن الله العلي الحي ، خالق السماء والارض وجميع البرايا» . فقال له الملك : «ولِمَ لا تستطيع آلهتُنا ان تمنح الشفاء للمرضى ؟» فقال له الطوباوي : «لانها ليست آلهة ، بل اصناما يسكنها الشياطين الذين يُضلّون الناس لئلا يعرفوا الاله الحي الحق . » فغضب الملك اذ قال له الطوباوي انهم يسجدون للشياطين . وفي الحال ذهب بالطوباوي الى معبد الاصنام حيث كان اهل المدينة كلهم مجتمعين وقال له : «اذا كان الٰهك خيراً من هذه الالهة ، وانت تقول عنه انه لا يُرى وهو يسكن السماء ويُجري الآيات ، فادخلْ وأخرج الشيطان الذي ذكرته ، لكي اراه فأومن بالٰهك . » فاجاب الطوباوي وقال للملك : «أحق انك ستؤمن بالمسيح اذا اخرجتُ الشيطان؟» فقال له الملك : «اجل !» .

فأوعز الطوباوي الى تلميذه «أدّا» وقال له : «ادخلْ واطردْ هذا المضل اللعين الساكن في هذه الاصنام مع جميع رفاقه» . فدخل أدّا حسب امر مار ماري وقال لاولئك الشياطين : «هكذا يقول مار ماري رسول يسوع المسيح : لا يُسمَح لكم ، بكلمة الرب ، الا ان تخرجوا بشكل قبيح امام الجميع . » فخرج الشياطين بمختلف اشكال البهائم والدبيب القذر امام الملك والجمع الحاضر هناك ، وكانوا اثنين وسبعين شيطانا ، وهم يصرخون ويولولون : «أفٍّ منك يا ابن مريم ! لقد ملأتَ الارض كلها من تعليمك ، وتريد ان تطردنا حتى من البراري . فلا نعلم الى اين نمضي . » فانتهرهم ما ماري وقال : «باسم الرب آمركم بالا تُسمِعوا صوتكم ، بل امضوا الى نارجهنم المعدة لكم ولاتباعكم . » ولما سمع الملك ذلك ، اعتراه خوف

كبير ، فهرع وجثا عند قدمي مار ماري وقال له : «عظيم هو المسيح الهنا ، ولا اله لنا سواه !» واذ ذاك عمّد مار ماري الملكَ وسكانَ المدينة . وهدموا ذلك التنور الكائن في بيت الملك وجعله الطوباوي موضعا للعماد ، وبنى فوقه كنيسة .

٥ ـ تنصّر داراباد في بيت جرماي

من هناك توجه مار ماري الى بلاد داراباد(١٣) . وكان الموسم صيفا . فأعيا الطوباوي ومرافقوه من حر الطريق وشرعوا يبحثون عن موضع يأخذون فيه قسطا من الراحة . فوجد خارج القرية موضعا يدعى «كلالا» اي نبع الماء ، وحلوا هناك عند الماء . وكانت فوق النبع تينة يسجد لها اهلُ المكان ، وكانت جميلة المنظر ومليئة بالثمر ، ومن يتجاسر فيأكل من ثمارها ترجمه الشياطين الساكنة فيها . ولما خفت حرارة النهار ، صعد الطوباوي الى مرتفَع ليرى كم تبعد عنهم البلدة . فرأى هناك صبيا ابن اربع عشرة سنة صريعا مائتاً . فاقامه باسم الرب يسوع ، وسأله : «من الذي قتلك يا ابني ورمى بك في هذه البرية ؟» فاجابه الصبي : «اني دنوت من بيت الآلهة هذا لآكل من ثماره ، فهجمتْ عليّ قواته ورجمتْني بالحجارة وقتلْتني .» فالتفت الطوباوي الى تلك التينة وقال للشياطين : «يا ايها المتعندون ، لماذا تضلون البشر وتقتلونهم ؟ اني اقول لكم باسم كلمة الله الحية انه لايُسمح لكم من الآن بالمكوث في هذه الشجرة ولا في هذا الموضع .» ثم ارسلهم الى النيل ، ولعن تلك التينة ، فانقلعت من جذورها .

وقام الطوباوي من هناك ودنا من القرية وبات في ظاهرها . وفي تلك الليلة ، رفع الشياطين اصواتهم وقالوا : «لقد خربت كلالا ! وها نحن خارجون !» وبلغَت اصواتهم الى اهل القرية والى بيت الملك .

وفي صباح اليوم التالي ، ارسل الطوباوي تلميذه ادا ليشتري لهم خبزا من السوق . فذهب التلميذ وابطأ في العودة . فقام مار ماري ومرافقوه واتوا في اثره فألفوه جالسا امام باب الملك . فقال له انا سيمس احد تلاميذ الطوباوي : «ما بالك

---

(١٣) ـ داراباد اسم كان يُطلق على المنطقة المجاورة لشقلاوة الحالية في شمال العراق .

جالسا ههنا ؟ الا تهاب امر معلمنا ؟ فقد خرجتَ من الصباح الى الآن ولم تفكر في العودة ؟» فاجاب ادا وقال : «دعوني ، فقد دخلت السوق ولم اجد فيه خبزا ، فرأتني امرأة وقالت لي : هلم معي وخذ ما تريده . ودخلت هذا البيت ، وانا بانتظارها .» ولم يكد ينتهي من كلامه ، حتى خرجت امرأة ومعها خبز . وسألها الطوباوي : «لمن هذا القصر ؟» قالت له : «انه بيت ملكنا .»

وفي غضون ذلك ، رأوا عبيداً يسندون ابنة الملك ويطوفون بها من فناء الى آخر . فقال لهم مار ماري : «ما شأن هذه الصبية ؟» فاجاب العبيد : «انها مصابة بهذا الداء منذ سنين عديدة .» فأشفقَ عليها الطوباوي وقال لها : «لكِ اقول ايتها الصبية ، باسم يسوع المسيح الناصري ، قفي على رجليك .» وفي الحال تقوَّتْ قدماها وجميعُ اعضائها ، واتت مرتعدة وانطرحت على قدمي الطوباوي وشرعت تقبّلهما . وكان ابوها الملك آنذاك في الصيد . فانطلق اليه مبشّر يقول له : «الا تدري بالفرحة العظيمة التي صنعها الله لك اليوم ؟» فقال : «ماذا ؟» قال له : «اتانا رجل متوشح بزي سماوي وابرأ ابنتَكَ بكلمة واحدة .» فعاد الملك حالاً ، ورأى الطوباوي جالسا على الباب مع ابنته وجمع غفير . فامر الملك بان يدخل عنده ، وسأله : «من انت ؟ أإله انتَ ام انسان ؟» فاجابه الطوباوي : «اني لست الها ، يا سيدي الملك ، بل انا عبد للاله الحي .» فقال له الملك : «وما هو تعليمكم ؟ ولأية آلهة تسجدون حتى يتسنى لكم صنع مثل هذه المعجزات ؟» فقال له مار ماري : «نحن مسيحيون ، ونسجد للمسيح ابن الله ، وباسمه نصنع هذه الامور .» فامر الملك بان يأتوه بمرضى المدينة ، وسأل الطوباوي ان يجري الآيات امامه وامام وجهائه ، لكي يتأكد لديه الايمان بالمسيح . فاجتمع اليه المرضى والاصحاء والشعب كله ليعاينوا المعجزات التي تجري على يد الطوباوي باسم يسوع الناصري . فارسلهم الطوباوي جميعا الى بيوتهم معافين . وكانوا يصرخون امام الملك ويقولون : «ان الاله الذي يبشر به هذا لأعظمُ من جميع الآلهة وهو الاله الاوحد في السماء والارض .» وفي ذلك اليوم تنصر اهل المدينة كلهم مع الملك «اذار» .

٦ ـ تنصّر بلاد رادان

بعد ان ترك الطوباوي تلميذه «أدا» في بلاد داراباد ، توجّه هو ومرافقوه الى بلاد الفرس حيث نصَّرَ خلقا كثيرين. ولم تكن قد ابتدأت سلالة الفرس الاخيرة التي انتهت بمجيء اردشير[١٤] . فكان امراء كثيرون يحكمون بلدان بابل وفارس ومدنها . وكان الفرثيون[١٥] يسيطرون على البلاد البابلية . وقد حكم في بابل في ذلك العهد افراهاط بن افراهاط الفرثي ، وجعل مركز مملكته في ساليق وقطيسفون في بلاد الآراميين[١٦] ، وكانت بلادا مزدهرة جدا قبل ان يدمر الغزاة مدينة ساليق القديمة .

---

(١٤) ـ اردشير هو مؤسس السلالة الساسانية (+ ٢٤١) . قضى على الفرثيين سنة ٢٢٦ ، وجعل المزدكية دين الدولة .

(١٥) ـ الفرثيون شعب مزيج من السقيت والايرانيين . استقروا في الالف الاول قبل الميلاد في بلاد خراسان . ثم اسس احد زعمائهم وهو ارشاق امبراطورية كبيرة في القرن الثالث قبل الميلاد ، وحكموا البلاد اكثر من خمسة قرون ، الى ان اطاح بهم اردشير الساساني سنة ٢٢٦ .

(١٦) ـ بلاد الاراميين اوبيث ارامايي ، وتسمى بالفارسية سورستان ، هي المنطقة الوسطى الواقعة جنوبي بغداد بين نهري دجلة والفرات . وقد اصبحت فيما بعد مقاطعة كنسية تخضع مباشرة لسلطة الجاثليق في المداين . وسميت بهذا الاسم لكونها في عهود سابقة احد المراكز الهامة للقبائل الارامية التي تعاونت مع البابليين على الاشوريين ، ثم مع العيلاميين الفرس على البابليين .

وكانت ساليق عاصمة الملوك الساسانيين ، وهي على نحو ٣٠ كم جنوبي بغداد ، على الضفة اليمنى من نهر دجلة . وكانت تُدعى ايضا «ماحوزي» (اي المداين) ، وتسميها النصوص السريانية «مذيناثا اوترتين مذيناثا» . وتلقت ايضا اسما رسميا هو «فيه اردشير» ، وغالبا ما يقرن اسمها باسم قطيسفون الواقعة ازاءها على الضفة اليسرى من دجلة . وكانت في ساليق كنيسة «كوخي» (الاكواخ) التي اصبحت مركز كرسي جاثليق المشرق .

وبعد ان طاف الطوباوي في بلاد السريان ، نزل الى بلاد الآراميين ، وذهب اولا الى بلاد رادان[١٧] ، ودخل في بادئ الامر الى قرية اسمها «اباد» ، وتلمذ هناك شخصا رئيس البلاد يدعى «لقنا» ، وكان ذا اموال كثيرة ، فنصره هو واهل بيته . وبسببه انضمَّ الى الايمان بالله كثيرون من سكان المنطقة والقرى الواقعة فوق ساليق وقطيسفون وفي سائر قرى رادان . ويقال انه اقام في المنطقة ٣٦٥ كنيسة . وبعد ان ثبّت الرادانيين في عبادة الله واقام لهم كهنةً وشمامسة ، تبعه احد ابناء لقنا مع آخرين كثيرين .

٧ ـ تنصّر ساليق وقطيسفون

ثم انحدر الطوباوي ومرافقوه الى مدينة ساليق الواقعة على دجلة . واذ لم تكن المسيحية قد دخلت البلاد، لم يكن ثمة من يقبلهم في بيته، فاضطروا الى استئجار دار ليحلوا فيها . وكان سكان ساليق اشد الناس تعصبا للوثنية . وطاف الطوباوي في ساليق كلها دون ان يتلمذ احدا . فكان جل اهتمام اهل المدينة منصبا على الاكل والشرب والسكر . ولما رأى ان احدا لم يتبعه اذ كانوا سكارى في كل حين ولا يتسنى له التحدث اليهم عن الله ، كتب رسالة ووجهها الى الرسل رفاقه الى مدينة الرها في ما بين النهرين قال فيها : «ان الارض التي ارسلتموني اليها ارض الشر والشوك ، واهلها متكبرون قساة ، فلا استطيع ان ازرع فيهم بذار الحياة . فاسمحوا لي الآن بالعودة اليكم او بالذهاب الى بلد آخر» . فتشاور الرسل الذين كانوا مهتمين بخلاص سكان المدينة واتخذوا قرارا صائبا وكتبوا الى مار ماري قائلين : «لا يحق لك ان تأتي الى ههنا ولا ان تذهب الى مكان آخر ، الى ان ترتقي فوق تلك الجبال والآكام فتحتلها وتزرعها فتأتي بثمار وافرة» .

فحينما رأى الطوباوي ان لا مجال له للذهاب الى موضع آخر ، فكّر في انتهاج خطة سديدة . فكان في ساليق ثلاثة مجالس : الاول للشيوخ ، والثاني للشباب ، والثالث للصبيان . ففكر في التردد الى مجلس الشيوخ لعله بذلك يكتسب

(١٧) ـ رادان منطقة تقع شمالي بغداد ، بين نهري ديالى والعظيم . اما راداني فكانت اسقفية خاضعة لمقاطعة بيث جرماي .

نفوسهم . فذهب اليهم ، فاجلسوه في آخر المجلس وقالوا : «انه رجل غريب» . اما هو فكان يشاركهم الغناء والفرح كل يوم .

وبعد مدة وجيزة ، مرض رئيس المجلس واشتدت عليه وطأة الداء حتى اشرف على الموت . وكان اهل المدينة يتوافدون لزيارته ، والطوباوي ايضا يفعل مثلهم . وفي احدى الزيارات ، قال له الطوباوي : «اني اضع يدي علَيك باسم الاله الحق فتشفى» . واذ لم يكن بوسع الرجل ان يجيب بشيْ لكونه مدنفا ، وضع مار ماري عليه يدَه باسم الرب يسوع المسيح . وفي ذلك الوقت رأى الرجل المريض ان السماء قد انفتحت وان رجلا يشبه الطوباوي نزل وامسكه بيده واقامه . وشفي الرجل حالا وقام من فراشه . فحرضه مار ماري ليصير مسيحيا . فقال الرجل : «وما المسيحية ؟ اتريد ان تُدخلَ الهاً جديدا في العالم ؟» فقال له مار ماري : «ان الله ليس بجديد ، لانه موجود منذ البدء وباقٍ الى الابد ، وهو الذي خلق السماء والارض والبحار وما فيها . وهو لا يُفحَص ولا يُدرَك . والابن المولود من طبيعته ، والذي يفوق ادراك البشر هو شعاع الوهيته ، وقد ارسله الى العالم لكي يعلن الآب للناس . وبالروح القدس الواحد الذي نطق بالانبياء يكون الخلاص الابدي . والاقانيم الثلاثة متساوون في كل شيْ ، وقد خلقوا كل شيْ وهم قادرون على كل شيْ ويدينون الكل . هذا هو خلاص المسيحيين وباسمه نفعل كل شيْ ونشفي المرضى ونطرد الارواح الشريرة من البشر .» فآمن رئيس المجلس بكلام الطوباوي وتنصَّر هو واهل بيته ، فعمدهم الطوباوي باسم الآب والابن والروح القدس . وقام ذلك الرجل وذهب الى مجلسه مثل سابق عهده .

وبعد زمان قصير ، داهم المرضُ نائبَ رئيس المجلس ايضا حتى اشرف على الموت مثل رفيقه . فشفاه مار ماري بالطريقة نفسها التي بها شفى الرئيس ، ونصّره هو واهل بيته ، فعاد الى مجلسه حسب المعتاد . وجاء الطوباوي ايضا وجلس في موضعه مثل سابق عهده . فقال الرجلان اللذان تتلمذا احدهما للآخر : «ان هذا الرجل اله .» ثم روى الرئيس للمجلس كله ما جرى له وكيف شفاه هذا الرجل . وقال لنائبه : «اننا لقد شفينا بواسطته ، ولا يليق به المكان الاخير الذي يشغله .

ونخشى التعرض لغضب سكان ساليق ان نحن ادنيناه منا ، لانه رجل غريب . فليأخذ احد الخدم وسادةً ويضعها له بيني وبينك . » وفعلا كما قالا .

وبعد مدة ، بلغ دور مار ماري ليقيم لهم مأدبة . فقال له اللذان تنصرا : «انها نوبتك ، ففكر في ما تقدمه من الطعام حسب العادة الجارية عندنا . » فقال لهما مار ماري : «اخبروني بالامر قبل الوقت ، فاصنع لكم ما تشاؤون» . وكتب رسالة الى الرسل رفاقه، ووجهها اليهم الى الرها وقال فيها : «كما قلت لكم ، ان الارض التي ارسلتموني اليها ارض مليئة من الشوك ، ولا استطيع السير عليها ، وجبالها وآكامها عسيرة المنال . وقد اوعزتم اليّ في عدم المجيء اليكم او الذهاب الى موضع آخر ما لم استولِ على جبالها وآكامها وازرع فيها بذار الحياة وارسل منها ثمارا الى السماء . واذ رأيت ان لامجال الى القيام بذلك ، ذهبت واتكأت في مجلس الشيوخ ، وتصرفت مثلهم بالاكل والشرب . واني بقوة الله وبصلواتكم تلمذت اثنين من رؤساء المجلس . وقد جاء الآن دوري لاصنع لهم وليمة حسب عادتهم . فأرسلوا لي ما احتاجه من المال لافعل ذلك ، اذ لاشيءَ لي ههنا . » فلما سمع الرسل ذلك ، فرحوا فرحا عظيما ، وارسلوا له ما اراده من المال .

وفي اليوم المعيّن ، صنع مار ماري وليمة . وبعد ان اكل المجلس كله وشرب ، شرعوا يقولون عنه انه اله ، لانه يتميز في جميع تصرفاته . واذ ذاك قال لهم القديس : «لي كلمة اقولها لكم ، واذا شئتم فاسمعوني . » ثم دعاهم الى الديانة المسيحية . فقالوا له : «وما المسيحية؟ فاننا لم نسمع قط بهذا الاسم» . فشرع يقول لهم : آمنوا بالله الضابط الكل الذي صنع السماء والارض ، ولا اله سواه ، وبابنه يسوع المسيح الذي نزل من السماء وتجسد واعاد البشر اليه . وآمِنوا بالروح القدس الذي أولانا القدرةَ على صنع المعجزات وعلى شفاء رئيسي مجلسكم . ان الامور التي تسجدون لها ليست آلهة كما تظنون . فتوبوا من الضلال وآمِنوا بالاله الاحد الحق . اما النار التي تعبدونها فليست سوى احدى خلائق الله ، وهي صماء وليست باله . فقالوا له : «اين الهك ؟» فقال لهم : «ان الهي غير منظور ويسكن في مجد السماء ويفعل ما يشاء» . فاجابوه : «ان هذه النار الهنا ، وهي منيرة ومحرقة ،

وهي ترانا ونحن نراها . فاننا لا نريد عبادة ما لا نراه» . فقال لهم الطوباوي : «اني استطيع بقوة الهي غير المنظور ان اقضي على الهتكم هذه دون ان تمسني بأذى ، فتعلمون انها ليست الهة ، بما انها تموت على يد انسان بسيط . فلا تتكلوا عليها اذن . » قالوا له : «لعلك تقوم وترجمها بحجارة ؟ ام انك تغطيها بالتراب والماء ؟ فان كنت تخمدها هكذا ، فنحن ايضا قادرون على ذلك . ولكن ان كان الهك اقوى منها ، فقدّم برهانا على ذلك ، وادخلْ في لهيبها . فاذا قضيت عليها ولم تحترق ، عرفنا ان الهك اعظم واقوى منها» .

فرضي القديس الصنديد بشرطهم متكلا على سيده . وفي اليوم التالي ، اجتمعوا في ساحة المدينة ، واوقدوا لهيبا عظيما وطلبوا منه ان يدخل فيه . فرسم القديس علامة الصليب على ذاته وعلى النار ، ثم دخلها وخرج منها دون ان يصاب بأذى . فانقسمت الآراء حول الامر : فمنهم من نسب ذلك الى قوة الهية ، ومنهم من قال ان النار لم تكن متأججة على ما يرام . وللقضاء على شكوكهم ، رضي القديس بان يدخلها ثانية . ففي اليوم الثاني ، اضرموا النار بشدة ، ودخلها القديس بعد ان رسم اشارة الصليب وشرع يطفئها . فالتمسوا منه الا يطفئها ، بل ان يمكث فيها الى ان تنطفئ بذاتها . ففعل حتى خمدت وانطفأت تماما وخرج منها دون ان يُصاب بأذى . ولما عاينوا قوة الله ، آمنوا بالله واقتبلوا العماد .

وفي صباح اليوم التالي ، خرج الملك وجلس في الموضع المهيأ له . فوافاه جمع غفير ، وشرع منهم يذمون القديس ، وغيرهم يكيلون له الثناء . فقال الملك للوشاة : «ماذا تريدون ؟» اجابوه : «ان تسلمه الينا لنقتله ، او ان تطرده من بلادنا ، وان لم تفعل ذلك ، فاننا نحن خدمة آلهتك وآلهة آبائك نغادر المدينة» . واذ رأى الملك ان معظم الشعب متحزب لاحبار الاصنام ، هدأهم بقوله : «اني فاعل كل ما تريدون . » وصرفهم من عنده . ثم قال للطوباوي والذين معه : «انا اعلم ، يا اخوتي ، ان سكان ساليق اناس اشرار وشرسون ، لاسيما الكهنة منهم ، فان لم يعاينوا المزيد من العجائب لن يطيعوني . فامضوا الآن واظهروا لهم قوة يسوع الذي تبشرون به . »

وما ان خرج الطوباوي من عند الملك ، حتى لقيه اعميان . فوضع يده على اعينهما ونالا الشفاء باسم يسوع الناصري . فآمنا به ، وتبعه كثيرون آخرون . وكان لحاكم المدينة ابنة ممسوسة يعذّبها الشيطان منذ مدة طويلة . فجاءه اناس اخبروه بامرها ، فذهب معهم اليها . وما ان وصل القديس الى بيتها ، حتى اخذ الشيطان يصرخ بلسان الصبية ويقول على مسمع من الجميع : «أف منكم يا عبيد المسيح ! فانكم تلاحقوننا في كل مكان ، في المدن والجبال والآكام والبراري» . ولما قال هذا ، صرع الصبية . فاقترب الطوباوي وصلى عليها ، وأعادها سالمة صحيحة الى والديها . اما الذين عاينوا هذه الاعجوبة ، فانطرحوا على قدمي الطوباوي وسجدوا له .

واستمر الطوباوي سنة كاملة يعلّم سكان ساليق ويصنع لهم شتى المعجزات . ثم طلب منهم موضعا ليقيم فيه مسجدا للاله الحي . فخايروه في الامر . فقال لهم : «اعطوني بيت الاصنام هذا الواقع خارج المدينة وادفع لكم ثمنه .» وكان بيت الاصنام يعود الى الملك افراهاط ويقوم على خدمته كهنة كثيرون ، وتُصرف لهم نفقات طائلة بذريعة ان الاصنام هي التي تأكل وتشرب . فذهب الطوباوي مع الملك ودخلا بيت الاصنام . فقال مار ماري للكهنة : «يا ايها الوقحون الكذابون ، كيف تأكل الاصنام التي انتم تدعونها آلهة ؟ الا تخجلون ؟ الا يكفيكم انكم تأكلون ما يُقدَّم لها حتى تقولوا ايضا انها آلهة ؟ كلا انها ليست آلهة كما تزعمون ، بل هي تماثيل من خشب ونحاس يتكلم فيها الشياطين .» فاغتاظ الكهنة وقالوا للطوباوي :

«ان كانت هذه صماء كما تقول ، فما قولك عن الشمس العظيمة ؟» فاجابهم الطوباوي : «ان الشمس ايضا خليقة الله الحي ، وقد وضعها لانارة العالم وللتمييز بين النهار والليل . والى اين تهرب في الليل اذا كانت الها ؟» وبعد كلام كثير ، اعطى الملك بيت الاصنام للطوباوي مع ما يحتويه من التماثيل . فاخذ الاصنام وسحقها ورمى بترابها في نهر دجلة . وهدم المعبد وشيد في موضعه كنيسة صغيرة واقام فيها كهنة وشمامسة ، واسس ايضا في الموضع ذاته مدرسةً وسلم ادارتها الى احد تلاميذه .

ولمـا رأى كهنة الاصنام ان معتقداتهم الذميمة تعَرضت للزوال في المدن والقرى ، اجتمعوا واجتازوا الى قطيسفون عند الملك ارطبان الذي كان يقيمُ في قطيسفون وكوخي[١٨] . ويقال ان الملك كان قاسيا جدا . وشرعوا يبكون امامه ويصرخون ويولولون ويقولون : «لقد جاءنا رجل ساحر ابطلَ آلهتنا ، وهويبشر باله واحد يسكن في السماء ولا يُرى . فاذا لم تهتم بديانة آبائك ، فانها ستتلاشى شيئا فشيئا . فان افراهاط الملك الفاسد آمن به حالا وطردنا من منطقته .» فلما سمع الملك ارطبان هذه الاقوال ، ارسل يستدعي الطوباوي من ساليق الى قطيسفون . ولما مثل امامه ، قال له الملك : «ما هذا الاضطراب والشقاق الذي زرعته في بلادنا ؟ فانك تبشر شعبنا بآلهة غريبة . فاذا تركتَ ديانتَك واعترفتَ بهذه الآلهة ، نلتَ مني اجزل الهدايا ، والا فستُقطع إنت ومن يعترف بالهك اربا اربا .» فقال له الطوباوي : «أيها الملك ، ان الاله الذي اعبده هو الذي سينقذني من عذاباتك ، فهو قادر ان يحيي ويميت ، وان يشفي كل مرض ووجع . فانه يطهّر البرص ، ويفتح عيون العميان ، ويخرج الشياطين ، وله السلطة على كل شيٍ .» فقال له الملك : «ان كان الامر كما قلت ، فأظهر ما تقوله بالاعمال . فان لي اختاً عزيزة عليّ جدا . فاذا استطعت ان تشفيها جعلتك شريكا في مملكتي .» فقال له الطوباوي : «سيُلبّى طلبُك اذا آمنت به بعد شفاء اختك .» فقال له الملك : «اني سأومن به .»

٨ ـ في اقامة كنيسة دير قنّي

رضي الطوباوي بالذهاب الى عند اخت الملك . فامر الملك الجند والخدام بمرافقته الى حيث كانت اخته . ولما وصل الطوباوي الى نهر يدعى الزابْ الاوسط ، لم يستطع عبوره ، لان القارب كان في الضفة الاخرى من النهر . فنادى صاحب القارب ان يأتيه به . ولكن الرجل قال انه لايستطيع القيام بذلك لان يديه ورجليه مجروحة فلا يتسنى له الامساك بالمجاذيف . وحينما سأله الطوباوي عن

(١٨) ـ هذه اشارة الى ان كوخي كانت في ذلك العهد جزءاً من قطيسفون ، قبل ان يغيّر نهر دجلة مجراه بين سنة ٧٩ ـ ١١٦ م فيفصلها عن قطيسفون ويضمها الى ساليق .

اسمه ؛ قال الرجل انه يسمى «دوستي» . فاوعز الطوباوي الى اناسيمس الكاهن ان يشفي الرجل . فشفاه حالا بكلمة واحدة ، واتى بالقارب وعبّر مار ماري والذين معه الى الجانب الآخر من النهر . وهناك تلمذه الطوباوي وشفاه من مرض آخر كان فيه . . .

وغادر الطوباوي المكان مع مرافقيه واتوا الى موضع يدعى «دير قُنّي»[١٩] ، نسبة الى «قني» اخت الملك . وقبل ان يدخل الموضع ، جثا وصلى الى المسيح قائلا : «اتضرع اليك ايها الرب يسوع المسيح ان تساعدني لكي انير هذه المنطقة المظلمة ، وهبْ ان يعرفك اولئك الذين لم يعرفوك قط ، وان يعلموا انك انت الاله الحق وحدك الذي تريد ان يرجع جميعُ الناس الى معرفة الحق . » واذا بصوت يقول له : «سيكون لك كما طلبت . فاني بواسطتك ساعيد كثيرين الى معرفة الحق . » فقام من صلاته حالا ودخل على «قني» وقد بشرها مرافقوه بالطبيب الماهر الذي ارسله اليها اخوها الملك . وما ان رآها الطوباوي ودهنها بزيت الصلاة ، حتى غادرها المرض وامتلأت غبطة برؤية الطوباوي ، وعمّ الفرح جميع الذين معها .

وما ان استعادت «قني» صحتها ، حتى كتبت بفرح الى اخيها تقول له : «ان الرجل القدير الذي ارسلته جلالتك اليّ شفى جميع امراضي ، والآن وقد تحررتُ من جميع العيوب التي كانت سبب خجلي ، فارجو ان تطلعني على رأيك . » وتلقى الملك ارطبان رسالة اخته بفرح عظيم وارسل يقول لها : «الآن وقد شفيتِ من امراضك ، هلمي اليّ مع رجل الله لكي افي له بوعودي ، فينال الاكرام مني ومن اهل البلاط اجمعين . »

وحينما تلقت «قني» امر الملك ، استعدت للرحيل مع الطوباوي والذين معه . وفي عشية يوم الرحيل ، تراءى الرب يسوع للطوباوي وقال له : «لا تدعْ قني ومن معها يغادرون المكان . فانه عتيد ان يصبح موضعا عظيما ومزدهرا ومدينة مزدحمة بالسكان فيه يتعظم اسمي القدوس . » وفي الصباح ، جاء الطوباوي الى قني

---

(١٩) ـ يقع دير قني ـ ويسمى ايضا دير مار ماري ـ في الجانب الشرقي من دجلة على نحو ٩٠ كم جنوبي بغداد ، وتشاهد اليوم اطلاله شمالي العزيزية الحالية ويسمى «تلول الدير» .

واطلعها على امر الرب بشأنها . فسمعت امر الرب ولم تذهب . واقتبلت العماد هي والذين معها في ذلك الموضع نفسه ، ثم قالت للطوباوي : «بماذا يمكنني ان اكافئك على كل ما انعمتَ به عليّ ؟» قال لها ماري : «ابنوا لي كنيسة للاله الحي . » وانحدر قليلا عن موضع سكنى قني ، ووجد على ضفة النهر معبدا للاصنام كانت قني ومن معها يقربون الذبائح فيه . هناك اراد ان يقيم هيكلا لله العلي لاسباب ثلاثة : اولا لكي يهدم معبد الاصنام ، ثانيا لكي يحول النهر من موضعه ، ثالثا لانه شاهد في الرؤيا ان الاقبال سيكون شديداً على ذلك الموضع . وكان له ما اراد : فبنوا هيكلا لله الحي بالقرب من دجلة ، وكان بناؤه عسيرا بالنظر الى رطوبة المكان . لذا فان كنيسة دير قني تضاهي كنيسة كوخى منزلة ، لان القديس هو الذي بناها .

٩ ـ تنصّر كشكر وميشان

وبعد ان بشر الطوباوي ساليق وبنى فيها كنيسة كوخي ، ذهب الى منطقة الزوابي[٢٠] حيث نصّر كثيرين . ودخل قرية تقع على ضفة دجلة تدعى «وارتان قرد» بالنسبة الى رئيسها وارتان الذي تلمذه مار ماري مع اهل بيته ورفاقه وكثيرين من اليهود . وبنى فيها كنائس واقام كهنة وشمامسة . وانحدر الى منطقة «شفلا» كلها . وبعد ان امضى سنين عديدة في منطقة الآراميين وهدى كثيرين من اليهود والوثنيين الى الايمان بالمسيح ، ذهب الى بلاد كشكر[٢١] ، وكان الطوباوي قد زارها سابقا حينما لم يرَ مجالا لنشر ايمان المسيح في ساليق . وكان اهل كشكر اناسا حكماء واذكياء . وما ان سمعوا منه كلام الحق حتى قبلوه بحماس . وكانوا يمتازون عن سائر سكان المنطقة بحدة ذكائهم وسداد حكمهم . فرافقه منهم كثيرون وناشدوه ان يتلمذ مدينة كشكر التي كان سكانها يسجدون لشيطان بهيئة نسر ولصنم يدعى

(٢٠) ـ الزوابي هي المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى من نهر دجلة ، بين ساليق وكشكر ، ودعيت هكذا لكونها مسقية بقنوات عديدة .

(٢١) ـ كشكرا وكسكر مدينة كانت تقع بالقرب من واسط مدينة الحجاج ، على نهر دجلة المندرس بين بغداد والبصرة .

«نيشار» . فصنع هناك آيات كثيرة ، حتى تنصر كاهن الصنم ذاته ونال العماد ، وصار سببا لهداية معظم سكان المدينة . فبنى الطوباوي هناك كنيسة .

وطاف في منطقة كشكر كلها مبشرا ، واقام فيها كنائس وكهنة وثبّت السكان في التعليم الصحيح . وهكذا فان تنصّر كشكر سابق لتنصر ساليق وبلاد الآراميين . لذا فيقال ان كرسي هذه البلاد اقدم من سائر الكراسي . ثم جاء الطوباوي بصحبة تلاميذه من كشكر الى ساليق ، وبعد ان تلمذها ، انحدر الى دير قني والى منطقة الزوابي وشفلا ، كما ذكرنا سابقا .

وبعد ان تلمذ جميع هذه البلدان وبنى فيها كنائس واقام فيها كهنة وشمامسة ، انتقل الى بلاد ميشان[٢٢] حيث عانى مشقات كثيرة ولم يجن فيها سوى فائدة زهيدة ، وقليلون هم الذين انضموا الى الديانة المسيحية ، لان اهل تلك المنطقة كانوا متوحشين اغبياء ومتعصبين لعبادة الاصنام واكثر الناس انغلاقا عن سماع التعليم الصحيح .

١٠ ـ تنصّر بلاد الاهواز والفرس

حينما رأى الطوباوي انه لايفيد شيئا هناك ، ترك ثمة تلميذه دانيال ليتفقد ويشجع المهتدين القلائل . اما هو فانتقل الى بلاد الاهواز[٢٣] والفرس[٢٤] . ولم يكن في ذلك العهد في منطقة الاهواز مدن وقرى كثيرة ، بل شوش[٢٥] وشوشتر[٢٦]

(٢٢) ـ ميشان او فرات ميسان هي المنطقة الواقعة في جوار البصرة الحالية ، وقد سميت ايضا في بعض المصادر القديمة «دستميسان» .

(٢٣) ـ بلاد الاهواز او الاحواز «بيث هوزايي» (خوزستان) هي المنطقة الواقعة شمالي الخليج العربي في ايران الحالية .

(٢٤) ـ بلاد فارس بالمعنى الحصري «بيث فارسايي» هي المقاطعة الواقعة شرقي الخليج العربي ، وكان مركزها مدينة «رواردشير» .

(٢٥) ـ شوش او سوس مدينة في منطقة خوزستان (عربستان) الايرانية ، وكانت عاصمة العيلاميين ثم الاخمينيين .

(٢٦) ـ شوشتر او تستر تقع في المنطقة ذاتها على نهر جرجر .

وقرى اخرى قليلة . اما كرخ ليدان[٢٧] وبيث لافاط[٢٨] فلم تكونا قد شُيِّدتا بعد . وكان في موضع كرخ ليدان قرية تدعى «ريدان» ، وعلى اسمها دعيت المدينة الجديدة «كرخ ليدان» . وكان في موضع بيث لافاط قرية تدعى «بيلابد» . وكان التجار الفرس يسكنون هذه المدن ، كما هو الشأن اليوم ، وكانوا منتشرين ايضا في منطقة فارس (بيث فارسايي) . وقد قادت الشؤون التجارية بعضا منهم الى المنطقة الغربية حيث تلقوا تعليم الحياة من الطوباوي أدّي الرسول . ولدى عودة هؤلاء التجار المؤمنين الهوزيين والفرس ، تلمذوا كثيرين في هذه البلدان . ولما وصل الطوباوي مارماري الى بلاد الاهواز ورأى فيها مؤمنين وسمع ايضا عن تنصر الفرس ، غمره فرح عميق اذ وجد قليلا من الحنطة بين الزؤان . فطاف في تلك البلدان ونصّر كثيرين .

ثم انحدر نحو البلدان السفلى حيث استنشق روائح مار توما الرسول . وهناك هدى اناسا كثيرين . وترك في تلك البلدان تلميذه ايوب . اما هو فعاد مع مرافقيه وصعد الى بلاد الاراميين واخذ يتردد في ساليق وقطيسفون وفي بلدان المشرق ، وهو يتفقد التلاميذ ويضيف تلاميذ آخرين الى الاولين ، بعد ان قضى على قوة الشيطان . وكان يفرح اذ يرى اولئك الذين كانوا يجهلون الله يترددون الآن كل يوم الى كنيسته ، والذين كانوا يضحّون باولادهم للشيطان يستسلمون الآن الى الله بكليتهم .

سبحان الله الذي ملأ الارض معرفة الحق بواسطة اناس بسطاء وسذّج ! فمن قال للمشرق بلاد السحر والتنجيم ان تخرّ ساجدة امام الاله الحي الحق ؟ ومن قال لبني نمرود الجبار ان يقدموا الشكر لله ويعترفوا به خالقا ، عوض البرج الذي بنوه ضد الله ؟

---

(٢٧) ـ كرخ ليدان تقع في منطقة خوزستان ايضا فوق مدينة شوش بالقرب من الاطلال المسماة «ايوان الكرخ» على نهر كرخا الذي استمد اسمه من المدينة .

(٢٨) ـ بيث لافاط اوبيلافاط هي المدينة التي دعيت فيما بعد «كوندي شابور» ، وتسمى اليوم اطلالها «شاهاباد» ، وهي تقع بين شوش وشوشتر ، وكانت مركز مقاطعة بيث هوزايي الكنسية .

١١ ـ وفاة مار ماري

وبعد ان امضى الطوباوي سنين عديدة في بلدان المشرق واقام فيها كنائس ونظّم شؤونها، اوصى بان يكون مدبر كنيسة كوخي هو الذي يترأس اساقفة المشرق، لان هذه المدينة هي الاقدم في تقبل التعليم الروحي. ثم انحدر من مدينتي ساليق وقطيسفون وجاء الى الكنيسة التي اسسها في دير قني. فدعا تلميذه فافا امام الجمع كله واقامه مدبرا خلفا له. وخاطب المجتمعين حوله وقال: «كما عاينتم تصرفي معكم، هكذا تصرفوا انتم ايضا، واسلكوا حسب الرتب والقوانين التي وضعها التلاميذ في اورشليم دون ان تحيدوا عنها قيد انملة. كونوا ساهرين على الخدمة التي تقلدتموها، وواظبوا على الصلاة بامانة ولا تصادقوا الضالين، لئلا تطالَبوا معهم بدم ربنا يسوع المسيح».

فاجاب فافا مع رفاقه وقالوا له: «يشهد المسيح الذي ارسلك الينا فعلّمتَنا الايمان الحق الذي نحياه الان، اننا سنعمل مثلما نسمع منك».

بعد هذا، غادر الطوباوي مار ماري هذا العالم وانتقل الى الحياة الابدية. ودُفن جثمانه المقدس في كنيسة دير قني قدام المذبح. ويجري الاحتفال بذكره الى الابد، حسب امر فافا الذي خلفه. وواصل فافا عمل الطوباوي واقام كهنة ومدبرين في بلاد المشرق كلها.

٤ مار شربيل الشهيد

في السنة الخامسة عشرة لمُلك ترايانس قيصر[1]، وهي السنة الثالثة لحكم الملك ابجر السابع، اي سنة ٤١٦ يونانية (١٠٥م)، وفي عهد حبرية شربيل

(١) تريانس (٥٣-١١٧م) امبراطور روماني من السلالة الانطونية. وسّع الامبراطورية الرومانية وتوغل شرقا في أرمينية والجزيرة العربية وما بين النهرين.

وبرسميا، اصدر ترايانس قيصر امرًا الى جميع حكام الولايات الخاضعة لسلطته بان يكثروا من تقديم الذبائح للآلهة في كل المدن العائدة اليهم، وبان يُلقى القبض على الذين يرفضون تقديم الذبائح وتُنزَل بهم اقسى العذابات ثم ان يقطع السيفُ رؤوسَهم. ولما بلغ الامر الى مدينة الرها، اقيم عيد كبير في يوم الثلاثاء الموافق الثامن من نيسان. فاجتمع اهل المدينة كلهم للاحتفال بالتقدمة الكبيرة التي اقيمت في وسط المدينة حيث جُمعت الآلهة كلها بأبهى زينتها، ومن بينها الالهان نابو وبيل. وكان الاحبار يقدّمون البخور والسكائب، وتُنحَر الاغنام والثيران وتفوح رائحة الشواء في ارجاء المدينة كلها وترافقها اصوات الغناء وقرع الطبول. وكان شربيل رئيس جميع الاحبار يتيه بجلال، لابسا افخر الحلل وواضعا تاجا ذهبيا على رأسه، وكان يصدر الاوامر كما يشاء. وكان الملك ابجر ابن الآلهة يترأس الشعب كله، والجميع يصغون الى شربيل الذي كان ادناهم من الآلهة، فينقل اليهم ما يدّعي سماعَه من تلك الآلهة.

وبينما كانت الامور تجري هكذا بامر الملك، دنا برسميا اسقف المسيحيين مع الكاهن تيردت والشماس شالولا من شربيل رئيس احبار الاوثان، وقال له: «ليطالبك المسيح رب السماء والارض بجميع هؤلاء الناس الذين تضلهم وتخدعهم وتبعدهم عن الاله الحق وتميل بهم الى الاصنام المخلوقة الباطلة التي تعجز عن القيام بشيء. انك لاتشفق حتى على نفسك المحرومة من الحياة الالهية الحقيقية وتقنع الشعب بان الاصنام الصماء تحدّثك، فتقرّب اذنك من كل منها وكأنها تخاطبك فتقول للشعب: ان الاله نابو يقول لي ان ابلغكم انه يحقق السلام في البلاد لاجل ذبائحكم وقرابينكم، وان بيل يقول انه يحقق الرخاء في ارضكم. ولا يعرف سامعوك انك بذلك تضلهم. فان لهذه الآلهة فماً ولا تنطق، وعيوناً ولا ترى بها. وانما انتم الذين تحملونها وهي لا تستطيع ان تحملكم، وانتم تقدمون لها الطعام وليست هي التي تقيتكم. والآن اسمعْ ما اقوله لك وانصحك به، واترك الاصنام المخلوقة واسجد لله الخالق ولابنه يسوع المسيح، ولا تشمئز من السجود له لكونه تجسّد وصار انسانا ومات على خشبة الصليب. فانما احتمل هذا كله لاجل خلاص البشر. فان الذي تجسد هو اله وابن الله ومساوٍ لأبيه في الازلية والطبيعة. وهو شعاع لا هوته

المسجود وظهور عظمته المجيدة. وهو كائن مع ابيه من الازل والى الابد، وهو ذراعه ويمينه وقوته وحكمته وبأسه. والروح المنبثق منه هو الذي يبرر ويقدس جميع الساجدين له. وهذا ما علمنا اياه فالوط الذي تعرفه وهو تلميذ ادي الرسول، وكان ابجر الملك السابق لهذا الذي يسجد الآن للاصنام يؤمن هو ايضا بالمسيح الملك. فلا يجوز للمسيحيين ان يسجدوا للمخلوق الذي ليس باله، كما تسجدون للاصنام التي صنعها البشر الذين هم ايضا مخلوقون. فاسمع كلماتي هذه التي هي ايمان الكنيسة. فانا اعلم ان هؤلاء الناس كلهم ينظرون اليك، واني لعلى يقين من ان كثيرين منهم سيحذون حذوك اذا اذعنت للايمان المسيحي».

فقال له شربيل: «لقد استعذبتُ كلامَك هذا وصار له ابلغ الوقع في قلبي. ولكني اعلم اني خسرت كل شيء فلا شفاء لي، وقدَ فقدت كل رجاء، فلماذا تتعبُ نفسك بشأن ميت لا رجاء في قيامته؟ فان الوثنية قد قتلتني واصبحت صريع الشيطان اذ امضيت حياتي كلها في تقديم القرابين والسكائب الباطلة».

ولما سمع الاسقف برسميا هذه الاقوال، وقع على قدميه وقال له: «ان للتائبين رجاء وللجرحى شفاء. وانا اضمن لك مراحم المسيح الذي يغفر لك كل ما اخطأتَ به اليه وسجودَك واكرامَك لخلائقه عوضا عنه. فانه الرؤوف الذي مات على الصليب ولا يرفض حنانَه على النفوس التي تلتجيء الى جودته. وما فعله للص اليميني يستطيع ان يفعله لك ولأمثالك ايضا». فقال له شربيل: «انك كالطبيب الماهر الذي يشارك الم المتضايقين. ونعما ما فعلت اذ اهتممت بي. اما اليوم فعيد عام للجميع ولا استطيع المجيء معك الى الكنيسة. فاذهب الآن انت وحدك، وسآتيك غدا في الليل. فاني قد كفرت بالآلهة المخلوقة، واعترف بالمسيح الرب خالق الناس اجمعين».

وبعد يوم، قام شربيل ونزل ليلا عند برسميا مع اخته باباي. فاستقبلته الكنيسة كلُها بابتهاج. وكان يقول لهم: «صلوا لاجلي ليغفر لي المسيح كل ما اقترفته من الاخطاء طوال هذه السنين». واذ كانوا خائفين من المضطهدين، بادروا الى منحه العماد وهو يعترف بالآب والابن والروح القدس. ولما شاع في المدينة كلها خبر نزول شربيل الى الكنيسة، استحوذ الهلع على كثيرين، فقاموا ونزلوا عنده، فالفوه

متوشحا زي المسيحيين. وقال لهم: «ليغفر لي المسيح الابن كل ما اخطأتُ به اليكم اذ خدعتُكم بان الآلهة تخاطبني وهي لم تفعل ذلك، واذ صرت لكم مثالا رديئا ساكون لكم من الان مثالا صالحا. وعوض سجودكم للاصنام المخلوقة، تسجدون من الان لله الخالق». ولما سمعوا ذلك، مكث عنده جمع غفير من الرجال والنساء. وكان بينهم لابووحفسي وبركلبا من اعيان المدينة، فقالوا له: «نحن ايضا نكفر بما كفرت به، ونعترف بالمسيح الملك الذي اعترفت به».

ولما سمع لوسانيا حاكم المدينة ما اقدم عليه شربيل، ارسل رجالا اختطفوه ليلا من الكنيسة. ولكن جمهورا غفيرا من المسيحيين تبعوه. فجلس الحاكم ليسمعه ويدينه في وسط المدينة، عند الموضع الذي فيه كان يقرّب الذبائح للآلهة.

فقال له الحاكم: لماذا جحدت الآلهة التي كنتَ تسجد لها وتقرّب لها الذبائح؟ لقد كنت عظيم احبارها، وها انك الان تعترف بالمسيح الذي كنت تكفر به سابقا. انظر كيف ان المسيحيين الذين انضممت اليهم لايكفرون بما هم متمسكون به، في حين انك تكفر بما تربيت عليه. فاذا كانت الآلهة صادقة، فكيف كفرت بها اليوم، وان لم تكن صادقة، كما تعتقد الآن، فكيف كنت تقرب لها الذبائح وتسجد لها؟

فاجابه شربيل: اذ كنتُ اعمى البصيرة، كنت اسجد لما لا اعرفه. اما اليوم، وقد استنارت عينا عقلي، فلا مجالَ من بعد الى التعثر بحجارة منحوتة او ان اكون سبب عثرة للآخرين. فانه لعار عظيم على البصير ان يسقط في حفرة مبيدة.

ح ـ لانك كنت حبرا امينا للآلهة الكريمة التي يسجد لها الملوك الاقوياء، فسأمهلك لكي تطيعني. والا فاني أقسمُ بالآلهة التي كفرتَ بها باني ساعذّبك مثل رجل قاتل وانتقم منك الغبنَ الذي الحقتَه بالآلهة اذ تمردتَ عليها وكفرتَ بها واهنتها.

ش ـ اني لست راضيا بان تنظر اليّ ساجداً للآلهة المخلوقة كما كنتُ في السابق. بل انظر اليّ اليوم واستجوبني كرجل مسيحي يجحد الاصنام ويعترف بالمسيح الملك.

ح - الا تخاف من الملوك؟ الا تخجل من الذين يسمعونك تقول انك مسيحي؟ فاعترف بانك تقرّب الذبائح للآلهة كسابق عهدك لكي يزداد اكرامك، والا فسأنكّل بسببك بجميع الذين آمنوا مثلك.

ش - اني اخاف من ملك الملوك وليس من ملك الارض ولا من التهديدات التي تطلقها ضد الساجدين للمسيح الذي اعترفتُ به البارحة، وها اني اليوم احاكَمُ بسببه، كما حوكم هولأجل الخطأة امثالي.

ح - انْ كنتَ لا تشفق على نفسك، فاني أُشفق عليك فلا اقطع يديك اللتين بهما وضعت البخور للآلهة واسدّ بدمك اذنيك اللتين سمعتا اسرارها وابتر لسانك الذي شرح خفاياها. فاني اشفق عليك خوفا من الآلهة. ولكنك اذا اصررت على موقفك، فان الآلهة ذاتها تكون لي شاهدة لكي لا اشفق عليك.

ش - لاتشفقْ عليّ كرجل يخاف من الملوك ويضطرب من الآلهة. فلستُ ادري ما تقوله ولم يضطرب عقلي ويفزع من تهديداتك. فبدينونتك ينجومن الدينونة العتيدة جميعُ الذين لايسجدون لِما في طبيعته ليس الٰها.

. . . . . اذ ذاك امر الحاكم بان يُجلَد شربيل بالسياط لكونه تجاسر وردَّ عليه وقاوم امر الملوك ولم يُقمْ وزنا للاكرام الذي اولتْه اياه الآلهةُ التي جحدها. فجلَدَه عشرةُ رجال كانوا قابضين عليه، حسب امر الحاكم.

ش - الا تشعر بعذاب عدالة العالم العَتيد؟ فانت تزول واحكامك تحول. اما العدالة فلن تزول ونقماتُها لن تحول.

ح - انت سكران بالمسيحية الى حد انك لا تعرف الذين يدينونك ويعذّبونك؟ انهم اولئك الذين كانوا من قبل يسجدون امامك بسبب خدمتك للآلهة. فلماذا ابغضتَ الاكرام وفضّلتَ هذا الهوان؟ واذا كنتَ تتكلم دون قانون، فانا لا استطيع ان اخالف قوانين الملوك.

ش - كما انك تحذر من مخالفة قوانين الملوك، وانت عالم بما ينتظرك إن خالفتَها، كذلك انا احذر الانحراف عن شريعة ذاك الذي قال: «لا تسجدْ لكل صنم

وتمثال». لذا فاني لا اضحي للاصنام المخلوقة. كفاني ما قدمتُه لها في عهد غباوتي.

ح ـ لا تضفْ حكما على حكمك. كفى قولك انك لا تضحّي، فلا تتجاسر وتُهن الآلهة اذ تدعو اصناما مخلوقة تلك التي يكرمها الملوك انفسُهم.

ش ـ لو امرتَني بالتضحية للملوك البعيدين الذين لا يشعرون بالذين يخالفون اوامرهم، لهان الامر. ولكنك كيف تقول لي ان اضحّي للاصنام القريبة والمنظورة ولكنها لا ترى؟ وبهذا برهنت امام حاشيتك كلها ان لها فماً ولا تنطق، انما انت الذي تتكلم عوضها. فمثلها يكون صانعوها وكل المتّكلين عليها من امثالك.

ح ـ اني لم أستدعِك لتُهينَ الملوك والآلهة بدل ان تكرمهم. فاقترب وضحِّ وأشفقْ على نفسك، يا مهينَ ذاته.

ش ـ ما الحاجة الى اسئلة كثيرة وقد قلتُ لك اني لا اضحّي. اما انك دعوتني «مهين ذاته»، فيا ليتني من صغري كنت على هذا الرأي واهنت نفسي التائهة في الضلال.

فامر الحاكم بان يعلّقوه ويجردوا جنبه بامشاط حديدية. وفي وسط هذا العذاب الاليم كان شربيل يصرخ ويقول: «عوض المسيح الذي اضاء نوره في ظلمة عقلي». ثم امر الحاكم بان يجردوا وجهه ايضا.

ش ـ لأن تعذبني انت لكوني لا اضّحي للآلهة خيرٌ لي من ان أُدانَ في الآخرة على اني كنت اضحّي لصنع ايادي البشر.

فاصدر الحاكم امرهَ بان تلوى قامته الى الوراء وان تُشدَّ يداه ورجلاه وان يُجلَدَ على بطنه. فنفذوا امر الحاكم. ثم امر بالقائه في زنزانة مظلمة من السجن. فحمله الجلادون والمسيحيون الذين اتوا معه من الكنيسة، اذ لم يكن بوسعه السير على قدميه من شدة العذاب. وظل في السجن اياما طويلة. وفي الثلاثاء ٢ ايلول، قام الحاكم ونزل الى محكمته ليلا مع حاشيته. وامرَ حارسَ السجن باحضار شربيل امامه.

ح ـ بعد هذه المدة التي امضيتَها في السجن، ما رأيك بشأن ما سألتُكَ عنه؟ اترضى بان تخدم الآلهة حسب عادتك القديمة بمقتضى امر الملوك؟

ش ـ لقد قرّ رأيي في السجن على ان أمضي حتى النهاية في ما بدأته امامك دون ان اخالف كلامي. فاني لن اعترف ثانية بالاصنام التي كفرتُ بها، ولن اكفر بالمسيح الملك الذي اعترفت به.

فامر الحاكم بان يُعَلَّق من يده اليمنى التي حبسَها عن تقديم البخور للآلهة، الى ان تنخلع اليد التي بها خدم الآلهة، لانه اصر على رأيه. وبينما كان معلقا بيده، سألوه هل يرضى بالتضحية للآلهة؟ ولكنه لم يستطع الجواب لانخلاع ذراعه. فامر الحاكم بان يحلوه وينزلوه. ولم يكن بوسعه ان يعيد ذراعه الى جنبه، فطواها الجلادون قسرا.

ح ـ قدِّم البخور للآلهة، واذهبْ اينما شئت. فلا احدَ يضطرك الى ان تكون كاهنا والا فسأنزل بك عَذاباتٍ اشدَّ ضراوةً من السابقة.

ش ـ لتبدْ من تحت السماء تلك الآلهةُ التي لم تصنع السماء والارض. اما انت، فلا تتوقف عند الوعيد، بل أظهرْ تهديدَك بالفعل، لكي لا اسمع منك بعدُ اسمَ الآلهة الكاذبة.

فامر الحكم بان يُكوى جبينه وخداه بالنار كياً أليماً. ففعل الجلادون، حتى فاحت رائحة الكيّ في المحكمة. ولكن شربيل رفض التضحية للآلهة.

ش ـ لقد قلت لك انك لا تشعر برائحة شواء النار المعدّة للذين يعترفون مثلك بالآلهة المخلوقة ويكفرون مثلك بالاله الحي.

ح ـ من علّمك ان تقول هذا الكلام امامي؟ لقد كنتَ صديقَ الآلهة وعدوَّ المسيح، والان قد غدوتَ مدافعا عنه.

ش ـ ان المسيح الذي اعترفتُ به هو الذي علمني ان اقول ذلك. وهو لا يفتقر الى دفاعي عنه، لان مراحمه هي الشفيعة للخطأة امثالي وهي قادرة على ان تتشفع بي في يوم الحساب الاخير.

فأمر الحاكم بان يُعلَّق ويُجردَ على جراحه الاولى وان تكوى جروح جنبيه بالملح والخل، ثم قال له: لاتكفر بالآلهة التي كنت تعترف بها.

ش - معاذ الله ان اقول بعد الان ان ثمة آلهة وسلاطين واقدارا وطوالع . بل اني اعترف بالاله الاوحد الذي خلق السماء والارض والبحار وكل ما فيها ، وبابنه المسيح الملك .

ح - اني لم اسألك ان تشرح لي الديانة المسيحية التي اعترفت بها ، بل قلت لك الا تكفر بالآلهة التي كنتَ كاهنها .

ش - اين حكمتك وحكمة الملوك الذين تفتخر بهم وانتم تسجدون لما تنتجه ايادي الصناع وتعترفون به ، بينما تهينون هؤلاء الصناع بالضرائب والجزية التي تفرضونها عليهم؟ فالصانع يقف اجلالا لك ، وانت تقف اجلالا لصنع يده وتحترمه وتسجد له!

ح - لستَ المسؤول عن هذا ، بل انت تُسأل لماذا كفرتَ بالآلهة ولا تريد ان تقدم لها البخور شأن سائر الاحبار زملائك .

ش - ان الموت في سبيل المسيح حياةٌ حقيقية للمعترفين به . فهو ايضا سيعترف بهم امام ابيه المجيد .

فامر الحاكم بان يأتوا بمشاعل ويكووا وجهه وجنبه من جديد . ففعلوا ذلك مدة طويلة .

ش - يا لسعدي بان تحرقني بهذه النار لكي انجو من تلك النار التي لاتنطفىء والتي هي معدّة للساجدين للخلائق عوض الخالق . فلا يجوز للمسيحيين ان يؤدوا الاكرام والسجود لشيء آخر الا لله العلي . فعلى المصنوع والمخلوق ان يسجد لخالقه ، لا ان يكون مسجودا مع خالقه ، كما تعتقد .

ح - لم يأمرني الملوكُ بالتباحث معك في هذه الامور ، انما امروني بان اعامل بالسيف والعذابات الصارمة كلَّ من لايضحّي للآلهة ولا يقدّم لها البخور .

ش - ان ملوك هذا العالم لا يفكرون الا في هذا العالم . اما ملك الملوك فقد اظهر لنا ان هناك عالما آخر ودينونة مهيأة لمكافأة الذين عبدوا الله ولمعاقبة الذين لم يعبدوه ولم يعترفوا به . لذا فاني اعلن على الملأ اني لن اضحّي للاصنام من بعد ولن اقدم السكائب للشياطين ولن اكرم الابالسة .

فامر الملك بان تُدَقَّ اوتادٌ حديدية في جبين شربيل فيذهب الى العالم الذي ينتظره ونفّذ الجلادون الامر وسُمِعَ صوت ضرب الاوتاد التي كانت تُغرَز فيه بشدة.

ش ـ لقد غرزتَ اوتادا في جبيني كما غُرزتْ مساميرُ في يدي رب الخلائق المجيد، فارتجت حينذاك عناصر الطبيعة كلها. فان العذابات التي تنزلها بي هي كلا شيء ازاء تلك العتيدة ان تنزل بذوي الطرق الملتوية الذين لا يعترفون بالله ولا يفكرون في دينونته. لذا فهو ايضا لن يعترف بهم.

ح ـ انت تتكلم زاعما ان ثمة دينونة، وانا اريك اياها بالفعل. فعوض الدينونة العتيدة، خفْ وارتعدْ من الدينونة التي انت فيها الآن ولا تُكثر الكلامَ امامي.

ش ـ من شاء ان يضع الله امام عينيه سرا، كان الله عن يمينه. فانا لا اخاف من العذابات التي تهدّدني وتخيفني بها.

ح ـ ليخلِّصْك المسيح الذي اعترفتَ به من كل ما عذّبتُكَ وما سأُعذّبك به، وليُظهرْ خلاصه لك علنا ولينقذْك من يديَّ.

ش ـ ان الخلاص الحقيقي الذي عمله لي المسيح هو القوة الخفية التي اعطانيها لكي احتمل كل ما عذّبتَني وتنوي تعذيبي به. ومع انك رأيتَ ذلك فلا تريد ان تصدّق كلامي.

فامر الحاكم بان يخرج من امامه وان يُعلَّق على خشبة منكس الرأس ويُضرَب بالعصي. ففعل له الجلادون ذلك عند باب المحكمة، ثم امر الحاكم بادخاله عنده وقال له: «قدّم القرابين للآلهة وامتثل امر الملوك، يا ايها الكاهن الذي يكره الاكرام ويفضّل عليه الهوان».

ش ـ وما الجدوى من اعادة الكلام عليّ بتقديم الذبائح، بعد ان سمعتَ مني مرارا وتكرارا اني لن اضحّي ابدا؟ فليس المسيحيون هم الذين اضطروني الى اتخاذ هذا الموقف، بل حقهم هو الذي خلصني من ضلال الوثنية.

فامر الحاكم بوضعه داخل قفص حديدي كالقاتل وبضربه بالسياط كالمجرم. ففعل الجلادون ما امرهم به حتى لم يبقَ في شربيل موضعُ سليم.

ش ـ ان هذه العذابات التي تظنها مرة، تجري لي من مرارتها ينابيعُ الخلاص والمراحم في يوم الحساب الاخير.

فامر الحاكم بان توضَع اخشابٌ صغيرة مدوّرة بين اصابع يديه وان تُضغَطَ بشدة. ففعل المنفّذون ذلك حتى انفجر الدم تحت اظافره.

ش ـ ان لم تشبع عينُك من تعذيب الجسد، فأضِفْ الى ذلك ما شئت من العذابات.

فقال الحاكم للجلادين: حلّوا اصابع يديه، وأجلسوه على الارض، وشدّوا يديه على ركبتيه، وأدخلوا خشبة تحت ركبتيه تمتد على اربطة يديه، ثم علّقوه برجليه الملتويتين واجلدوه بالسياط. وامتثل الجلادون امره.

ش ـ ان الذين يقاومون الله لا يفلحون، وان الذين يتكلون عليه لا يخيبون. لذا فاني اقول: لا نارولا سيف، لا موت ولا حياة، لا علوولا عمق، لا شيء بوسعه ان يفصلني عن محبة الله بيسوع المسيح ربنا.

فقال الحاكم للجلادين: احموا كرىً من رصاص ونحاس وضعوها تحت ابطيه. ففعلوا حتى احترق جسمه وظهرت اضلاعه.

ش ـ ان عذاباتك أخفُّ من حنقك عليّ. الا ان غضبك قد تضاءل وعذاباتك قد ازدادت.

ح ـ انك لن تخدعني بهذه الاقوال. فان لي مجالا لكي افكر في عذابات اشد ضراوة انزلها بك لكونك لا تضحّي للآلهة التي كنت تسجد لها.

ش ـ لا يسعك ان تسمع ما رددتُه مرارا وتكرارا امامك، فكيف يتسنى لك ان تعلم ما في فكري؟

ح ـ لا يجديك النقاش نفعا، بل يزيد لك العذابات.

ش ـ ان كانت واحدة من قصص آلهتك صحيحة، فانها مدعاة للخزي والعار. فواحد من هذه الآلهة كان يتعاطى اللواط مع الصبيان، وآخر اغتصب عذراء هربت منه ولاذت بشجرة، كما تروي قصصكم المخزية.

ح ـ يا له من مكرم للآلهة عاد فاهانها دون ان يخاف! ولم يتورَّعْ من مخالفة امر الملوك ايضا!

ثم قال للجلادين: اوقفوه على طبق محمي بالنار. ففعلوا حتى احترقت اخامص قدميه تماما.

ش - ان كنت تغضب لمجرد سماعك قصص آلهتك البغيضة، فما احراك ان تخجل من اعمالها. فلو ان انسانا اقترف ما اقترفه احد آلهتك وقدموه امامك، لحكمت عليه بالاعدام حتما.

ح - اليوم انتقم منك تجديفكَ على الآلهة واهانتَك للملوك، ولن اكفّ عنك ما لم تقدّم لها البخور كسابق عهدك.

ش - انجز تهديداتك ولا تكذب، وبرهن تجاهي عن السلطة التي خوَّلكَ اياها الملوك. ولا تهن الملك بكذبك فتحتقرك حاشيتُك.

ح - ان تجديفك على الآلهة وجسارتك على الملوك جلبا عليك العذابات التي انت الآن تكابدها. فان تماديت في الجَسارة ازدادت لك عذابات اشد من سابقتها.

ش - لك السلطة ايها الحاكم، فافعل ما بدا لك ولا تشفق.

ح - ان من لم يشفق على جسده من هذه العذابات، كيف يستطيع ان يخاف او يخجل من مخالفة اوامر الملوك؟

ش - حسنا قلت اني لا اخاف. فان مبّرري قريب وهو قد سبى عقلي. واذا اغظتُه سابقاً بذبائح الاصنام، فاني ارضيه اليوم بعذاباتي. اجل ان عقلي قد سباه الله الذي صار انسانا.

ح - اني في الواقع استجوب انسانا معتوها ومجنونا واخاطب ميتا محترقا.

ش - ان كنت متأكدا من اني مجنون، فلا تسألني بعد. وهل يُسأَلُ المجنون، ولاسيما اني ميت ومحروق كما قلت؟

ح - وكيف احسبك ميتا وانت تصيح وتقول: اني لا اضحّي للآلهة؟

ش - وانا كذلك لا ادري كيف اجاوبك؟ فانت دعوتني ميتا وعدتَ تَسألني كالحيّ؟

ح - اني بصواب دعوتك ميتا. فرجلاك محترقان وانت لا تبالي، ووجهك مكوي وانت ساكت، والاوتاد مغروزة في جبينك وانت لاتبالي، وبرزت اضلاعك من الجلدات وانت تهين الملوك، وجسمك محطّم ومهشّم بالعذابات وانت

تجدّف على الآلهة . فلأنك ابغضت جسدك تقول الآن كل ما يحلو لك .

ش - انك دعوتَني جسورا لاني احتملت هذه الآلام ، فانت الذي سببتَها لي ينبغي ان تُدعى قاتلا بالفعل ومجدّفا بالقول .

ح - لقد اهنت الملوك والآلهة ، وها انك تهينني انا كذلك ، كي اعجّل في قتلك . ولكن عوض ما تنتظره ، سانزل بك اقسى العذابات واشدها .

ش - لقد قلت لك مرارا عديدة ان تنجز نحوي التهديدات التي تسمعني اياها ، لكي تبرهن عن كونك منصاعا لارادة الملوك .

فامر الحاكم بان تُمزّقَ ساقاه وفخذاه بمشط من حديد . وامتثل الجلادون امره ، حتى سال دم شربيل وانحدر على الأرض .

ش - نعما ما تفعله بي الآن . فقد سمعتُ احدَ معلمي الكنيسة يقول : ان جروح جسدي تؤدي بي الى القيامة من بين الاموات . فها ان تنكيلاتك تبعثني انا الذي كنت ميتا بالخطيئة .

فاوعز الحاكم في تمزيق وجهه وخديه بمشط من حديد بالاضافة الى الاوتاد المغروزة في جبينه .

ش - اني لا اطيع الملوك الذين يأمرون بالسجود لما ليس من طبيعته الها ، بل هو خليقة الله .

ح - اسجدْ كما يسجد الملوك ، وأكرمْ كما يكرم الحكام .

ش - ان كنتُ احتقر ما هو من صنع البشر وهو لا يحسّ ولا يتألم ، فلا تحتقرْ انت الله خالق الكل وتسجد معه لشيْ ليس منه ولا من طبيعته .

ح - اهكذا يعلمكم مذهبكم ان تحتقروا النيرات ايضا التي تنير الارض كلها ؟

ش - ليس المفروض علينا ان نحتقرها بل ان لا نسجد لها ونكرمها ، لانها خلائق . فانه لإثمٌ جسيم ان نسجد للمخلوق مع خالقه ، وانها لاهانة بشعة ان يؤدى الاكرام للخالق مع خلائقه .

ح - ان المسيح الذي اعترفت به عُلّقَ على الخشبة ، فاعلقك على الخشبة مثل معلمك . وامر الحاكم بتعليقه على خشبة مدة طويلة .

ش - ان المسيح الذي تسخر به قد انتصر على آلهتك العديدة التي اضحت اضحوكة وسخرية للذين كانوا يسجدون لها .

ح - كيف تكفر بالآلهة وتعترف بالمسيح الذي عُلِّقَ على خشبة ؟

ش - ان فخر المسيحيين الكبير هو صليب المسيح ، وبه صار الخلاص لجميع الساجدين له ، وبه اكتسبوا عيونا نيّرة لكي لا يسجدوا للخلائق مع الخالق .

ح - احتفظ في داخلك بفخرك بالصليب وقدم البخور ظاهريا للآلهة .

ش - لا يمكن للمتخلّصين بالصليب ان يسجدوا ثانية للاصنام المخلوقة . فلا تستطيع الخليقة ان تسجد للخليقة . لانها اهانة للخالق ان يُسجَدَ معه للمخلوق ، كما قلتُ سابقا .

ح - دع عنك كتبك التي علمتك هكذا ، وامتثِلْ امر الملك لئلا تعرّض نفسك للموت حسب شريعة الملوك .

ش - اهذه عدالة الملوك التي انت فخور بها ان نترك شريعة الله ونحافظ على شرائعهم ؟

ح - ان تكرار الكتب التي آمنت بها هو الذي افضى بك الى هذه الحال المزرية . فلو كنت حبرا للآلهة ، لازداد اكرامك كسابق عهدك .

ش - ان عقلك الكافر هو الذي يظنها حالةً مزرية . اما للعقل السليم فان الضيق يُكسِبُ الصبر ، ومنه الاختبار ، ومن الاختبار رجاء الاعتراف .

فامر الحاكم بتعليقه وتمشيطه على جراحه الاولى . ولشدة غضب الحاكم ، بالغ الجلادون في تعذيبه حتى كادت احشاؤه تظهر . ولئلا يموت في هذا العذاب فينجو من عذابات اخرى ، امر الحاكم بانزاله . ولما رأى انه قد سكت ولا يستطيع الاجابة عليه ، امهله قليلا ريثما يستعيد انفاسَه .

ش - لِمَ أشفقتَ عليّ هذه البرهة القصيرة ومنعتَني من فائدة الاعتراف ؟

ح - اني لم امهلك قليلا شفقةً عليك . انما سكوتك هو الذي حداني الى الهدوء قليلا . ولو استطعت تعذيبك اكثر مما تأمر به شريعة الملوك لفعلت ، لأنتقم منك احتقارَك للآلهة . فاذ احتقرتني احتقرت الآلهة ، فانا ايضا ابقيتك

لاذيقك ما تستحقه من العذابات .

. . . . . وامر الحاكم فأُسدل ستارٌ امامه وقتاً وجيزا فيه أعدَّ قرار الحكم الذي سيصدره على شربيل علنا . ثم ازيح الستار ، ورفع الحاكمُ صوتَه وقال : «ان شربيل هذا كان سابقا كاهنا للآلهة ، ثم عاد وجحدها اليوم واعلن انه مسيحي ، ولم يتورع من التجديف على الآلهة ولم يخشَ اوامر الملوك . واوعزت اليه في التضحية للآلهة كعادته القديمة فرفض ، بل احتقرها احتقارا . فرأيت ان الرجل الذي يفعل هذا لا يجب الاشفاق عنيه حتى اذا ضحى . فلا يحق له ان يرى شمس اسياده لانه ازدرى شرائعهم . لذا فقد أمرتُ بان توضع حلقةٌ في فمه حسب اوامر الملوك ، كما توضع في فم قاتل ، ويُسحَبَ خارج مدينة الملوك عاجلا ، ولانه اهان اسياد المدينة وآلهتها ، أمرتُ بان يُنشَر بمنشار من خشب . وحينما يشرف على الموت ، يُقطع رأسُه بحد السيف . »

وما ان اصدر الحاكم هذا الحكم ، حتى وضعوا حلقة في فم شربيل ، وانتزعه الجلادون واخذوا يركضون به بسرعة برجليه المحترقتين . واخرجوه خارج المدينة والناس يقتفون آثاره وكانوا كل يوم يشاهدون محاكمته ويتعجبون من الفرح الذي يتجلى على وجهه وسط عذاباته .

ووصل الجلادون الى موضع تنفيذ حكم الاعدام ، وكان جمع غفير من سكان المدينة يرافقونهم لكي يروا تنفيذ حكم الاعدام بمقتضى امر الحاكم ، ولكي يسمعوا ما سيقوله شربيل في ذلك الوقت لكي ينقلوه الى الحاكم . وقدّم له الجلادون خمرة ليشرب حسب ما يفعلونه للقتلة . ولكنه امتنع وقال : «لا اشرب لاني اريد ان احس بالنشر وبالسيف الذي يحزّ عنقي . وعوض الخمر ، امنحوني مهلة لاصلي . » فوقف شربيل والتفت نحو المشرق وصلى بصوت عالٍ وقال : «ايها المسيح ، اغفر لي كل ما اغظتك به بتقدمتي الذبائح النجسة للاصنام المائتة . وأشفق عليّ وأنقذني من الدينونة العتيدة ، وتحنَّنْ عليّ مثل تحننك على اللص التائب ، واقبلني كما قبلت التائبين العائدين اليك ، ولا تعاملني حسب صرامة عدلك لكوني دخلت كرمك في الساعة الحادية عشرة ، وليكن موتك لاجل الخطأة هو الذي يبعثني في يوم مجيئك . »

ولما سمع امناء المدينة هذه الكلمات ، غضبوا على الجلادين لانهم تركوا له المجال للصلاة . وكان شربيل في حالة يُرثى لها والدماء تجري من كل اوصاله ، وقد صار جسده جرحا واحدا من الرأس حتى اخمص القدمين . واذ ذاك جاؤوا بادوات النجارة ، ووضعوا الطوباوي في لولب خشبي وعصروه حتى انّت عظامه من الالم ، ثم شرعوا ينشرونه بمنشار من حديد . ولما اوشك ان يموت اذ بلغ المنشار الى فمه ، ضربوا رأسه بحد السيف وهو ما يزال محصورا في اللولب . فدنت اخته باباي الحاضرة هناك وبسطت رداءها وتقبلت دمه والتمست منه ان تنضم روحها الى روحه لدى المسيح الذي احبه وآمن به .

وعاد الامناء الى المدينة مسرعين واطلعوا الحاكم على ما قاله شربيل في صلاته وكيف ان اخته تلقت دمه . فامر الحاكم بان يعودوا ويقولوا للجلادين ان ينفذوا حكم الموت فيها ايضا في الموضع الذي فيه تلقت دم اخيها . فوثب عليها الجلادون وشرع كل منهم ينكّل بها حتى فاضت روحها وهي ما زالت تحمل دم اخيها . فخلطوا دمها بدمه . ولما عاد الجلادون الى المدينة ، اسرع الاخوة وبعض الشباب وسرقوا جثتيهما ووضعوهما في ضريح والد الاسقف عبشلاما ، وذلك يوم الجمعة الموافقة ٥ ايلول (سنة ١٠٥) .

(نحن مارينوس واناتول كتبنا هذا الاستجواب ووضعناه في مكتبة المدينة حيث تُحفَظ اضابيرُ الملوك)

٥ برسميا اسقف الرها

في الخامس من شهر ايلول سنة ٤١٦ يونانية (١٠٥ م) ، وهي السنة الخامسة عشرة لملك ترايانس قيصر ، وفي عهد قنصلية قومودس وقورلس ، بعد اليوم الذي فيه حقق لوسانيا حاكم البلاد مع شربيل الكاهن ، وبينما كان الحاكم جالسا في ديوانه ، دخل عليه امناء المدينة وقالوا له : «اننا نعلمك ان برسميا رئيس المسيحيين هو الذي اتصل بشربيل الكاهن بينما كان قائما بخدمة الآلهة ، ودعاه اليه وشرح له

الكتب التي يقرأونها في جماعتهم ، وعرض عليه الديانة المسيحية وحرضه على عدم السجود لآلهة عديدة بل لاله واحد ولابنه يسوع المسيح ، واخيرا نصَّره وجعله يجحد الآلهة التي كان يسجد لها سابقا . وبسبب شربيل تنصر خلق كثير وانضموا الى الكنيسة وهم الآن يعترفون بالمسيح ، ومنهم عويدا ونابو وبركلبا وحفسي اعيان المدينة . ونحن امناء المدينة نطلعك على ذلك لئلا نتعرض للقصاص بسبب اهمالنا . وعظمتك ادرى بما ينبغي القيام به في هذا الشأن . »

وما ان سمع الحاكم هذا الكلام ، حتى ارسل امناء المدينة بصحبة شرطه لينزلوا الى الكنيسة ويأتوه ببرسميا . فجاؤوا واقتادوه الى ديوان الحاكم . وصعد معه مسيحيون كثيرون وهم مصممون على الموت مع اسقفهم برسميا ومعلنين موافقتهم على كل ما كان شربيل قد صرّح به . فدخل اعيان المدينة وقالوا للحاكم : «ها ان برسميا على باب محكمتك ومعه اعيان المدينة الذين تتلمذوا له مع شربيل وهم يعلنون انهم يريدون ان يموتوا مع برسميا معلمهم ورئيسهم . »

حينما سمع الحاكم ما قاله الامناء ، امرهم بان يخرجوا ويسجلوا اسماء الذين يريدون ان يموتوا مع برسميا . فلما خرجوا لتسجيل الاسماء ، رأوا ان عددهم في تزايد مستمر حتى تعذر عليهم تسجيل جميع الاسماء . فعادُوا وقالوا للحاكم انهم لا يستطيعون تسجيل اسمائهم بالنظر الى عددهم الغفير . فامر الحاكم بان يودعوا برسميا السجن لكي يتبدّد الحشد المجتمع هناك ، لئلا يحدث اضطراب في المدينة من جراء ذلك التجمع . فرافقه الى السجن اولئك الذين تنصروا مع شربيل .

وبعد ايام عديدة ، نزل الحاكم الى محكمته ، وامر باحضار برسميا من السجن . فدخل برسميا ومثل بين يدي الحاكم .

الحاكم ـ انت برسميا رئيس المسيحيين الذي نصّر شربيل عظيم كهنة الآلهة ؟

برسميا ـ نعم ، انا الذي فعلت ذلك ولا انكر ، واني مستعد لان اموت في سبيل هذه الحقيقة .

ح ـ أولم تخف من امر الملوك ؟ فبينما الملوك يأمرون الجميع بتقديم الضحايا للآلهة ، انت دفعت شربيل الكاهن ، وهو يضحّي للآلهة ويقدم لها البخور ،

الى جحودها والاعتراف بالمسيح ؟.

ب ـ انى أُقمتُ راعيا للناس ، ليس للمؤمنين حسب ، بل كذلك للضالين عن الحظيرة والذين اصبحوا فريسة ذئاب الوثنية . فلو لم اتلمذ شربيل ، لطولبت بدمه ، ولو لم يسمعني لتبرأت من دمه .

ح ـ الآن وقد اعترفت بكونك قد تلمذت شربيل ، فاني انتقم منك موته . فيجب ان تُدان بأشد صرامة منه لانك سبب الالام القاسية التي تكبدها لكونه ترك امر الملوك وسمع اقوالك .

ب ـ ان شربيل لم ينقد الى كلامي ، بل الى كلام الله القائل : لا تسجد للاصنام والتماثيل التي يصنعها البشر . ولست انا وحدي اشتاق الى الاستشهاد مثل شربيل ، بل جميع المسيحيين يشتاقون اليه ، عالمين انهم به يجدون حياتهم الحقة امام الله .

ح ـ لا تجاوبني كما فعل تلميذك شربيل لئلا تكون عذاباتك اشد ضراوة من عذاباته ، بل عدني بانك تقدم القرابين عوضه للآلهة .

ب ـ انا علَّمت شربيل معرفة الله . افتقول لي ان اكفر بالاله الذي اعرفه منذ نعومة اظفاري ؟ معاذ الله ان افعل ذلك .

ح ـ انتم نشرتم تعليم المسيح في العالم كله وحملتم الناس على جحود الآلهة التي كانوا يسجدون لها . فتخلَّ عن هذا الرأي ، لئلا أُدخِلَ الرهبةَ في قلوب مشاهديك والذين يسمعون بعذاباتك .

ب ـ ان كان الله مع ملتمسيه ، فمن يستطيع قهرهم ؟ وماذا بوسع تهديداتك ان تفعل للذين ، قبل اصدارك الحكم عليهم بالموت ، قد وضعوا موتهم ازاء اعينهم واليه يشتاقون كل يوم ؟

ح ـ لا تأتِ بذكر المسيح في محكمتي ، بل اخضع عوضا عن ذلك لاوامر الملوك التي تقضي بتقديم الذبائح للآلهة .

ب ـ حتى وان لم نذكر المسيح امامك ، فان آلامه مصوَّرة دوما في اذهان الساجدين له . فالمسيحيون اكثر خضوعا للمسيح ملك الملوك منك لاوامر الملوك .

ح ـ لقد خضعتَ للمسيح وسجدتَ له حتى اليوم . ومن الآن اخضع للملوك واسجد للآلهة التي يسجدون لها .

ب ـ كيف تقول لي ان اجحد ما وُلدتُ فيه بينما انتقمت من شربيل لكونه كفرَ بالوثنية التي ولد فيهاواعترف بالمسيحية الغريبة عنه؟ فقبل ان امثل امامك، سبقتَ وقلعت لشربيل ان المسيحيين الذين انضمَّ اليهم لا يجحدون ما وُلدوا فيه . فاثبتْ اذن في كلامك .

اذ ذاك امر الحاكم بان يُجلَد برسميا لانه عصى اوامر الملوك وسبّب في تمرد الذين كانوا خاضعين لهم . وبينما كان خمسة رجال يجلدونه ، قال له الحاكم : لا ترذل اوامر الملوك وتحتقر آلهتهم .

ب ـ ما اشد غباوتك ايها الحاكم وغباوة الملوك الذين خولّوك السلطة ! انكم لا ترون الامور الجلية ولا تدرون ان الخليقة كلها سجدت للمسيح ، وانت تقول لي الا اسجد له ، وكأني الوحيد الذي اسجدُ لذاك الذي تسجد له ملائكة العلى .

ح ـ ان كنتم قد علّمتم الناس ان يسجدوا للمسيح ، فمن الذي أقنعَ السماويين بالسجود له ؟

ب ـ ان السماويين هم الذين بشّروا وعلّموا الارضيين ان يسجدوا معهم له ولابيه ولروحه القدوس .

ح ـ دعوا ما كُتبَ لكم وتعلّمونه الآخرين واخضعوا لما أمرَ به الملوك ولا ترذلوا شرائعهم لئلا تُعدَموا بالسيف من نور الشمس الجليلة .

ب ـ ان النور الزائل ليس بالنور الحقيقي ، بل هورمز للنور الحقيقي الذي لا يعروه ظلام وهو محفوظ للساجدين الحقيقيين للمسيح .

ح ـ لا تشوه الكلام امامي لئلا اقضي عليك لانك كفرت بالنور المنظور وتعترف بالنور اللامنظور .

ب ـ لا تستطيع التخلي عما تسألني والتطرق الى ما لا تسألني . فانت الذي كلّمتني عن نور الشمس ، فقمتُ ان في العلى شمسا تفوق نورا الشمسَ التي تسجد لها وتكرمها . وانك ستُطالَب على سجودك لخليقة مثلك عوض

سجودك لله خالقك .

ح ـ لا تحتقر الشمس التي تنير الخلائق وتزدري بامر الملوك وتجادل اسياد البلاد .

ب ـ وما نفع نور الشمس للكفيف الذي لا يستطيع رؤيته . فان اشعة الشمس لا تُرى الا بعيون الجسد . وبهذا نعلم انها خليقة الله ولا يسعها اظهار نورها للعميان .

ح ـ بعد ان اؤدبك كما تستحق ، سأكتب بشأنك الى الملك واطلعه على اهانتك للآلهة وكيف انك تلمذت شربيل كاهن الآلهة ، وانكم تحتقرون شرائع الملوك ولا تولون اعتبارا لحكام البلدان ، وانكم تسكنون مثل البرابرة في مملكة الرومان .

ب ـ لن تخيفني بكلامك هذا . فاني وان لم اكن اليوم قريبا من الملوك ، الا انني ماثل امام من خوّله الملوك هذه السلطة ، وانا أُدان على اني قلت لن اكفر بالله خالق السماء والارض وبابنه يسوع المسيح ملك الارض كلها .

ح ـ ان كنت على يقين من انك واقف امام سلطة الملوك ، فاخضع لاوامرهم ولا تخالف شرائعهم ، لئلا تعرّض نفسك للموت كالمتمردين .

ب ـ ان كان الذين يتمردون بحق على الملوك يستحقون الموت بحسب قولك ، فان حكم الموت بالسيف قليل للذين يتمردون على الله ملك الملوك .

ح ـ انك لم تمثل امامي للمناقشة . فالوضع الذي انت فيه بعيد عن المناقشة وقريب من قصاص الموت للذين يحتقرون الملوك ولا يخضعون لشرائعهم .

ب ـ ذلك لانكم لم تضعوا الله امام عيونكم ولا تريدون سماع كلمته ، وتحسبون الاوثان ناطقة ، في حين ان لها افواها ولا تنطق ، لان بصيرتكم قد عميت بظلام الوَثنية التي انتم متسكعون فيها .

ح . دعْ عنك هذه الاقوال التي لن تجديك نفعاً واسجدْ للآلهة قبل ان تنزل بك العذابات القاسية .

ب ـ امسكْ انت ايضا عن الاسئلة الكثيرة التي تطرحها عليّ ، ومُرْ بانزال العذابات التي تهدّدني بها . فان عذاباتك اجدى لي من كلماتك .

فامر الحاكم بان يُعلّق برسميا ويُجردَ بامشاط حديدية .

وفي تلك الغضون ، بلغته رسائل من لوسيوس الوالي الاعظم ابي الملوك . فامر الحاكم بانزال برسميا قبل ان يُعذَّب ، وباخراجه من المحكمة ، ثم استدعى الحاكم اعيان المدينة ورؤساءها وعظماءها لكي يقرأ عليهم ما تلقّاه من اوامر الملوك التي أتته بواسطة الولاة المشرفين على ادارة البلدان في المملكة الرومانية . وجاء في رسائل الملوك الى حكام البلدان : «بعد ما امرنا باضطهاد المسيحيين ، سمعنا وعلمنا من امنائنا في البلدان الخاضعة لمملكتنا ان المسيحيين اناس يمتنعون عن القتل والسحر والزنى والسرقة والرشوة والمكر : وهذه امور تعاقب شرائعُ مملكتنا مقترفيها . لذا فقد امرنا بعدالتنا ان يكفّ عنهم اضطهادُ السيف ، فيستتبّ الهدوء والسلام في مملكتنا كلها ، ويؤذن للمسيحيين بممارسة عوائدهم دون مانع . اننا لسنا بمشفقين عليهم ، بل نفعل ذلك لاجل تطابق شرائعهم مع شرائع مملكتنا . واذا تصدى لهم احد بعد هذا الامر ، فالسيف الذي كنا قد امرنا بان يقطع رأسَ المخالفين يقطع رأسَ من يحاول الغاء امرنا الرحوم هذا .»

ولما تُليَ أمرُ رحمة الملوك هذا ، ابتهجت المدينة كلها لاجل السلام والهدوء اللذين خيّما على الجميع . فامر الحاكم باطلاق سراح برسميا ليذهب الى كنيسته . فصعد جمع غفير من المسيحيين الى المحكمة واستقبلوا برسميا باكرام عظيم وهم ينشدون امامه المزامير كعادتهم ، ويزدحمون للسلام عليه ويدعونه المعترف المضطهَد زميلَ شربيل الشهيد . فقال لهم : «اني مضطهَد مثلكم ، ولكني بعيد عما قاساه شربيل من الآلام والعذابات» . وكانوا يقولون له : لقد سمعنا منك ان معلم الكنيسة (بولس) قال : تُقبَلُ الارادةُ كما هي .

ودخل برسميا الى الكنيسة مع الشعبَ الذي يرافقه ، وصلى وباركهم ثم صرفهم الى بيوتهم فرحين وهم يسبحون الله على الخلاص الذي حققه لهم ولكنيسته . . .

. . . وبعد يوم من استنطاق برسميا ، عُزلَ الحاكم لوسانيا من منصبه .

(نحن زينوفيلس وبطروفيلس قد سجلنا هذا الاستنطاق ، ويشهد على ذلك امينا المدينة ديودورس واوطروفيوس بتواقيعهما ، كما تقتضي اوامر الملوك الاقدمين)

في شهر آب سنة ٦٢٠ يونانية (٣٠٩ م) ، في عهد ليقينوس[١] وقسطنطين[٢] ، وفي ايام قونا اسقف الرها ، اثار ليقينوس اضطهادا على المسيحيين ، بعد الاضطهاد الاول الذي كان الملك ديوقلتيانس[٣] قد شنه . فامر ليقينوس بان تقام الذبائح والسكائب في كل مكان ، وبان تُقدَّم البخور للاله «زُفس»[٤] . الا ان المسيحيين لم يهابوا الاضطهاد ، بل كانوا يعلنون بجرأة انهم مسيحيون . وكان عدد المضطهَدين يفوق عدد مضطهِديهم . . .

كان في قرية «تلصهة» شماس يدعى حبيب، شرع يتفقد كنائس القرية خفية ويعلّم فيها ويقرأ الكتاب المقدس ويقوي ويشجّع كثيرين ، ويحرضهم على الثبات في حقيقة الايمان دون ان يهابوا المضطهدين . وهكذا استطاع ان يسند الكثيرين في الايمان . ولما بلغ الخبر الى اعيان المدينة المكلّفين بالاشراف على تنفيذ الاوامر دخلوا على الحاكم لوسانياس الحاضر آنذاك في مدينة الرها واخبروه ان الشماس

---

(١) - ليقينوس امبراطور روماني في الشرق (٣٠٧ - ٣٢٤) . اتفق مع قسطنطين على سياسة التسامح مع المسيحيين ، ولكنه تراجع عنها وانقلب مضطهدا . فحاربه قسطنطين وقتله .

(٢) - قسطنطين الكبير (٢٧٤ - ٣٣٧) امبراطور روماني استوى على العرش سنة ٣٠٦ ، وهزم خصمه ماكسانس . واطلق الحرية للمسيحيين بمرسوم ميلانو الشهير سنة ٣١٣ . تخلص من ليقينوس سنة ٣٢٤ ، فوحَّدَ الامبراطورية . اسس عاصمة جديدة سماها القسطنطينية (اسطنبول) سنة ٣٣٠ ومات مسيحيا سنة ٣٣٧ .

(٣) - ديوقلتيانس (٢٤٥ - ٣١٣) امبراطور روماني حكم من سنة ٢٨٤ الى ٣٠٥ . شن أعنف اضطهاد على المسيحيين سنة ٣٠٣ . واستقال سنة ٣٠٥ .

(٤) - «زفس» اله رئيس في الميثولوجيا الاغريقية ، ويدعوه الرومان جوبيترا أو المشتري وهو عندهم أبو الآلهة وسيدها ، واله السماء والارض والنور والطقس . شيّد له الرومان هيكلا في الكابيتول في روما وآخر في بعلبك في لبنان .

حبيب من قرية تلصهة يتجول ويخدم في كل مكان ويقاوم امر الملك دون خوف . فاحتدم الحاكم غيظا لدى سماعه هذا عن حبيب ، وكتب تقريرا وارسله الى الملك ليتينوس ليطلعه على ذلك ويستطلع رأيه بشأنه وبشأن الذين يرفضون تقديم الذبائح للاصنام . وكانوا قد سمعوا ان قسطنطين الحاكم على ايطاليا وبلاد غالية واسبانيا كان مسيحياً ولا يقدم الذبائح للآلهة . وجاء امر الملك الى الحاكم لوسانياس يقول : «لقد امرنا بحرق من يتجاسر ويخالف امرنا ، والذين لا يطيعون ويقدمون الذبائح ‹‹ فليموتوا بحد السيف . »

ولما بلغ هذا الامر الى مدينة الرها ، كان حبيب قد ذهب الى بلاد الزوغماطيين ليخدم هناك ايضا خفية . ولما فتشوا عنه في قريته وفي المناطق المجاورة ولم يجدوه أُمر الحاكم بالقاء القبض على اقربائه وعلى سكان قريته . فالقوا القبض على والدته واقاربه وبعض من سكان قريته ، واتوا بهم الى المدينة وزجوا بهم في السجن ولما سمع حبيب بما جرى ، اخذ يفكر ويقول في نفسه : «خير لي ان اذهب وأمثل امام حاكم البلاد من ان امكث في الخفية ، فينال آخرون اكليل الشهادة بسببي وانا أُحرَم منه . فماذا يجدي اسم المسيحية لمن يتهرب من الاقرار بالمسيحية؟ فان هو فرّ من ذلك ، فان الموت الطبيعي يسبقه حيثما يمضي ، ولا مفر من هذا الموت المحتم على البشر كلهم . » وما ان قال هذا حتى قام واتى الى الرها سرا . وهو يتهيأ لشتى انواع العذابات . وتوجه اولا الى تياطقنا الشيخ زعيم حاشية الحاكم وقال له : «انا حبيب من تلصهة الذي تبحثون عنه . » فقال له الشيخ : «ان لم يشاهدك احد لدى مجيئك اليّ ، فاسمع ما اقوله لك وعدْ الى حيث كنت وابقَ هناك الآن . ولا يعلمَنَّ احد بمجيئك اليّ وبما نصحتك به . ولا يهمك امر اقاربك وسكان قريتك ، اذ لن يمسَّهم احدٌ بأذى . فانهم سيمكثون اياما قليلة في السجن ثم يطلق الحاكمُ سراحَهم ، اذ لم يأمر الملك بالاساءة اليهم . واذا لم تسمع كلامي ، فانا بريءٌ من دمك . فاذا رآك حاكم البلاد ، فانك لن تنجو من موت النار ، حسب الاوامر التي اصدرها الملك عليك . »

فقال حبيب لتياطقنا : «اني لست مهتما باقاربي واهل قريتي ، بل اهتم بألاّ تهلك حياتي . لذا فاني اغتممتُ جدا لعدم حضوري في القرية يوم طلبني الحاكم ،

وبسببي القاهم في السجن ، وحُسبت انا فاراً . واذا لا تريد ان تدخلني عند الحاكم ، فانا وحدي اذهب وامثل امامه . » ولما سمع الشيخ ما قاله حبيب ، اوثقه وذهب به الى المحكمة . ودخل تياطقنا اولا واخبر الحاكم بأن المطلوب حبيب من تلصفهة قد اقبل . فقال له الحاكم : «ومن اتى به ؟ واين وجدوه ؟ وماذا صنع حيث كان ؟» فاجابه الشيخ : «انه بحريته جاء الى ههنا دون ان يعلم به احد . » فلما سمع الحاكم ذلك ، استشاط غيظا عليه وقال : «انه بهذا استخفّ بي واحتقرني . لذا فهو غير جدير بالرحمة . ولن اعجّلَ في تنفيذ حكم الموت فيه ، حسب اوامر الملك ، بل سأتمادى معه لتزداد عذاباته هولا ، وافزع به كثيرين لئلا يتجاسروا على الهرب من بعد . » وكان على باب المحكمة جمع غفير من الشرط ومن اهل المدينة . ومنهم من كانوا يقولون لحبيب انه بئس ما فعل اذ جاء من نفسه وظهر امام الحاكم ، وغيرهم كانوا يقولون له انه نعما ما فعل اذ جاء بحريته ومثل امام الحاكم ، ليظهر ان اعترافه بالمسيح جاء طوعا لا قسرا .

وسمع اعيان المدينة ما يقوله الناس على باب المحكمة ، كما انهم سمعوا عن مجيئه سرا الى تياطقنا ، دون ان يكشف هذا أمره . واخبروا الحاكم بكل شيء . فغضب الحاكم على الذين كانوا يقولون لحبيب لماذا اتى وظهر امام الحاكم من تلقاء نفسه ، وقال لتياطقنا : «لا ينبغي للرجل الذي اقيم رئيسا لزملائه ان يغدر برئيسه ويخالف اوامر الملك القاضية باحراق حبيب المتمرد . » فقال تياطقنا : «اني لم اغدر بزملائي ولم اتوخّ ابطال اوامر الملك ، انما سألته حسب امرك هل اقبل الى ههنا بحريّته ام هل ان آخرين اتوا به قسرا . ولما سمعت منه انه جاء طوعا ، اتيت به في الحال الى محكمتك الموقرة . »

فامر الحاكم بادخال حبيب امامه . فسأله الحاكم :

ـ ما اسمك ؟ ومن اين انت ؟ ومن انتَ ؟

حبيب ـ اسمي حبيب ، من قرية تلصفهة ، وانا شماس .

ح ـ لماذا خالفْتَ امر الملك باستمرارك على خدمتك رافضا تقدمة الذبائح لزفس الذي يسجد له الملوك ؟

حب - نحن المسيحيين لا نسجد للاصنام التي صَنعتْها ايادي البشر . انما نسجد لله الذي خلق البشر .

ح - لاتتجاسر امامي وتهين زُفس الذي هو فخر الملوك .

حب - لو لم يكن زفس صنما من صنع الناس لصدقت بقولك اني اهينه . ولكن ان كان نحته من خشب وتركيزه بالمسامير هي الشاهدة عليه انه مصنوع ، فكيف تقول اني اهينه ؟ انما عاره هو فيه ذاته .

ح - انك تهينه حينما لا تريد السجود له .

حب - ان كنت اهينه بعدم سجودي له ، فكم اهانه اذن ذاك النجار الذي نحته بفأس من حديد ، والحداد الذي طرقه وركّزه بالمسامير ؟

وما ان سمع الحاكم هذا الكلام ، حتى اوعز الى خمسة رجال في جلده جلدا مبرحا لا رحمة فيه ، ثم قال له :

ح - اتطيع الآن امر الملوك ، والا فاني اجُردك بمشط من حديد ، وانزل بكُ شتى العذابات واخيرا آمر بحرقك بالنار .

حب - ان تهديداتك اصغر واخفّ بكثير مما عزمتُ على احتماله حينما جئتُ ومثلتُ امامك . فامر الحاكم بوضعه في قفص من حديد وبجلده كما يستحق . وبينما كانت الضربات تنهال عليه ، قالوا له : ضحِّ للآلهة . اما هو فكان يصرخ ويقول : «نجسة هي اصنامكم وانجاس انتم مع الذين يسجدون لها مثلكم» . ثم امر الحاكم بزجه في السجن ، دون ان يسمح له بالتحدث الى ذويه واهل قريته . وكان ذلك اليوم عيد الملوك .

وفي اليوم الثاني من شهر ايلول ، امر الحاكم باحضاره من السجن .

ح - اكفرْ بما تعترف به وأطع اوامر الملوك ، والا فسارغمك على الطاعة بالعذاباتِ الهائلة التي انزلها بك .

حب - اني لم أطعها ولا انوي اطاعتها حتى اذا حكمت عليّ باحكام اقسى مما امره الملوك .

ح - قسَماً بالآلهة انك ان لم تقدم الذبائح ، فاني لن ادع ما هو اقسى واشد ما لم اعذبك به ، ونرى هل يخلصك المسيح الذي تسجد له .

حب ـ جميع الساجدين للمسيح هم مخلّصون بالمسيح لانهم لا يسجدون للخلائق مع الخالق .

فامر الحاكم باضجاعه على الارض وبضربه بالعصي حتى لم يبقَ في جسمه موضع صحيح .

حب ـ ان هذه العذابات التي ظننتها قاسية منها تُضفَر اكاليلُ النصر للذين يحتملونها .

ح ـ كيف تدعون العذابات راحةً والتنكيلاتِ اكليلَ النصر ؟

حب ـ ليس من شأنك ان تسألني عن هذا ، لانك كافر لا تستحق سماعَ برهانها . ولكني قلت واقول اني لن اضحّي للآلهة .

ح ـ انك تستحق الاحكام التي انت فيها . فاني افقأ عينيك اللتين تنظران الى زفس دون وجل ، واصمّ اذنيك اللتين تسمعان شرائع الملوك دون فزع .

حب ـ ان الله الذي تكفر به ههنا عالما آخر . وهناك تعترف به مرغَماً وسط العذابات .

ح ـ دع عنك العالم الذي تذكره ، واهتم الآن بالدينونة التي انت فيها . اذ لا احد يستطيع ان ينقذك منها الا الآلهة اذا ما ضحّيتَ لها .

حب ـ ان الذين يموتون في سبيل اسم المسيح ولا يسجدون للخلائق يجدون حياتهم امام الله . اما الذين يفضلون الحياة الزمنية ، فان عذابهم يدوم الى الابد .

فامر الحاكم بتعليقه ومشطه الى ان تمزقت لحمانه . وظل معلّقا مدة طويلة حتى انخلعت مفاصلُ ذراعيه .

ح ـ اتطيع الآن وتقدّم البخور امام زفس ؟

حب ـ اني قبل هذه الآلام لم اطِعْك ، والآن وقد تكبدتها كيف تظن اني اطيعك فاخسر ما اكتسبته بها ؟

ح ـ اني مزمع ان اذيقك آلاما اقسى وأمرّ ، حسب اوامر الملوك ، الى ان تمتثل ارادتهم .

حب ـ انت تدينني على اني لم امتثل اوامر الملوك ، ولكنك انت الذي عظّمك

الملوك واقاموك حاكما قد خالفت اوامرهم اذ لم تنفّذ فيّ ما امرك به الملوك .

ح ـ افلأني صبرت عليك تقول لي هذا وكأنك تلومني ؟

حب ـ لولم تعـذّبني وتسجنني وتمـزّقني وتضـع رجليَّ في مقطرة لظننت انك صبرت عليّ . ولكنك اذ فعلت ذلك كله فاين طول اناتك معي ؟

ح ـ لا تجـديـك هذه الاقـوال نفعـاً ، لان جميعهـا ضدك ، وهي تجلب عليـك عذابات اشد مما امر به الملوك .

حب ـ لولم احس بنفعها لما قلتها امامك .

ح ـ اني سأسكت صوتـك في لحظـة وأُرضي بذلـك الآلهـةَ التي لم تسجـد لهـا وارضي الملوك الذين عصيتَ اوامرهم .

حب ـ اني لست اخشى المـوت الـذي ترهبني به . ولـوخشيتُه لما طفت البيوت في خدمة قضية المسيح .

ح ـ كيف تسجد لانسان وتحترمه وانت لا تريد ان تسجد لزفس وتكرمه ؟

حب ـ انا لا اسجد لانسان ، لانه مكتوب : ملعون من يتكل على الانسان . ولكني اسجد للاله الذي تجسد وصار انسانا .

ح ـ اعمـل ما امـر به الملوك ، وفكّـر حسبما شئت ، فان اردت تخليت عنه ، وان شئت احتفظت به .

حب ـ لايمكن تواجـد الامـرين سويـة ، لان هذا مضاد للحقيقة ، كما لا يمكن ان اتخلى عن الفكرة الثابتة في عقلي .

ح ـ اني ساحملك بعذابات قاسية على التخلي عما قلته مركّزا في عقلك .

حب ـ ان العذابات التي تظنها قادرة على استئصال الفكرة من عقلي ، من شأنها ان تجعل الفكرة اكثر نضوجا فيه .

ح ـ وماذا تنفعك العذابات والآلام ، لاسيما حينما آمر باضرام النار فيك دون شفقة ؟

حب ـ ليست نظرتي مثل نظرتك ، فاني اتأمل الامور الخفية . ولذلك اعمل بمشيئة الله الخالق وليس بمشيئة الصنم المخلوق وعديم الشعور .

ح ـ لانه كفر بالآلهة التي يسجد لها الملوك ، لتُضَفْ عذاباتٌ اخرى الى عذاباته

الاولى . فانه نسي عذاباته الاولى اذ صبرتُ عليه واستنطقته .

وكان حبيب عند تمزيق جسمه يصرخ ويقول : «لا توازي آلامُ هذا الدهر ذلك المجدَ العتيد ان يظهر في الذين احبوا المسيح . » ولما رأى الحاكم انه حتى في هذه العذابات لم يشأ التضحية للآلهة ، قال له :

ح - اهكذا تعلمكم ديانتكم ان تبغضوا اجسادكم ؟

حب - اننا لانبغض اجسادنا . فقد كتب لنا : ان من يهلك نفسه يجدها . ولكنه مكتوب ايضا : ان لا نعطي القدس للكلاب ولا نلقي الجواهر امام الخنازير .

ح - اعلم انك انما تقول هذا لكي تثير غضبي فاحكم عليك بالموت عاجلا . ولكني لن اتسرع في الاجابة الى رغبتك ، بل اطيل اناتي ، ليس بغية اراحتك ، بل لكي يتفاقم الم عذاباتك وترى لحمك يتناثر امامك من جراء جرد جنبيك .

حب - ان جل ما اشتاق اليه هو ان تزيد تعذيبي كما قلت .

ح - أطع الملوك الذين لهم السلطة على عمل ما يشاؤون .

حب - ليس بين البشر من يستطيع عمل كل ما يشاء . الا الله وحده الذي يشمل سلطانه السماء وسكان الارض قاطبة ، وليس من يؤاخذه ويقول له : ماذا تصنع ؟

ح - ان الموت بحد السيف لقليل لجسارتك هذه ، لذا فاني مستعد ان آمر بموت امرَّ من السيف .

حب - اني اتوق الى ذلك الموت الذي يستغرق مدة اطول من الموت بالسيف ، فأصدِرْه عليّ متما شئت .

بعد ذلك شرع الحاكم باصدار حكم الموت عليه ، واعلن امام حرسه واعيان المدينة : «ان حبيب هذا الذي كفر بالآلهة كما سمعتم واهان الملوك ، يجب ان تُمحَى حياته من تحت الشمس العظيمة هذه ، فلا يرى هذا النور رفيق الآلهة . ولو لم يأمر الملوك الاولون بدفن جثث القتلة ، لما كان يجب ان تدفن جثة هذا الذي تجاسر الى هذا الحد . فامرت بأن يوضع سيرٌ في فمه شأن القتلة ، وان يُحرَق بنار بطيئة ، لكي يزداد عذاب موته . »

فاخرجوه من امام الحاكم والسير في فمه . وكان جمع غفير من سكان المدينة يسير في اثره . وكان المسيحيون يفرحون لثباته في عزمه . اما الوثنيون فكانوا حانقين عليه لانه رفض تقديم الذبائح للآلهة . واقتادوه من الباب الغربي تجاه المقبرة التي كان عبشلاما بن ابجر قد بناها . وكانت والدته ترافقه متوشحة ثيابا بيضا . ولما بلغوا الموضع الذي فيه كان مزمعا ان يُحرَق ، وقف وصلى قائلا : «ايها المسيح الملك، يا رب العالَمين الحاضر والعتيد، انظرْ وَرَ اني كنت استطيع الهرب من هذه العذابات ولم افعل لئلا اتعرض للوقوع بين يدي عدلك . فلتكن هذه النار التي أُحرَق بها مكافأة امامك ، فانجو من النار التي لا تنطفئ . فاقبل روحي امامك بروح لاهوتك ، يا ابن الآب المسجود له . » وبعد ان صلى ، التفت وبارك الجميع ، وسلم عليه الرجال والنساء وهم يبكون ويقولون له : «التمسْ لنا من سيدك ان يمنح شعبَه السلام وتجديد كنائسه المستأصَلة . » وحفر الشرط حفرة واقاموا فيها «حبيباً» ونصبوا عمودا ليربطوه به . فقال لهم انه لن يبارح الموضع الذي فيه يحرقونه . وجاؤوا بحطب صفّوه حوله واضرموا فيه النار حتى فاضت روحه . فاحاط به الرجال والنساء وهم يبكون ، ثم سحبوه من النار ولفوه بلفائف من كتان فاخر وعطّروه باطيب العطور . وأخذوا من حطب محرقته تبركا . ثم حملوه ودفنوه في ضريح كوريا وشامونا ، وهم يرتلون عليه المزامير والمداريش . واشترك في جنازته بعض من اليهود والوثنيين مع الاخوة المسيحيين .

وكان استشهاده يوم الجمعة الموافق الثاني من ايلول (سنة ٣٠٩ م) .

وفي ذلك الوقت وصلت اخبارٌ تقول ان الملك قسطنطين شرع يخرج من اسبانيا متوجها الى مدينة روما لكي يشن الحرب على ليقينوس المسيطر على المناطق الشرقية من المملكة الرومانية . ولدى ورود هذه الاخبار ، خمدت شدة الاضطهاد على المسيحيين . . .

(انا تاوفيلس الذي كفرت بارث آبائي السيء واعترفت بالمسيح ، اهتممت بتسجيل احداث استجواب حبيب ، كما كنت قد كتبت استجواب زميليه الشهيدين كوريا وشامونا)

كان في عهد الامبراطور ديوقلتيانس حاكم اسمه انتيما . فلما اشرف هذا على الموت ، دعا اخاه سيلينس وقال له : «يا اخي ، اني راحل من هذه الدنيا ، واستودعك ابني لوسيماكس . وقد خطبنا له ابنةَ فرفوريوس ، فتقيم له مأدبة العرس وتكون للعريسين بمثابة الاب . » وبعد موت انتيما ، دعا الامبراطور سيلينس وابن اخيه لوسيماكس ، وقال لهذا الاخير : «اني اذكر صداقة والدك انتيما ، ففكرت في ان اوليك منصبه . ولكني سمعت انك تميل الى ديانة المسيحيين ، لذا فقد ارجأت الامر ، واريد ارسالك الى المشرق لكي تقضي على الديانة المسيحية . وساقيمك حاكما بعد عودتك من هناك . »

ولم يتجاسر لوسيماكس ان يرد الجواب على الملك، لانه كان ما يزال شابا في ربيعه العشرين. اما عمه سيلينس، فجثا على قدمي الملك وناشده قائلا: «التمس من جلالتك ان تمهلنا اياما قلائل ريثما نقيم عرسا لهذا الشاب، ثم اذهب انا ايضا معه لتنفيذ امرك. » ولكن الملك قال: «بل اذهبا اولا الى المشرق واقضيا على المسيحية، ولدى عودتكما سأهتمُّ انا بنفسي معكما باقامة العرس للوسيماكس. » فلم يتجاسرا على الرد على الملك، بل امتثلا امره وذهبا الى المشرق مع جيش كبير. واقام لوسيماكس ابنَ خالته فريمس آمِراً للجيش.

ولما بلغوا ما بين النهرين ، شرع سيلينس ينكّل بالمسيحيين ويقضي عليهم بالسيف والنار ويرمي بجثثهم للكلاب . فاستولى الرعب على المسيحيين من شراسة سيلينس . وفي احدى الليالي ، دعا لوسيماكس ابن خالته فريمس وقال له : «انت تعلم ان ابي مات وثنيا ، ولكن والدتي ماتت مسيحية ، وقد بذلتْ قصارى جهدها لكي اصير انا ايضا مسيحيا . ولكني لم استطعْ الى ذلك سبيلا ، خوفا من ابي ومن الملك . غير انها امرتني بألا اسيءَ الى المسيحيين ، بل ان احب المسيح . وحينما ارى كيف يعامل سيلينس الظالم هؤلاء المسيحيين ، يتمزق

عليهم فؤادي حزنـا واسى . فاريـد ان يُطلق سراحُ المسيحيين سرا» . فلمـا سمـع فريمس ذلـك ، امـر بعـدم القبض على المسيحيين ، وكان يسبق ويرسل الخبر الى الاديرة ويوعز اليهم في الهرب من امام الطاغية سيلينس .

وذات يوم ارادوا الـدخـول الى مدينـة نصيبين الـواقعـة على الحـدود الفـارسيـة والخـاضعـة لمملكـة الـرومـان . وكان في المدينة دير للراهبات يضم خمسين راهبة برئـاسـة برّونـة . وكـان القـانـون يفرض بالا تقوم الراهبات بعمل يوم الجمعة ما خلا العكـوف على الصـلاة والقـراءة الـروحيـة طوال النهـار . وكانت الرئيسة تدرّب بنوع خاص راهبتين شابتين ، احداهما تدعى فروقلة والاخرى فبرونيا . وكانت الاولى في ربيعها الخامس والعشرين ، بينما الثانية ما تزال في العشرين من عمرها .

كانت فبرونيا ابنة اخي برونة ، وكانت رائعة الجمال . لذا كانت الرئيسة تبذل كل جهـدهـا لكي تحفظهـا وتقيها من المعاثر . وبينما كانت الراهبات الاخريات يتناولن الطعـام مرة في كل يوم ، كانت فبـرونيـا لا تأكـل الا مرة كل يومين . وكانت تستريح وقت النـوم على سريـر خشبي طولـه ثلاث اذرع ونصف ذراع وعـرضه ذراع واحدة . وكثيـرا ما كانت ترقـد على الارض العـراء في سبيـل قمـع جسـدهـا . وحينما كانت التجارب تراودها ليلا ، كانت تنهض وتلوذ بالصلاة وبالقراءة الروحية طردا للهواجس الشريرة . وكانت تحب العلم محبة شديدة ، حتى ان الرئيسة والراهبات كن يتعجبن من سعة معارفها .

ولدى اجتماع الراهبات يوم الجمعة للصلاة ، كانت الرئيسة توعز الى فبرونيا في قراءة كلام الله لهن . ولمـا كانت نسـاء علمـا نيـات ايضـا يقصـدن الدير ايام الاحاد والجمـع للاشتـراك في الصـلاة ولسماع القراءة المقدسة ، امرت الرئيسةُ فبرونيا بان تقـرأ لهن وهي وراء الحجـاب . ورغم ذلك فقد شاع خبرها في المدينة واخذ الناس يتحدثون عن علمها وجمالها ووداعتها وتواضعها .

وكـانت في المـدينـة امرأة وثنية شريفة تدعى «اياريا» وقد عاشت مع زوجها سبعة اشهـر وتـرملت وعـادت الى ذويها الوثنيين لتعيش معهم . وما ان بلغها خبر فبرونيا ، حتى ذابت شوقـا الى رؤيتهـا . وفي احـد الايـام جاءت الى الـديـر وطلبت ان تواجه الـرئيسة . ولمـا حضرت الرئيسة ، جثت اياريا عند قدميها وقالت لها : «استحلفك

بالله خالق السمـــاء والارض الا تنفـري مني لكـــوني ما زلت وثنيـة نجسـة والعـوبـة للشيـاطين ، ولا تحـرميني من صحبـة فبـرونيـا وتعليمها ، فأتلقى بواسطتكن طريق الخـلاص وافـوز بمـا هو معدّ للمسيحيين . أنقذيني من بطلان هذا العالم ومن عبادة الاصنـام الـرجسـة . فهـا ان والـديّ يرغمـاني على زواج آخر . فكفاني عذابي من ضلالي الاول ، واريد الآن ان احصل على الحياة بواسطة تعليم اختي فبرونيا وصحبتها . »

كانت «ايـاريـا» تقول هذا وهي تبلّل قدمي الرئيسة بدموعها ، حتى تحننت عليها الـرئيسـة وقـالت لهـا : «يعلم الله ، ايتها السيدة اياريا ، اني تقبلت فبرونيا وهي في ربيعهـا الثـاني ، وقـد امضت الآن ثمـاني عشرة سنة في هذا الدير دُون ان ترى وجه رجـل ولا الـزي العـالمي . وحتى مربيتهـا لم تشـاهد وجهها منذ ذلك الحين ، رغم الحاحها ودموعها . فاني لا اسمح بان يكون لها عشرة مع العلمانيات . ولكن بالنظر الى محبتك الشديدة لله ولها ، ادخلك عندها ، على ان تتوشحي بالزي الرهباني . فلمـا دخلت ايـاريا على فبرونيا بهذا الزي ، ظنتها راهبة غريبة اتت عندها ، فجثت عند قدميها اكراماً لها . وبعد السلام ، امرت الرئيسة بان تأخذ فبرونيا كتابا وتقرأ لها فيه . فامتلأ قلب اياريا حزنا وندامة ، حتى امضت كلتاهما الليل كله دون نوم : لم تكفّ فبرونيا عن القراءة ، ولم تشبع اياريا من تعليمها ، وهي تتنهد باكية متحسرة .

وفي الصبـاح ، لم تستـطـع الـرئيسـة الا بجهـد جهيـد اقنـاع ايـاريا بالعودة الى منـزلهـا . . . ومـا ان بلغت الى ذويها حتى اخذت تحرّضهم على الابتعاد عن عبادة الاصنام وعلى الاقبال على معرفة الاله الحق . وبعد انصراف اياريا ، سألت فبرونيا نائبـة الـرئيسـة تومـايـس وقـالت لها : «التمس منك يا اماه ان تقولي لي من هي هذه الاخت الغريبة التي سكبت هذه الدموع وكأنها لم تسمع من قبل كلام الله ؟» فقالت لها تومايـس : «الا تعرفين هذه الاخت ؟» فاجابتها فبرونيا : «ومن اين لي ان اعرفها وهي غريبة ؟» فقالت لها تومايـس : «انهـا الشريفة اياريا . » فقالت فبرونيا : «لماذا اذن خدعتُنني فخـاطبتهـا كاخت ؟» فقـالت لهـا تومـايس : «ان سيـدتنا رئيسة الدير شاءت ذلك . »

وبعد مدة وجيزة داهم المرض فبرونيا واشتدت عليها وطأته . ولما سمعت اياريا بمرضها ، جاءت اليها ولم تفارقها الا بعد ان استعادت عافيتها .

وفي تلك الايام ، شاع الخبر في مدينة نصيبين ان سيلينس ولوسيماكس قادمان اليها ليرغما المسيحيين على تقديم الذبائح للاصنام . فترك جميع المسيحيين والاقليروس والرهبان مساكنهم ولاذوا بالفرار، واختبأ مطران المدينة نفسه من الخوف . ولما بلغ الخبر مسامع الراهبات ، اجتمعن عند الرئيسة وقلن : «ماذا نفعل ياأماه؟ فقد وصل المضطهدون الى هنا ايضا ، والجميع يفرّون من امامهم . » فقالت الرئيسة : «وماذا تردن ان اصنع لكن؟» فاجبنها : «ان تأمرينا بالاختباء مدة لانقاذ انفسنا . » فقالت الرئيسة : «او تفكرن في الهرب ولما تشاهدن غمار الحرب؟ او غُلِبتنَّ و لما تدخلن النضال؟ لا يا بناتي ، اني لا اريد منكن هذا . بل علينا ان نصمد في الجهاد وان نموت في سبيل ذاك الذي ماتَ لأجلنا ، لكي نحيا معه ايضا» .

ولما سمعت الاخوات هذا الكلام ، اخلدن الى الصمت والهدوء . وفي اليوم التالي ، قالت لهن احداهن واسمها «ايثاريا» : «اني اعلم ان رئيستنا لا تتركنا نغادر المكان لأجل فبرونيا . ولعلها تريد ان نهلك جميعا بسببها . فارى ان ندخل عليها ، وانا ساكلمها عنكن بما ينبغي . » فاقتنع بعض الراهبات بهذا الكلام ، وغيرهن استنكَرن هذه النصيحة . وسادت الفوضى في الدير . واخيرا اجتمعن كلهن واتين الى الرئيسة ليستطلعن رأيها . اما الرئيسة التي علمت ما قالته ايثاريا ، فنظرت اليها وقالت لها : «ماذا تبغين ، يا اختي ايثاريا؟» فاجابتها : «مُري بأن نختبىء ونفرّ من امام الغضب القادم . فنحن لسنا خيرا من الاقليروس ومن الاسقف فكّري ان بيننا من هن شابات . فقد يختطفهن الجنود الرومان ويتعرّضن لتدنيس اجسادهن فيخسرن أجرَ زهدهن ، اولعلنا لا نستطيع احتمال العذابات فنجحد الايمان ونصبح اضحوكة للشياطين ونفقد نفوسنا . فاذا أمرتِنا بالهرب ، فاننا نأخذ معنا فبرونيا ايضا وننطلق . »

وحينما سمعت فبرونيا هذا الكلام ، قالت لهن : «لعمر المسيح الذي خُطِبتُ له وقدّمت له ذاتي ، لن اغادر هذا المكان ، وليكن ما شاء الله . » وقالت الرئيسة : «يا ايثاريا ، انت تعرفين ما صنعت ، وانا بريئة من ذلك . » ثم قالت للاخوات : «كل منكن تدري ما الاصلح لها ، فلتختر ما تشاء . » وكان الخوف قد استحوذ عليهن ،

فخرجن من الدير، بعد ان صلين وودعن الرئيسة وفبرونيا بحزن بالغ وبكاء مر. اما افرقلة التي تربت مع فبرونيا فعانقتها واخذت تبكي وتقول: «وداعا يا فبرونيا: وصلي لاجلي.» وامسكت فبرونيا بيديها ومنعتها من الخروج وقالت لها: «خافي الله، يا افرقلة، ولا تتركينا انت ايضا. الا ترين اني ما ازال مريضة؟ وقد اموت ولا تستطيع الرئيسة وحدها ان تدفنني. فامكثي عندنا، حتى اذا متّ تواريني التراب.» فقالت افرقلة: «ما دمتِ قد امرتني، يا اختي، فلن اتركك.» وقالت لها الرئيسة: «ها قد وعدت امام الله بانك لن تتركينا». ولكن ما ان حل المساء، حتى غادرت افرقلة الدير لاحقة بالاخريات.

ولما رأت الرئيسة ان الدير قد خلا من الراهبات، دخلت المعبد وارتمت على الارض واخذت تصرخ وتبكي. وكانت تومايس نائبتها جالسة بجانبها تعزّيها وتقول: «كفّي يا اماه، فان الله قادر ان ينقذنا من هذه المحنة. فمن ذا الذي آمن بالله وخزي؟ ومن تمسك بعبادته وهو تخلى عنه؟» فاجابتها الرئيسة: «اجل يا تومايس، اني ادري ان الامر كذلك، ولكن ماذا اصنع بفبرونيا؟ واين اخبئها وانقذها؟ وكيف انظر اليها اذا اختطفها البرابرة؟» فقالت لها تومايس: «انسيت ما قلته لك؟ ان القادر على احياء الموتى يستطيع ايضا أن يقوّي فبرونيا ويخلصها. فكفّي عن البكاء، ولنمض لنشجّع فبرونيا التي مازالت تعاني من المرض.»

وما ان بلغت الرئيسة الى الدكة التي كانت فبرونيا راقدة عليها حتى ارتفع نشيجها واحتضنتها وهي تذرف الدموع مدرارا. وحينما رأتها فبرونيا على تلك الحال، قالت لتومايس: «اناشدك يا اماه ان تقولي لي ما هو سبب بكاء امنا الرئيسة؟ فلقد سمعت صراخها قبل قليل وهي في المعبد.» فاجابتها تومايس باكية: «يا ابنتي فبرونيا، انما رئيسة الدير تبكي وتتنهد من اجلك، بالنظر الى المحن المزمعة ان تأتينا من الظالمين. وهي تحزن عليك لكونك صبية حسناء.» فقالت فبرونيا: «التمس منكما ان تصليا من اجلي فقط، فلعل الله ينظر الى ذلّي فيقويني ويوليني الصبر، كما فعل للذين احبوه.»

فقالت توماليس: «يا ابنتي فبرونيا، هوذا زمان الجهاد. فاذا قبض الجنود علينا، فانهم سيقتلوننا انـا والرئيسة سريعا لكوننا عجائز. اما انت الشابة الجميلة فيمهلونك ويحاولون اغراءك بكلمات عذبة واستمالتك بالذهب والفضة. فحذار يا ابنتي من ان تنقادي اليهم فتفقدي اجر السنين التي أمضيتِها في الرهبنة وتصيري اضحوكة للشياطين والوثنيين. فلا شيء اكرم عند الله من البتولية. وعريس البتولات غير مائت وهو يولي الخلود للذين يحبونه. فحاولي يا فبرونيا ان تنظري الى ذلك الذي خصصت له ذاتك، ولا تنكثي عهدك. فما ارهب ذلك اليوم الذي فيه يكافأ كل حسب اعماله!» فلما سمعت فبرونيا هذا الكلام، تشجعت وهيأت نفسها لمجابهة الشيطان، وقالت لتومايس: «احسنت يا سيدتي باسدائك النصح الى خادمتك. فاني قد تقويت كثيرا بكلامك. فلو اردت الهرب من الجهاد، لغادرت المكان انا ايضا مع اخواتي واختبأت. ولاني احب ذاك الذي خصصت له ذاتي، فانا مهتمة بالذهاب اليه اذا جعلني اهلا للتألم والجهاد في سبيله؟»

فلما سمعت الرئيسة هذا الكلام، شرعت هي ايضا تبذل النصح لفبرونيا وتقول: «اذكري كيف انقدت لتعليمي. اذكري انك كنت تعلّمين الاخريات ايضا. اذكري اني اقتبلتك من مربيتك وانت في الثانية من سنك، وحتى الآن لم يشاهد رجلٌ وجهَك، ولم ادعك تصاحبين العلمانيات. فلقد حفظتك الى اليوم يا ابنتي، كما تعلمين. اما الآن فما العمل؟ فلا تعرّضي شيخوختي للهوان وتجعلي تعب امك الروحية باطلا. اذكري المجاهدين الذين سبقوك واستشهدوا بنوع مجيد ونالوا اكليل الظفر من الله. ولم يكونوا من الرجال حسب، بل من النساء والصبيان ايضا. اذكري لوبه ولاونيدة اللتين استشهدتا: فقد تكللت لوبه بالسيف وأُحرقت لاونيدة بالنار. اذكري كيف استشهدت الصبية طروفية مع والدتها وهي في الثانية عشرة من سنها. اما كنتِ دوما تتعجبين من صبر طروفية واحتمالها، حينما امر الحاكم برشقها بالسهام وهي طليقة تخاف من السهام وتهرب، فسمعت امها تقول لها: لا تهربي يا ابنتي طروفية. فشدت يديها من الوراء ولم تهرب، بل اصيبت بسهم وسقطت على الارض وماتت، ولم تخالف امر امها؟ الم تكوني تعجبين دوما بصبرها وطاعتها؟ وكانت هي

صبية جاهلة ، في حين انـك كنت تعلّمين الاخريات . » ولم تزل تخاطبها بمثل هذه الاقوال حتى انقضى الليل .

ومـا ان اشـرقت شمس اليوم التالي ، حتى علا ضجيج سكان المدينة وسادت فيها الفوضى حينما احتلها سيلينس ولوسيماكس . وقبض العساكر على مسيحيين كثيرين واودعـوهم السجن . واخبـر بعض الـوثنيين سيلينس بشأن الـديـر . فارسل اليه جنودا كسـروا الابـواب ودخلوا وقبضوا على برونة وهمَّ بعضُهم بقتلها على الفور . ولما رأت فبـرونيـا الخطـر المـداهم ، نهضت وارتمت على اقدام الجنود وصرخت بصوت عال وقـالـت : «استحلفكم بالـه السماء ان تقتلوني اولا فلا ارى موت سيدتي . » ولما اقبل فريمس ورأى ما صنعـه الجنـود ، غضب عليهم جدا وامـرهم بالخروج من الدير . ثم قال للرئيسـة : «اين ساكنـات هذا المـوضـع ؟» فاجـابته : «لقد غادرن الموضع خوفا منكم» فقال لها فريمس : «ليتكن انتن ايضا نجوتن بانفسكن . ولديكن المجال الآن ايضا للهرب حيثما تشأن . » ثم غادر الجيش الروماني الدير دون ان يترك فيه حراسا .

ولما عاد فريمس الى لوسيماكس ، سأله هذا : «احق هو ما بلغنا عن ذلك الدير؟» اجـابـه فريمس : «اجل ، حق هو» . ثم تنحى بلوسيماكس وقال له : «جميع ساكنات الـديـر قد هربن ، ولم نجـد فيـه سوى عجوزَيـن وشـابة . الا ان العجب اعتراني لما شاهـدتـه في ذلـك الـديـر . فقـد رأيت شابة لم أرَ نظيرها قط ولم أرَ في النساء جمالا يضـاهي جمـالهـا . وتعلم الآلهـة اني حينمـا شاهـدتهـا راقـدة على الـدرج تولاني الانـذهـال . ولـولا كونها مسكينة وبائسة ، لاستحقت ان تكون زوجة لسيدي . » فقال لوسيمـاكس : «اذا أُوصيتُ بعدم سفـك دم المسيحيين بل ان اكون محبا للمسيح . فأنى لي ان اسيء الى الـذين هم للمسيـح ؟ فحـاشا لي ان افعل ذلك . والآن اطلب منـك ياسيـدي فريمس ان تخـرجهن من هنـاك وتخلصهن لئلا يقعن في قبضة عمي سيلينس العديم الرحمة . » الا ان احد اولئك الجنود ذهب الى سيلينس وقال له : «لقد وجـدنـا في الـدير شابة رائعة الجمال ، وها ان فريمس يتحدث الى لوسيماكس بشأن الـزواج منهـا . » فلما سمع سيلينس هذا الكلام ، احتدم غيظا واقام حراسا على الدير لمنـع الـراهبـات من الهـرب . ثم امر فنادوا في المدينة : «غدا ستُدان فبرونيا علنا في

الملعب . » ولما سمع سكان المدينة وضواحيها هذا الامر، توافدت جموع من الرجال والنساء لكي يشاهدوا جهاد فبرونيا .

وفي اليوم التالي ، ذهب جنود الى الدير واختطفوا فبرونيا من الدكة التي كانت راقدة عليها ، وقيدوها بالسلاسل وكبلوا عنقها بطوق من حديد ثقيل ، وجروها واخرجوها من الدير. اما برونة وتومايس فتشبثتا بفبرونيا وتوسلتا الى الجنود ببكاء بان يتيحوا لهما التحدث اليها قليلاً . فاستجاب الجنود الى طلبهما وامهلوهما . ثم توسلتا اليهم ان يذهبوا بهما ايضا الى الجهاد، لكي لا تُترك فبرونيا وحدها لئلا يداخلها خوف . الا ان الجنود اجابوهما : «اننا لم نتلقَّ امرا بشأنكما بل بشأن فبرونيا وحدها . » واذ ذاك شرعتا تشجعان فبرونيا . فقالت لها برونة : «يا ابنتي فبرونيا ، ها انك ماضية الى الجهاد . ففكري ان العريس السماوي ينظر الى نضالك ، وان القوات السماوية تحمل اكليل الظفر وتقف امامه وهي منتظرة نهاية جهادك . فلا تخافي من العذابات لئلا تصبحي مهزلة للشياطين ، ولا تشفقي على جسدك الذي سينحلّ من الضربات . فعلى هذا الجسد ان ينحلّ بعد قليل ويستحيل ترابا في القبر. فانا باقية في الدير حزينة ومنتظرة ان يأتيني منك خبر سارا كان ام محزنا . وارجو يا ابنتي ان تأتيني عنك بشرى سارة . فمن ذا يقول لي ان فبرونيا اسلمت نفسها للعذاب . ومن ذا يبشرني ان فبرونيا انجزت جهادها وأُحصيتْ في عداد شهداء المسيح ! »

فقالت فبرونيا : «ثقتي بالله ، يا اماه ، اني لن اخالف الآن اوامرك ونصائحك ، كما اني لم اخالفها قط . وسترى الشعوب وينذهلون ويعطون الطوبى لشيخوخة برونة قائلين : «انها النبتة التي غرستها يدُ برونة حقا . وسأظهر في جنس النساء عزيمة الرجال وبأسهم . فاتركيني لاذهب . » فقالت تومايس : «حي هو الرب ، يأابنتي فبرونيا ، اني سأرتدي الزي العلماني وآتي لمشاهدة جهادك . » واذ كان الجنود يعجّلون في الذهاب بها ، قالت لهما فبرونيا : «التمس منكما ، يا والدتيّ ، ان تزوّداني بالبركات وان تصليا لأجلي وان تتركاني لأذهب . » فمدت برونة يديها نحو السماء ورفعتْ صوتها وقالت : «ايها الرب يسوع المسيح ، انت الذي ظهرت لأمتك تقلا كما ظهرت لبولس ، التفتْ ايضا الى هذه المسكينة في وقت الجهاد . » قالت هذا وعانقت فبرونيا وقبّلتها ، ثم تركتها تمضي . فاقتادها الجنود، بينما عادت برونة الى الدير

ودخلت المعبد وارتمت على الارض واخذت تبتهل الى الله بالحزن والدموع وتتضرع اليه من اجل فبرونيا.

اما توماييس، فقد لبست الزي العلماني وخرجت لمشاهدة الجهاد. وكذلك فعلت جميع النساء العلمانيات اللواتي كن يأتين الدير يوم الجمعة ويسمعن قراءة الكتب المقدسة، وهن باكيات وقارعات صدورهن ومتوجهات الى موضع المشهد. ولما سمعت الشريفة اياريا ان الراهبة فبرونيا ستُدان في المحكمة، قامت واخذت تبكي بمرارة، حتى ان والديها واهل بيتها انذهلوا وسألوها عن السبب. فاجابتهم: «ان اختي فبرونيا نزلت الى المحكمة، ومعلمتي تُدان ويُحكم عليها لكونها مسيحية.» وقد ناشدها ذووها بالكف عن الحزن، ولكنها كانت تزداد أسى وبكاء وتقول لهم: «دعوني ابكي على اختي ومعلمتي فبرونيا.» حتى انها حملت ذويها على الحزن على فبرونيا، وطلبت منهم ان يأذنوا لها بالذهاب لمشاهدة الجهاد. واصطحبت معها الكثير من العبيد والاماء ونزلت مسرعة الى الساحة باكية، وسبقتْ في طريقها جماعات من النساء اللواتي كن ذاهبات الى هناك حزينات. وصادفت في دربها توماييس فعرفتها، فانطلقتا سوية الى موضع المشهد بحزن وبكاء.

حينما اجتمع جمهور غفير في ذلك الموضع، اقبل سيلينس ولوسيماكس ايضا وجلسا على المنصة، ثم امرا بادخال فبرونيا. فأُحضرتْ ويداها موثوقتان وفي عنقها طوق حديدي ثقيل. ولما رآها الجمهور، تصاعدت الزفرات. وقامت فبرونيا في الوسط، وامر سيلينس بالسكوت، ثم قال للوسيماكس: «اطرح انت الاسئلة عليها». فقال لها لوسيماكس: «قولي لي يا بنت، ماذا انت؟ اجارية ام حرة؟» فاجابته فبرونيا: «اني امة». فقال لها: «امة من انت؟» اجابت: «امة المسيح» فقال لها: «وما اسمك؟» اجابت: «اني مسيحية مسكينة.» فقال لها: «اريد ان اعرف اسمك.» فاجابت: «لقد قلت لك اني مسيحية مسكينة. واذا اردت معرفة اسمي، فسيدتي تدعوني فبرونيا.»

واذ ذاك اسكت سيلينس لوسيماكس، وشرع هو ذاته يستنطق فبرونيا. فقال لها: «تعلم الآلهة، يا فبرونيا، اني لم اكن اودّ استنطاقك. فان وداعتك وتواضعك وجمالك

الرائع اخمد غضبي عليك. ومن ثمة فاني لا اوجّه السؤال اليك كمذنبة، بل اسألك كابنتي الحبيبة. فاسمعي يا ابنتي، لقد انفقنا مالا كثيرا لخطوبة لوسيماكس انا واخي انتيمس. ولكني اليوم افسخ هذه الخطوبة مع ابنة فرفوريوس، وابرم عهدا معكِ لتصبحي زوجة لسيدي لوسيماكس الذي انا جالس عن يمينه، وهو شاب جميل مثلك. فاسمعي نصيحتي انا اباك فاجعلك ذات شأن عظيم على الارض، ولا تخافي من كونك فقيرة. فانا لم يبقَ لي امرأة واولاد،وكل ما املكه اسجّله باسمك واجعلك سيدة جميع اموالي واهبك اياها مهرا. فاكون انا بمثابة اب لك وللوسيماكس. وستكونين كريمة على الارض وستغبطك جميع النساء على مقامك الرفيع. وسيرفع ملكنا الظافر شأنكما ويهبكما الكثير من الهبات. فقد وعد ان يعين لوسيماكس في منصب الحاكم الرفيع. والآن ردّي عليّ انا اباك جوابا يرضي الآلهة ويفرحني. اما اذا قاومت ارادتي ولم تخضعي لكلماتي، فتعلم الآلهة انك لن تعيشي ثلاث ساعات بين يديّ. فاجيبيني بما تشائين.»

فقالت فبرونيا: «ايها الحاكم، ان لي في السماء خدرا لم تصنعه ايادي البشر، وعرسا لا يزول، ومهرا قوامه ملكوت السماء، وعريسا غير مائت ولا يزول ولا يتغير، ومعه ساتنعم الى الابد. لذا فاني لا اريد ان اسمع ما تقوله عن مساكنتي لرجل مائت وقابل الفساد. فلا تجهد نفسك، ايها الحاكم، اذ لن تحصل مني على شيء لا بالوعد ولا بالوعيد.» فلما سمع الحاكم هذه الاقوال، احتدم غيضا وامر الجنود بتمزيق ثيابها وبتوشيحها رقعا بالية وايقافها على تلك الحال من الهوان والعراء امام الجميع، لكي ترى ذاتها على تلك الحال فتعطي الويل لنفسها. وسرعان ما مزّق الجنود ثيابها وشدوا لها خرقا بالية واوقفوها عارية امام الجميع. فقال لها سيلينس:

«ماذا تقولين يا فبرونيا؟ ترين من اي خيرات هويت والى اي هوان انحدرت؟» فاجابت فبرونيا: «اسمع ايها الحاكم، فلو انك عريتني تماما من ثيابي، لما حسبت هذا هوانا. لان صانع الذكور والاناث واحد. واني لست تائقة الى التعري من الثياب حسب، بل انا متهيئة ايضا لعذاب النار والسيف ان كنتُ اهلا لاتألم في سبيل ذاك الذي تألم من اجلي.»

فقال سيلينس : «ايتها الوقحة والمستحقة كل الهوان، اني اعلم انك فخورة بجمال اعضائك، فلا تحسبين عريك خجلاً وهواناً، بل فخراً». فاجابته فبرونيا: «اسمع ايها الحاكم، يعلم الله سيدي اني لم ارَ وجهَ رجل حتى الآن. ولاني وقعت بين يديك دُعيتُ وقحة بلاحياء؟ ولكن قل لي ايها الحاكم الجاهل وعديم الاحساس، هل من مجاهد ينزل الى حلبة الالعاب الاولمبية وهو متوشح بثيابه؟ الا يقف عاريا في الجهاد الى ان يتغلب على منافسه؟ اما انا فانتظر العذابات والنار، فأنى لي ان اصارع وانا لابسة ثيابي؟ اما ينبغي لي ان اجابه العذاب وانا عارية الى ان انتصر على الشيطان ابيك واحتقر عذاباتك وتهديداتك؟» فقال سيلينس: «انها لقد صارت هي سبب عذاباتها، ولانها استخفت بالتهديد والنار، فمدّوها على الارض، واضرموا النار تحتها، وليتقدم اربعة جنود ويجلدوا ظهرها بقضبان» فامتثلوا امره واخذوا يضربونها مدة طويلة حتى تفجر الدم من ظهرها وتساقطت قطراته على الارض كالمطر. وكانت النار تضطرم وتحرق احشاءها وهم يُذكونها بالزيت ليزداد لهيبها وتلتهم جسد فبرونيا. وبينما كانوا يضربونها مدة طويلة دون شفقة، كان الشعب كله يصرخ ويناشد الحاكم ويقول: «ايها الحاكم محب البشر، اشفق على هذه الصبية.» ولكنه لم يرضخ، بل امر بضربها اكثر. وحينما رأى ان جسدها تمزّق وان لحمانها اخذت تتناثر على الارض مع الدم، اوعز في الكف عن ضربها، فالقوها خارج النار ظانين انها قد فارقت الحياة.

ولما شاهدت تومايس ما حلّ بفبرونيا من الشدائد، أُغمي عليها وسقطت على الارض عند قدمي اياريا. وصاحت اياريا بصوت عالٍ وقالت: «وا اختاه فبرونيا! وا سيدتي ومعلمتي! اننا قد حُرمنا اليوم ليس من تعليمك حسب، بل ومن تعليم تومايس ايضا التي تموت الآن.» ولما سمعت فبرونيا صوت اياريا، وهي ملقاة على الارض، طلبت من الجنود ان يرشوا وجهها بماء. ولما فعلوا، استفاقت وطلبت مشاهدة اياريا. اما الحاكم فامر بان تقوم وتعطي الجواب. فقال لها: «ماذا تقولين يا فبرونيا، وكيف خضت النزال الاول؟» فاجابته فبرونيا: «لقد علمتَ من الخبرة الاولى اني لا أُغلَب واني احتقر عذاباتك!» فقال سيلينس: «علّقوها على خشبة، واجردوا جنبيها بامشاط حديدية، ثم اضرموا النار فيها حتى تحرق عظامها ايضا.» فانجز الجنود

امره ، ومشطوها حتى تناثرت لحمانها مع دمها على الارض . ثم ادنوا منها النار، واحرقوا جنبيها . فقالت فبرونيا وعيناها شاخصتان الى السماء : «هلم يا رب الى معونتي ، ولا تتخلَّ عني في هذه الساعة . » ثم سكتت من فرط عذاب النار.

وكثيرون من المشاهدين غادروا الموضع مستائين من قساوة سيلينس . وكان آخرون يصيحون ويطالبون الحاكم برفع النار عنها . فامر برفع النار عنها، وشاء ان يستجوبها وهي معلقة على الخشبة . واذ لم تستطع الاجابة، امر بانزالها وشدّها على عمود آخر لكونها عاجزة عن الوقوف على رجليها . ثم امر باحضار طبيب وقال له : «لان هذه اللعينة النجسة لا تريد الجواب على محكمتنا، فليُقطَعْ لسانها . فاخرجت فبرونيا لسانها وناشدت السياف ان يقطعه . واذ همّ هذا بقطع لسانها، صرخ الجمع كله وناشد الحاكم الا يقطعه . فامر اللعين سيلينس بان تُقتَلع اسنانها . وشرع الطبيب يقلع اسنانها ويرمي بها على الارض . ولما قلع سبعا منها، واخذ الدم يجري من فمها بغزارة، امره الحاكم بايقاف النزيف، اذ اغمي على فبرونيا من جراء ذلك . فوضع الطبيب دواء في فمها واوقف الدم .

ثم سألها سيلينس : «ماذا تقولين ، يا فبرونيا ؟ افلا تخضعين الآن ايضا للمحكمة وتعترفين بالآلهة ؟» فاجابته فبرونيا : «قبّحك الله ايها الشيخ اللعين الشرير ، لانك تصدّني عن الذهاب الى عريسي . فأسرعْ وأخرجْني من هذا الجسد ، فها ان حبيبي ينتظرني . » فقال سيلينس : «اني لاحطم جسدك شيئا فشيئا بالنار والسيف ، فما يزال حماس شبابك يفضي بك الى الوقاحة . » ولم تستطع فبرونيا ان تجاوب لفرط الآلام . فازداد غضب سيلينس وامر الطبيب بقطع ثدييها . فلما اخذ الطبيب سكينا ودنا من فبرونيا ، تعالى صراخ الجموع وناشدوا الحاكم ان يجنّب الصبية هذا العذاب . الا ان الحاكم غضب على الطبيب وقال له : «اقطع ايها اللعين الغريب عن حياة الآلهة» . فاخذ الطبيب السكين وشرع يقطع ثديَها الايمن . فرفعت فبرونيا صوتها الى السماء وصرخت بألم عظيم وقالت : «ايها الرب الهي ، انظر الى ما انا فيه من الشدة والظلم ، واقبل نفسي» . ثم سكتت .

ولما قطع الطبيب ثدييها ورمى بهما على الحضيض ، امر الحاكم باجزاق موضعيهما . وما زالوا يحرقونهما حتى ولجت النار الى داخلها بحيث ان الجموع اشمأزت من هذه العذابات الخالية من كل رحمة ، فغادرت الموضع وهي تقول : «اللعنة على ديوقلتيانس وآلهته» . فارسلت توماليس واياريا فتاة الى الدير لتطلع بروئة على ما جرى ، واوصتا الفتاة بان تقول لبرونة الا تكفّ عن الصلاة والتضرع الى الله لاجل فبرونيا التي توجد في وسط آلام هائلة . ولما تلقت برونة هذه البشرى ، اخذت تبتهل الى الله وتقول : «ايها الرب يسوع المسيح ، هلم الى مساعدة امتك فبرونيا .» وانطرحت على الارض مدة طويلة وهي تصلي وتقول : «وا ابنتي فبرونيا ، وا ابنتي فبرونيا ، اين انتِ ؟» وعادت الفتاة الى موضع المشهد ، بينما عكفت برونة على الصلاة والتضرع الى الله وهي تقول : «يا رب ، انظر الى تواضع امتك فبرونيا وهلمَّ الى مساعدتها ، لكي ترى عيناي ان فبرونيا تكللت وأحصيتْ مع الشهداء الظوباويين .»

بعد ذلك امر الحاكم بحلّ فبرونيا من العمود . فهوت على الارض لكونها عاجزة عن الوقوف . واذ ذاك قال فريمس للوسيماكس : «لماذا تهلك هذه الصبية ؟» فقال له لوسيماكس : «دعها يا سيدي فريمس ، فانها تجاهد في سبيل خلاص كثيرين ، وربما لخلاصي ايضا . فاني سمعت من والدتي امورا كثيرة مشابهة لهذه . اليس لي سلطة لاحلّها واطلقها ؟ ولكن دعها تنتصر ، لانها تجاهد لاجل خلاص كثيرين .» اما اياريا فقامت وصرخت على الحاكم وقالت : «يا عديم الانسانية ، الم تكفك العذابات التي انزلتها بهذه الصبية المسكينة ؟ الم تتذكر والدتك التي كان لها مثل هذا الجسد ؟ الم تتذكر انك رضعت بعد ميلادك مثل هذين الثديين حتى بلغت الى قامتك الحالية ؟ اني لمتعجبة كيف لم يؤثر شيءٌ في قلبك الخالي من الرحمة . فلا يشفقن عليك الملكُ السماوي ، كما انك لم تشفق على هذه المسكينة .» فاحتدم الحاكم غيظا على اياريا عند سماعه هذا الكلام منها ، وامر بانزالها هي ايضا الى المحكمة . فلما سمعت اياريا ، اسرعت في النزول فرحة وهي تقول : «يا اله فبرونيا ، اقبلني انا الوثنية المسكينة ايضا مع سيدتي فبرونيا .»

وبينما كانت نازلة ، نصح الحاكمَ بعضُ اصدقائه وقالوا له الا يُنزِلَ اياريا الى الجهاد والا فسيستشهد الشعب كله معها فتخلو المدينة من سكانها . ففعل بنصيحة اصدقائه ولم ينزلها . ولكنه قال لها بغضب شديد : «اسمعي يا اياريا ، بحياة الآلهة ، لقد صرت سبب شدائد اخرى كثيرة لفبرونيا .» وعلى الفور أمر بان تُقطَعَ يدا فبرونيا ورجلها اليمنى . فجلب فعلة الشر سندانا وقطعوا فوقه بفأس يدَها اليمنى ثم اليسرى . ثم وضعوا عليه رجلها اليمنى وضربها الجلاد بفأسه ولكنه لم يستطع بترها ، وحاول ثانية ولم يفلح ، وفي المرة الثالثة بترها بجهد . اما الطوباوية فكان جسمها كله يرتعد واوشكت ان تلفظ انفاسها الاخيرة ، وهي تحاول ان تضع رجلها الاخرى ايضا فوق السندان وتناشد الجلاد ان يبترها . ولما رآها الحاكم قال : «عاينوا صبر هذه الوقحة !» وبغضب شديد اوعز الى الجلاد في قطعها .

وحينما قطع رجلها الاخرى ايضا ، نهض لوسيماكس وقال لسيلينس : «أبقيَ لك شيءٌ آخر تفعله بهذه البائسة ؟ فلنمضِ الآن فقد حان وقت الغداء .» اما سيلينس الاثيم فقال : «بحياة الآلهة ، اني لن اتركها حية ، بل اكون ههنا حتى تموت .» فغاصت فبرونيا في نزاع طويل . وقال سيلينس للجلادين : «اما زالت هذه اللعينة حية ؟» فاجابوه : «اجل ، ما زال فيها رمق من الحياة .» فامر سيلينس بقطع رأسها . فاخذ الجلاد سيفا وامسك بشعر فبرونيا ونحرها كما تُنحَر الشاة . واذ ذاك قام الحكام وذهبوا لتناول الغداء . وكان لوسيماكس يسير وعيناه مغرورقتان بالدموع . وهمّ الجمع الغفير باختطاف جسد فبرونيا . الا ان لوسيماكس اوعز الى بعض الجند الرومان في حراسة جثتها . اما هو فقد اعتراه حزن عميق وخنقته العبرات ، ولم يستطع الى تناول الطعام والشراب سبيلا ، بل انزوى في الغرفة واستسلم الى الحزن على مقتل فبرونيا . وعلم عمه سيلينس ان لوسيماكس متضايق ، فلم يأكل هو ايضا ولم يشرب ، بل قام واخذ يتمشى في فناء دار الولاية . وبينما هو يتمشى وقد اخذ منه الاسى مأخذه ، نظر بغتة الى السماء وظل وقتا منذ هلا ، ثم صرخ كالثور ، ووثب وضرب رأسه باحد العواميد فسقط ميتا .

واذ ذاك علا الضجيج وسادت الفوضى في دار الولاية ، واقبل لوسيماكس مسرعا ووقف عند جثة عمه وسأل عن القضية ، فاخبروه بالامر . فهزّ لوسيماكس رأسه

وقال : «ما اعظم اله المسيحيين ! فقد انتقم الله لدم فبرونيا الذي سُفكَ ظلما . »
قال هذا وامر باخراج سيلينس . ثم دعا فريمس وقال له : «استحلفك باله المسيحيين الا تخالف امري ، بل مُرْ سريعا بصنع صندوق لفبرونيا من خشب فاخر ، ثم أرسِلْ من ينادي في المدينة أن بوسع جميع المسيحيين ان ياتوا لتشييع جثمان فبرونيا دون خوف ، ولا سيما ان عمي الطاغية قد قضى نحبه . اما انت يا سيدي فريمس ، فخذْ ما شئت من الجنود ، وليحملوا جثمان فبرونيا الى الدير عند برونة . ولا تدع احدا من الجمهور يختطف شيئا من جسدها المقدس اومن اعضائها المبتورة . ولا يلعق كلب او اي من الحيوانات النجسة من الدم الذي سفكته القديسة ، بل احفروا حتى التراب الذي فوقه سُفك دمُها واحملوه الى الدير . »

وانجز فريمس ما قاله لوسيماكس . فامر الجنود بحمل جسد فبرونيا . اما هو فاخذ رأسها ورجليها ويديها وجميع الاعضاء التي بُترت من جسم الطوباوية ، ولفّها بردائه ثم مضوا الى الدير . وكانت الجموع تتراكض وتحاول اختطاف شيٍ من اعضائها المبتورة . وازداد الازدحام على فريمس حتى اضطر الجنود الى ابعاد الشعب عنه بسيوفهم المستلة . وبالجهد الجهيد استطاعوا الوصول الى الدير . فادخلوا فيه جثمان القديسة ، ولم يسمحوا لاحد بالدخول اليه ، ما خلا تومايس وايباريا . اما الجموع الاخرى فقد ابقاها الجنود خارج الدير . ولما رأت برونة جسد فبرونيا وهو على تلك الحال من التقطيع ، انهارت على الارض واغمي عليها مدة طويلة . اما فريمس فقد ترك جنودا يحرسون الدير ، وعاد الى دار الولاية عند لوسيماكس .

وبعد ساعات عديدة ، استفاقت برونة واحتضنت جسد فبرونيا واخذت تصرخ وتقول : «يا ابنتي فبرونيا ، انك اليوم تؤخذين من امام عيني امك برونة . فمن سيقرأ الكتب المقدسة للاخوات ؟ واي ايادٍ ستقلّب صفحات الكتب ؟» وبينما كانت تقول ذلك ، اقبلت راهبات الدير كلهن مع ايثاريا ، وارتمين جميعا على جسدها المقدس وهن باكيات . وكذلك فعلت ايباريا وهي تقول : «اني اجثو امام هاتين الرجلين المقدستين اللتين داستا رأس اللتين ، واقبّل جراح الجسد المقدس التي بها شُفيت

جروحُ نفسي ، واضفر اكليل الثناء واضعه على الرأس الذي شرف جنسنا بمحاسن النصر . » واستمرت ايا ريا مع الاخوات على هذه الحال حتى وقت صلاة الساعة التاسعة . فصرخت رئيسة الدير وخاطبت فبرونيا باللغة السريانية وقالت : «اين انت يا فبرونيا ؟ يا ابنتي الصغيرة ، قومي وهلمي معنا الى الصلاة . » وقالت تومايس : «يا اختي فبرونيا ، انك لم تخالفي قط امر رئيستنا ، فلماذا لا تطيعينها الآن ؟»

وازداد الاضطراب والصراخ بين الاخوات . وفي المساء غسلن جسد الطوباوية ووضعنه على مصطبة ورتبن كلا من اعضائها في موضعه . ثم امرت برونة بفتح الباب امام الجمهور . فدخلت الجموع واخذت تمجد الله . وكانت جميع النساء يبكين لحرمانهن من معلمتهن . ووصل بعض من الاباء القديسين وكثير من الرهبان وامضوا الليل كله ساهرين في الصلاة .

اما لوسيماكس ، فدعا فريمس وقال له : «يا سيدي فريمس ، اني اكفر بجميع عادات آبائي وبارثهم واموالهم ، وانضمُّ الى المسيح . » فقال فريمس : «وانا ايضا العن ديوقلتيانس ومملكته ، واكفر بارث آبائي وانضمُّ الى المسيح . » وتركا دار الولاية وجاءا الى الدير مع الجموع .

وعند الصباح ، جيءَ بالصندوق . فاحتفلوا بجسد القديسة بالصلوات والدموع ثم وضعوه في الصندوق ، ضامين كلا من الاعضاء الى مكانه . اما الاسنان فوضعوها على صدرها . وملأوا الصندوق بالطيب والمسك والبخور الفاخرة . وازداد ضجيج الجموع وصراخهم وحالوا دون رفع الصندوق . فأخذ اسقفُ المدينة وسائر الرهبان والاقليروس يناشدونهم بوضع الصندوق في موضعه ، ولكن الجموع لم ترضخ لذلك . فصعدت برونة الى مكان مرتفع وشرعت تناشد الجموع وتقول : «اسألكم يا سادتي واخوتي ، دعوها تمضي الى موضعها . » فانصاع الشعب كله لبرونة ، واحتفلوا بجسد القديسة بالصلوات الكثيرة والدموع ، ووضعوه في مكان لائق من الدير وهم يمجدون الله .

وآمن بالمسيح جم غفير من الوثنيين واعتمدوا . واعتمد لوسيماكس ايضا وفريمس وتخلّيا عن العالم وذهبا مع مرقلينا رئيس الدير وترهبا وامضيا حياتهما في ما

يرضي المسيح . وكثير من الجنود ايضا آمنوا بالمسيح ونالوا العماد . وتركت اياريا اهلها وتخلت عن العالم وانزوت في الدير واوقفت جميع اموالها على الدير . وطلبت من برونة وقالت لها : «التمس منك يا اماه ان اكون عندك بمثابة فبرونيا فأخدمك مثلها . » ثم تخلت اياريا عن جميع مصوغاتها ووشحت صندوق الطوباوية بالذهب والجواهر من جميع جهاته .

في ذكرى استشهاد الطوباوية ، تجتمع اديرة النساء وجموع غفيرة ، لاسيما لاجل الآية التي تجري في منتصف الليل . فعند القيام بصلاة الليل ، تظهر القديسة فبرونيا وهي واقفة في مكانها المألوف حتى صلاة الساعة الثالثة . وتعتري الرهبة جميع الحاضرين دون ان يتجاسر احد على الدنو منها او ان يسألها . ذلك لانها حينما ظهرت في السنة الاولى ، استولى الرعب على جميع الاخوات . اما برونة فصرخت وقالت : «ها هي ذي ابنتي فبرونيا ، وهرعت اليها لتعانقها . ولكنها اختفت . لذلك فلم يتجاسر احد على الدنو منها ، بل يكتفي الجميع بسكب دموع الفرح لرؤيتها .

وبنى اسقف المدينة للطوباوية فبرونيا كنيسة جميلة وانجزها في ست سنين . ولما اتمها ، دعا الاساقفة المجاورين واقام عيدا كبيرا واحتفالا فخما في الرابع والعشرين من حزيران . فاجتمع جمهور غفير من الناس حتى ضاقت بهم الكنيسة والدير ، واقيمت الصلاة في كل موضع . وعند الصباح ، بعد ان أنهوا صلاة الفجر ، جاء الاساقفة الى الدير ليأخذوا جثمان القديسة ويضعوه في الكنيسة التي شُيّدتْ لها . وكان يرافقهم جمهور غفير بالفنود والمشاعل والمباخر . ولما دخلوا وصلّوا في الدير ، جلسوا واستدعوا برونة وقالوا لها : «لقد تجلت حتى على الارض ثمار اعمالك الصالحة وجهودك الحميدة ، ولا يسعنا امتداحها كما ينبغي . هكذا كان يجب ان تكون رئيسات الاديرة ، فيقدمن مثل هذه الثمار لله . واننا لعاجزون عن وصف الامجاد اللائقة بالشهيدة القديسة ، لذا فاننا نحجم عن ذكرها ، لان اللسان قاصر عن وصفها . الا اننا قصدناك كاخت لنا ، ملتمسين منك ان تكرمي معنا الشهيدة المظفرة ، فتعطيها لنا لكي تسكن في الكنيسة التي شُيِّدتْ لاسمها . »

ولما سمعت الاخوات هذا الكلام ، ارتمين كلهن على ارجل الاساقفة وقلن : «نتوسل اليكم يا سادتنا ان تترحموا علينا نحن المسكينات فلا تحرمونا هذه الجوهرة .» وشرعن يبكين وقتا طويلا . فقال الاسقف لبرونة : «اسمعي يا اختي ، انت تعلمين ما عانيته من الجهد والتعب طوال ست سنين في بناء هذه الكنيسة اكراما للشهيدة المظفرة . فلا اخالك تريدين ان يذهب تعبنا باطلا .» فلما سمعت برونة هذا الكلام قالت : «اذا حسن الامر لديكم ولدى الطوباوية ، فمن انا لكي امنعكم من تحقيقه ؟ ادخلوا وخذوها واذهبوا .» وحينما دخل الاساقفة لاقامة الصلاة ، شرعت ایاریا تبكي وتقول : «الويل لنا ، فانكم اليوم تحرمون ديرنا من بركة عظيمة . الويل لنا ، فقد حلّ اليوم اليتم والضيق بديرنا . الويل لنا ، فاننا نحن نسلم جوهرتنا .» وكانت تصرخ وتقول لبرونة : «ماذا انت فاعلة يا اماه ؟ ، لماذا تحرمينني من اختي التي من اجلها تركت كل شيٍ والتجأت اليك ؟» فلما رأت برونة ایاریا على تلك الحال من الحزن ، التفتت وقالت لها : «لماذا تبكين يا ابنتي ایاریا ؟ ان كان الامر حسنا لها فلتذهب .»

وبعد ان ختم الاساقفة صلاتهم واجاب الجمع كله : آمين ، دنوا من صندوق الطوباوية ليأخذوه . واذا برعد يهز الفضاء ويلقي الهلع في قلوب الشعب كله . وبعد قليل ، حينما مدوا عليه ايديهم ، حدث زلزال كبير حتى ظنوا انه دمّر المدينة كلها . فعرف الاساقفة والجمع كله ان الشهيدة القديسة غير راضية بالخروج من ديرها . فاغتمَّ الاساقفة وقالوا لبرونة : «ان كانت الطوباوية غير راضية بترك الدير ، فنسألك ان تعطينا على الاقل احد اعضائها المبتورة لنأخذه بركة ونذهب .» فاخذت برونة المفتاح وفتحت الصندوق ، وكان الجسد يتلألأ كأشعة الشمس ، وتنبعث منه مثل بروق نارية . فمدت برونة يدها بخوف ولمست يد فبرونيا وهي تريد اعطاءها للاسقف . واذا بيدها تشل وتصبح مثل مائتة . فبكت برونة وقالت : «اسألك ايتها السيدة فبرونيا ، الا تغضبي على امك ، وتذكّري اتعابها ولا تخزيها في شيخوختها .» وما ان قالت هذا حتى عادت يدها صحيحة كالسابق . ثم مدت يدها ثانية وهي تصرخ وتقول : «اعطينا بركة يا سيدتي ، ولا تحزنينا» ، واخذت احدى اسنانها الموضوعة على صدرها ، واعطتها للاسقف ، ثم أغلقت الصندوق .

ولما تلقى الاساقفة هذه الدرة المقدسة في اناء من ذهب ، عادوا فرحين تتقدمهم جموع غفيرة بالتراتيل والمشاعل والمباخر . ولما بلغوا الكنيسة ، ارتقى الاساقفة منصة عالية واطلعوا الشعب على هذا السر . وكل من وُجد في الكنيسة آنذاك من عمي وعرج وممسوسين نالوا الشفاء . ولما ذاع الخبر ، اخذ الناس يطوفون في كل مكان ويجلبون المرضى فينالون الشفاء من كل علة فيهم . وبعد ذلك وُضعتْ هذه الجوهرة المقدسة في موضعها ، وذلك في الخامس والعشرين من شهر حزيران . وعادت الجماهير الى منازلها بعد ان حظيت بمواهب عظيمة ، وهي تؤدي الحمد للرب يسوع المسيح .

اما برونة ، فعاشت سنتين بعد بنيان الكنيسة للطوباوية ، ورقدت بالسلام ، بعد حياة مزادنة بالفضائل .

(وانا المسكينة توماس خلفت برونة بعد موتها . ولكوني عارفة حقا بكل ما جرى للطوباوية فبرونيا منذ البدء ، وعلمت بقية الامور من السيد لوسيماكس ، فقد كتبت هذه الشهادة مدحا واكراما للطوباوية ، وخلاصا وتشجيعا للسامعين ليستيقظ عقلهم في الجهاد في سبيل عبادة الله ، لكي يؤهلوا هم ايضا لملكوت السماء بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد والسلطة ، الى دهر الدهور . آمين) .



القسم الثاني

الشهداء الذين قُتلوا في عهد شابور الثاني
(٣٠٩ - ٣٧٩)

المقـــدمـــة

تولى شابور الثاني عرش الامبراطورية الفارسية سنة ٣٠٩ وهو ما يزال صبيا حديث السن . وظل المسيحيون في السنين الاولى من عهده الطويل ينعمون بشيء من الراحة وبحرية نسبية . ولكنه ما ان بلغ أشدّه ، حتى شرع يعادي الامبراطورية الرومانية ، ويتّهم المسيحيين في مملكته بولائهم للروم . وكانت هذه الذريعة سببا حمله على شن اضطهادات متلاحقة عليهم ذهب ضحيتها الوف عديدة من المسيحيين . واشهر هذه الاضطهادات واشدها ضراوة هو «الاضطهاد الاربعيني» الذي دام من سنة ٣٣٩ الى سنة ٣٧٩ ، اي حتى موت شابور الملك .

ويعجز القلم عن وصف كل ما عاناه المسيحيون في تلك الفترات العصيبة والتضحيات الجسام التي قدّموها في سبيل ايمانهم . وكثيرون منهم لم يذكر التاريخ اسماءهم ، وغيرهم عديدون لم يزوّدنا التاريخ عنهم الا بالنزر القليل من المعلومات .

لذلك فاني لن اتطرق في هذا الكتاب سوى الى الاشهرين من بين هؤلاء الشهداء ، ليكونوا مثالا يحذوه المسيحيون في هذا العصر ويستمدون منه الشجاعة والقوة لخوض مختلف صراعات هذه الحياة بثقة وايمان .



٨ قصة سلطان ماهد وخت واخويها ادورفروا وميهرنرسا

(وضعها مار كبرئيل من منطقة شهرزور)[١]

في السنة التاسعة لحكم شابور ملك الفرس (٣١٨ م) ، كانت بشرى المسيح السارة قد انتشرت في ارجاء الامبراطورية الفارسية كلها ، ونشأت فيها ابرشيات عديدة يديرها رعاة غيارى . وكان في ذلك الوقت مار «عبدا» اسقفا لمدينة خربة جلال[٢] ، وكان يبذل جهودا جبارة في سبيل الذود عن الايمان المسيحي وتشجيع المسيحيين المضطهَدين على خوض غمار المحنة بايمان وثقة .

وكان في ذلك العهد في ارض «درساس» امير اسمه «فولار» خاضع لسلطة الملك شابور ، وقد تلقى امرا باضطهاد جميع المسيحيين المتواجدين في منطقته ، وباقتيادهم الى كرخ بيث سلوخ (كركوك الحالية) ، كبرى مدن منطقة باجرمي ، لكي يجري هناك استنطاقهم امام امين الملك ويُحكّم عليهم بالموت في سبيل المسيح .

وكان لهذا الامير ولدان هما ادورفروا وميهرنرسا وابنة اسمها سلطان ماهدوخت . واهتمّ الوالد بتربية اولاده الثلاثة تربية ممتازة منذ الصغر ، فتثقفوا في علوم زمانهم ثقافة عالية ، ولاسيما في المذهب المجوسي الذي كان دين الرؤساء والملوك الفرس . وكان الثلاثة على حظ وافر من الحسن والجمال ومبعث فخر لوالدهم .

---

(١) - شهرزور منطقة جبلية واسعة تقع بين اربيل وهمدان . وما زال هذا الاسم يُطلق على سهل جميل خصب غربي جبال اورامان بالقرب من حلبجة التابعة لمحافظة السليمانية . وكانت شهرزور اسقفية تابعة لمنطقة بيث جرماي (باجرمي) الكنسية .

(٢) - خربة جلال بلدة تقع على الزاب الصغير .

فاراد هذا ان يأخذهم يوما الى امين الملك ، ليصل خبرهم بواسطته الى الملك ذاته . فذهب بهم الى كرخ سلوخ . وهناك شاهدهم الامين واختبرهم وسُرَّ بهم كثيرا ، ووعد بان يبلغ الملك بشأنهم .

بعد ذلك ، صرفهم والدهم من كرخ سلوخ ليعودوا الى مدينتهم والى مدرستهم . وبينما هم عائدون ، بلغوا قرية صغيرة تدعى «أحوان» واقعة على طريقهم . وقبل الوصول اليها ، شرعوا يطاردون على خيلهم . واذا بالصغير ميهرنرسا يسقط من حصانه وتنكسر فخذه حتى كادت ساقه تنفصل عن جسمه . فانتاب الهلعُ الاخَ الاكبر ادروفروا مع اخته سلطان ماهدوخت ومزقا ثيابهما حزنا وأسى ، واخذا اخاهما الصغير الذي اوشك ان يفارق الحياة ، ودخلا القرية المذكورة باكيين مولولين . وشاركهما اهل القرية حزنهما وبكاءهما على الصغير المدنف . وشاء الله ان يصل الاسقف مارعبدا في تلك الساعة الى القرية للقيام بزيارة راعوية لها . ولما طرق سمعَه صوتُ البكاء والعويل ، سأل عن السبب ، فأطلعوه على الامر . فأشفق مارعبدا على هؤلاء الشباب ، بالرغم من كونهم وثنيين ومضطهِدين ، وذهب حالا ليزور ذلك الجريح المسكين .

وبينما كان القديس في طريقه اليه ، غاب الصبي عن وعيه ، حتى ظن الحاضرون انه فارق الحياة ، وعاين رؤيا سماوية شاهد فيها المسيح ملك الملوك جالسا على عرش رفيع يتألق نورا وبهاء ، وتحيط القوات السماوية بعرشه باجلال عظيم ، وتقف زمر الشهداء القديسين امام المسيح المجيد وهم متوشحون ثيابا نورانية ، وعلى رؤوسهم اكاليل الظفر التي نالوها بالعذابات والآلام التي قاسوها . واذا برجلين جليلين يمسك احدهما بيمينه والآخر بشماله . فالتفت اليهما وسألهما بخوف : «من هذا ؟ ومن هم الواقفون امامه ؟ ومن هم هؤلاء الذين يسبّحون كالعبيد برهبة كبيرة ؟» فاجابه الرجلان : «هذا هو المسيح الجبار ، ملك الدهور العظيم الجليل ، الذي لا يخزى كلُ المتكلين عليه . اما الذين يكرمون ظهورَه المجيد بخوف ، فهم الملائكة وقوات النار والروح . واما الواقفون امام عرشه المجيد والمتوشحون بثياب نورانية بهية والمكللون باكاليل المجد ، فهم المؤمنون اللابسون

حلل النور والمعودية والمكللون باكاليل الشهادة في سبيل سيدهم . » قالا له ذلك ، ثم ذهبا به الى موضع آخر ، وأرياه ظلمة مفزعة ، ولججا لا غور لها ، ونارا رهيبه تعذّب الاثمة والكفرة . واذ شرعَ يتأمل هذا المنظر الشنيع ، اقتاده الرجلان ثانية امام عرش الملك . وبينما هو ينظر هنا وهناك ، ويتأمل ذلك المنظر المجيد دون ملل ، رأى كاهن المسيح مارعبدا الاسقف داخلا بثقة بين صفوف النورانيين حتى جاء وجثا على قدمي المسيح ملك السماء والارض ، واخذ يبتهل اليه ان يهبه نفس الفتى ميهرنرسا . فدنا منه ملاكان واقاماه واتيا به عند الصبي وسلماه الى الاسقف وقالا له : «لقد استجيب طلبك . فبشّرْ وعمِّدْ وقرِّبْ الى سيدك . »

وبينما كان الفتى غارقا في تلك الرؤيا ، وصل القديس عنده وجثا على ركبتيه وصلى الى سيده ، وسط عويل الحاضرين . ثم قام ووضع الساق في موضعها ورسم عليها اشارة الصليب ، وصرخ بصوت عالٍ وبايمان لا يساوره شك ، وقال لتلك الجثة الهامدة : «باسم ربنا يسوع المسيح ابن الله الحي ، ذاك الذي يجدّف الاثمةُ عليه ويضطهدون اتباعَه ، قمْ ايها الصبي . » فقام الصبي في الحال وعاد الى الحياة . فانقلب بكاء الحاضرين ضحكا وحزنهم فرحا ، وشرعوا يؤدون المجد للمسيح الرب

وحينما استعاد الصبيُّ وعيَه وتذكر ما شاهده في الرؤيا ، وعرف ان كاهن المسيح الذي رآه في الرؤيا هو الآن واقف عنده ، جثا على قدميه واخذ يناشده ويقول : «يا سيدي كاهن المسيح ملك الدهور ، أعدْ الى سيدك الوديعةَ التي ائتُمنتَ عليها ، حسب امره ، ولا تنسَ انه استجاب طلبك . فتلمذْ وعمّدْ وقرّبْ الى سيدك حسبما اشترط عليك . فسيدك سيدي ، والهك الهي ، ولا ملك لي سوى الملك الحقيقي الذي عنه قيل ان الذين يتكلون عليه لا يخزَون . ولا اله اخر سوى ذاك الذي خلق السماء والارض وما فيهما بمحض ارادته . فاني اكفر بالشيطان وبتعاليمه الدنسة المؤدية الى جهنم . » وشرع يروي شيئا فشيئا للاسقف وللحاضرين كل ما شاهده في الرؤيا . وتعجب الجميع مما رواه الفتى . ثم صرخ ميهرنرسا بصوت عالٍ وقال : «اني اشكرك ايها المسيح ، فلا تغلقْ بوجهي بابَ حنانك . ايها الصالح الذي تريد

الحياة للناس ، اقبلني انا الخاطئ وادعُني الى نورك السماوي ، ولا تطالبْني بدم شهدائك وقديسيك الزكي الذي سفكه سيف ابينا . لقد وعدتَ يا رب في كتبك المقدسة بألا يُطالَبَ الابنُ بخطيئة ابيه ، أشرقْ نورَ معرفتك في قلوب اخوتي لكي يعرفوك انت اله الحق مع ابيك وروحك القدوس . أهلني يا رب للعماد المقدس ، فلا أُحرَم من شركة الخيرات مع قديسيك في السماء .»

كان يقول هذه الكلمات منطرحا على الارض وباكيا على قدمي مار عبدا . فدنا منه اخوه واقامه وقال له : «قم يا اخي ، فلا حاجة الى اطالة الكلام في حين ان بوسعنا تحقيقه بالعمل . فمن ذا الذي يستطيع ان يعيد الطبيعة المتداعية الى قوامها من جديد ، ما عدا خالق الطبيعة ؟ ومن يقدر ان يحيي الميت الا ذاك الذي نفخ فيه الروح من البدء في احشاء امه ؟ فلِمَ نتشاغل بالكلام الطويل عن اقتبال رسم المسيح المقدس لكي نُحصى في عداد الساجدين له بواسطة عبده القديس هذا الذي اختاره الرب لهذه المهمة ؟»

ولما رأت سلطان ماهدوخت ما نطق به اخواها ، صرخت هي ايضا وقالت : «تبارك المسيح الذي اعاد الرجاء الى اليائسين ، تبارك المسيح الذي في انكسار فخذ اخي حطّم قيود الشيطان وصادنا لعمل مشيئته .» ثم قالت لمار عبدا : «وانت يا عبد المسيح الذي ارسله سيده لخلاصنا ، لِمَ تهمل أمْرَنا ؟ فان الهنا الصالح يريد ان يرجعنا اليه بواسطتك . لقد اعطاك ان تشفي وتحيي الجسد الذي كان مهشّما ، فقمْ وأحيِ نفوسنا المائتة بالخطيئة والاثم ، فهي خير من اجسادنا بطبيعتها . . .» ولما سمع مار عبدا هذا الكلام ، غمر الفرحُ قلبَه واضاء وجهه وقال لهم : «افرحوا بالرب يا احبائي ، لان اسماءكم كُتبت في سفر الحياة ، واصبحتم ورثةَ اورشليمَ السماوية ، وأُحصيتم بين الابكار المكتوبة اسماؤهم في سماء كنيسة الله الحي . فالآب يُسَرُّ بكم ، والابن يحبكم ، والروح يقدّسكم . ها ان الخدر السماوي مفتوح امامكم ، فادخلوه فرحين . هلموا يا اولادي وتوشحوا حلة النور الجديدة اللائقة بالموضع الذي دُعيتم اليه . فقد أُعدّت لكم اكاليل النصر بموتكم في سبيل سيدكم . فلا تتخذلوا في الجهاد الرائع الذي منه تأتيكم كل الخيرات .» قال هذا ثم

اوعز الى كهنة القرية وشمامستها في اعداد ما يلزم للمعمودية . فنالوا العماد المقدس واشتركوا في الوليمة الروحية بتناول جسد المسيح ودمه .

ولما تمّ كلُ شيء ، شاء الجمع ان يتبرك منهم قبل مغادرتهم ، واذا بروح الرب قد اختطف المعمَّدين الجدد ونقلهم الى وادٍ يقع فوق القرية ، فيه حوض يحتوي على قليل من الماء وكهف صغير وضيع . فوجدوا انفسهم في ذلك الكهف ، وسُرُّوا بتدبير الله العجيب ايما سرور ، وشرعَ بعضهم يقول لبعض : «اذا شاء الرب ان نمكث في هذه الحياة ، فاننا نسكن هذا الكهف الذي هيأه لنا بعنايته . واذا كان انتقالنا من هذه الحياة وشيكا ، فسيكون هذا الكهف مرقدا لاجسادنا .» ومكثوا في ذلك الكهف ثلاث سنين . اما اقرباؤهم الذين كانوا معهم ، فقد ظلوا في القرية عشرة ايام وهم ينتظرون عودتهم . ولما يئسوا من الانتظار ، ذهبوا واخبروا والدهم بما جرى . فكتب حالا الى شابور ليطلعه على فقدان اولاده . وجاء جواب الملك يأمره بالبحث عنهم باهتمام وباخباره حال عثوره عليهم . فارسل الامير اناسا ليبحثوا عنهم في كل مكان . في القرى والمدن ، في الجبال والسهول ، في الامكنة المأهولة وفي القفار . وامضوا ستة اشهر في البحث عنهم دون ان يجدوهم . فكفوا عن التفتيش وعادوا الى الامير خائبين باكين . وعمّ الحزن جميع سكان البلدة .

اما سلطان ماهدوخت واخواها ، فقد ظلوا عائشين بهناء في ذلك الكهف الصغير الضيق . فما الذي دفعهم الى ملازمة ذلك السجن وتلك العزلة طوال ثلاث سنين ، وكبح فيهم الرغبة في الانشراح وفي مصاحبة الناس ، هم المعتادون على السكنى في منازل فسيحة ومريحة ؟ الم تبلَ ثيابهم ؟ الم يتضايقوا من حر الصيف اللاذع ومن برد الشتاء القارس ؟ الم يذكروا النعيم الذي كانوا فيه في منزلهم الوالدي ؟ الم يذكروا التنعمات والاطعمة الفاخرة التي تربوا عليها ؟ ولكن النعمة التي ربت يوحنا المعمدان في البراري ربت ايضا هؤلاء القديسين واقاتتهم وحفظتهم وجعلتهم في غنى عن كل شيء ، واختبرتهم في جهاد الصبر ، وصانت حياتهم من جميع اضرار الشرير الذي كان يرمي الى ابادة حياتهم . انهم كانوا ثمة مواظبين على الصلاة وعلى اداء الحمد والثناء للثالوث المَجيد . اجل انهم كانوا في وسط هذا النعيم في حين ان ذويهم كانوا يذوبون شوقا الى مشاهدتهم .

وقد انعم الله عليهم بمعرفة الامور المستقبلة والبعيدة وكأنهم يرونها رؤية العين . ولما حان الزمان الذي فيه كانوا مزمعين ان يغادروا هذه الارض وينالوا اكليل الشهادة ، قال ادورفراو كبيرهم : «اني ارى ابانا الاسقف مار عبدا وقد أعد كل شيء وخرج ليأتي الينا ، وقد اطلعه الملاك على موضعنا ، لكي يمنحنا جسد الرب يسوع المسيح ودمه .» فقاموا حالا وشرعوا يصلّون ، الى ان وصل عندهم كاهن المسيح مع شماس اسمه ادي ، فهرعوا لاستقباله فرحين كما يفرح الاولاد بابيهم الحقيقي . فناولهم القربان وشجعهم وقال لهم : «تشجعوا وارفعوا رؤوسكم ، فقد حان زمان خلاصكم ، وتضرعوا الى الرب لكي يتحنَّنَ برحمته على ابيكم الشيخ .» فقال له ميهرنرسا : «كلا يا ابانا ، بل انت صلِّ لاجلنا ، لانك ستغادر العالم ثلاثة ايام قبلنا .» وقالت سلطان ماهدوخت : «صلِّ لاجلنا يا ابانا القديس ، فان مضطهدينا سيدركوننا بعد سبعة ايام ، وفي الخامس عشر سننال اكليل الشهادة .» فدهش مار عبدا لمعرفة الخفايا التي اولاها الله هؤلاء الفتيان ، وعانقهم وقبّلهم ثم استودعهم نعمة الله وانصرف من عندهم .

وفي اليوم السابع بعد مغادرة مار عبدا لهم ، أفلتَ حصانُ أبيهم واقبل راكضا الى الموضع الذي يسكنه الفتيان الثلاثة . ولما رأوه عرفوا انه حصان والدهم . فاشرأبوا من الكهف ليروا هل هناك من يأتي في اثره . فاذا بغلامين من اهل دارهم راكبين حصانين يطاردانه . ولما رأوهما ، تواروا في الكهف وانطرحوا على وجوههم عاكفين على الصلاة . وحينما وصل الغلامان الى الكهف وتطلعا ورأيا القديسين على ذلك الوضع ، اخذ منهما الدهش كل مأخذ وظلاّ منذهلين طوال ساعة كاملة لايستطيعان الى الكلام ولا الى الانصراف سبيلا . ولما اكمل الطوباويون صلاتهم ، نهضوا وخاطبوهما قائلين : «السلام عليكما . ما بالكما واقفين متعجبين ؟» وما ان عرفا انهم اولاد الامير ، حتى انطرحا امامهم . فقال لهما الفتيان : «اذهبا وقولا للامير انكما وجدتما اولئك الذين كان يبحث عنهم مدة طويلة دون ان يعثر عليهم ، الى ان شاء الله ان يكشفهم . فطلب الغلامان منهم ان يركبوا الخيل ويعودوا معهما . ولكنهم قالوا لهما : «بل اذهبا اولا واخبرا الملك بشأننا .» فاقتادا حصان الامير وعادا مسرعين ليخبراه بالعثور على اولاده . وفي الطريق قال احدهما للآخر : «حينما

نمضي ونخبر عنهم ، فلعلهم يتحولون الى موضع آخر ويختفوا فيغضب الامير علينا ويقتلنا . فالأَولى ان يبقى احدنا ههنا ويحرسهم دون ان يعلموا بذلك ، وان يذهب الآخر ويخبر الامير . »

وحينما غابت الشمس وخيّم الظلام على المنطقة ، عكفَ هؤلاء القدّيسون على الصلاة والتضرع امام الله وهم يعلمون ان زمان الجهاد قد حان . وامتلأ ذلك الجبل كله نورا سماويا ، واذا بملاكين انحدرا من السماء ودخلا الكهف واخذا يشجعانهم ويقولان لهم : «تقوَّوا ولا تخافوا ، فلقد أُعطيتم قوةً لا تُقهَر وسلاحا لا يبلى في نضالكم ضد اعدائكم . وهوذا بلد النور العظيم ينتظركم لتذهبوا سريعا وتعيشوا فيه . » ولما رأى ذلك الغلام هذا المنظر الرهيب ، اراد الدنو من الكهف ظانا ان هذه الامور تجري بسحر المسيحيين الذي اتقنه هؤلاء الفتيان . فدنا ليرى ما يجري . واذا به يُرشَق بشرارة نار تأديبا له ولكيٌ يعلم انه ليس ضحية اوهام ، بل هي الحقيقة . واذ احترق جسمه كله بتلك النار ، لاذ بالفرار خوفا من الابادة التامة .

اما رفيقه فقد وصل واخبر الامير عن اولاده . فارسل معه ثلاثين فارسا لكي يأتوه بهم على جناح السرعة . وكتب على الفور الى شابور الملك يخبره بالعثور على اولاده . وكان شابور قد سمع عن جمال سلطان ماهدوخت ، فكتب اليّ الامير بواسطة احد امنائه لكي يرسل له ابنته ليتزوجها . اما الذين ارسلهم الامير ، فكانوا يجدّون في السير لكي يأتوا بالفتيان حسب امر ابيهم . والتقاهم الغلام الهارب وقال لهم : «اياكم ان تذهبوا ، فانكم لن تستطيعوا الدنو من الموضع . » ثم روى لهم كل ما جرى ، واراهم آثار الحروق البادية على جسمه . فلم يولوا كلامه اعتبارا ، بل واصلوا السير ليصلوا الى المكان ويتحققوا مما رواه الغلام . ولما بلغوا المكان ، كان المنظر المذكور قد تلاشى ، فلم يروا شيئا غريبا . ولكنهم حينما ارادوا اجتياز باب الكهف ، رُشقت عيونهم بشرارات وضُربت بالغشاوة لكي لا يبصروا مدخل الكهف . فكانوا يسمعون اصوات القديسين وهم يتلون الصلاة ، ولكنهم لا يستطيعون الدخول اليهم . فقالوا : «لنمكث حتى الصباح ، فنبصر مدخل الكهف ونمسكهم . ولما انبلج الصبح واشرقت الشمس ، كان القديسون يرون المرسَلين اليهم واقفين على باب

الكهف متلمسين كالعميان دون ان يجدوا الباب. وكان الفتيان يمجدون المسيح بصوت عال. فاستولى العجب والانذهال على اولئك المرسَلين.

ولما اشرقت الشمس ولم يرجع المرسلون، امر الوالد باعداد حصانه ليذهب هو ذاته اليهم. واخذ معه عددا من الجنود. والتقى في الطريق رسله عائدين خائبين. ولما رأوه نزلوا من خيلهم وانطرحوا امامه. فسألهم مغضبا عن الفتيان ولِمَ لم يأتوا بهم، فاجابوه: «اننا وجدنا الموضع الذي هم فيه وسمعنا صوتهم، ولكن عيوننا عجزت عن رؤيتهم.» فأمرهم بالركوب والذهاب معه. ولما اقتربوا من الكهف، سمع القديسون ضجيج الخيل والسلاح الكثير، فعكفوا على الصلاة. وحينما رأى الامير الكهف من بعيد، قال للذين معه: «اليس هذا هو الكهف الذي تتحدثون عنه؟» فاجابوه: «بلى، هذا هو الكهف، ولكننا لاندري هل الفتيان ما يزالون فيه.» واذا بالحصُن جميعها تقف مكانها دون ان تستطيع التقدم. فضربوها وحثوها على السير ولكن دون جدوى. فانذهل الامير ومرافقوه. وحينما كفوا عن ضرب حصنهم، إذا بهم يسمعون صوت القديسين وهم يسبّحون الله بنغمات عذبة. فاوعز الامير الى الفرسان في النزول من خيلهم والسير على الاقدام. ولما اقتربوا منهم، صدّت اقدامَهم تلك القوةُ التي منعت خيلهم من السير. فظلوا عند الخيل، لا يسعهم السير ولا الركوب. وتولاهم خوف شديد. واومأ الامير الى الرماة بان يرموا ثلاثة سهام نحو المغارة. فشد ثلاثة منهم قسيهم ورمى كل منهم سهما، واذا بكف كل منهم تنخلع وتنفصل مع سهامهم، واذا بالسهام ترتد الى الوراء وترشق رفاقهم الذين اخذوا يبكون ويولولون. وشرع الذين انخلعت أكفُهم والذين ضُربوا بالسهام يبتهلون الى القديسين لكي يترحموا عليهم ويشفوا جراحهم.

واخرج القديسون رؤوسَهم من الكهف، فبدا جمالهم اسطع نورا من الكواكب. فرفع والدهم صوته باكيا وقال لهم: «الا تأتون الى ابيكم، يا اولادي؟ أوما احسنت تربيتكم وتثقيفكم في العلم وافضل الآداب؟ أوما عرّفت اسمكم لشابور الملك ليزداد اكرامكم لديه؟ فلماذا اسأتم الى ابيكم يا احبائي؟ ولِمَ جعلتم اتعابي تذهب ادراج الرياح؟ ولماذا عرّضتم اباكم للهزء والسخرية في مملكة فارس كلها؟» فاجابوه بلطف: «ان لنا ابا آخر افضل منك، وهو قد قال لنا: من لا يترك اباه وامه ويتبعني فلا

يستحقني . اما التعليم الذي اعطيتنا اياه ، فانه مضر لحياتنا الحقيقية ونصلّي لكي يمحى ذكره من عقولنا . اما ما قلته عن شابور الملك وعن اكرامه لنا ، فان لنا ملكا اوسع مُلكا وارفع تاجا منه . فنحن عبيد هذا الملك وساجدون له وليس لشابور . واننا ننتظر من ملكنا والهنا اكراماً ارفع شأنا من اكرام شابور ملكك . فاذهب الآن الى بيتك مع جندك وامكث هناك ستة ايام ريثما يأتيك امين الملك شابور ومرافقوه . واذ ذاك هلموا سوية الينا ، اذ لما يحن اليومُ الذي فيه نستشهد . » ثم تقدم منهم اولئك الذين انخلعت أكفهم وجُرحت اجسامهم بسهام والتمسوا منهم ان يترحموا عليهم ويشفوهم . فقال لهم الفتيان : «اتؤمنون بالمسيح ابن الله الحي الذي يستطيع ان يمنحكم الشفاء دون دواء؟» فاجابهم الجرحى : «ان كل من يستطيع شفائنا نؤمن بأنه الـه ولا الـه سواه . » فصلى عليهم الفتيان وشفوا حالا واخذوا يصرخون بملء صوتهم ويقولون : «اننا نعترف بك ايها المسيح ، وبأنك ابن الله الحي . وليخزَ جميعُ الذين يكفرون بك . »

ولما سمع الامير والذين معه ما قيل وعاينوا ما جرى ، خافوا خوفا شديدا . واوعز الامير في منع اولئك الذين اعترفوا بالمسيح من نيل العماد . ولكنهم كانوا يهتفون بملء حناجرهم انهم مسيحيون . وكثيرون من مرافقيه انضموا اليهم في الايمان ونالوا العماد سرا وصاروا مسيحيين ، حتى بلغ عدد المهتدين سرا ٧٠٨ رجال .

ومكث الامير عند الكهف حتى المساء دون ان يستطيع الدخول اليه ، واخذ يناشد الفتيان بان يأذنوا له بالدنو منهم ، ولكنهم رفضوا . فعاد الى بيته يجر اذيال الخيبة والاسى . وسرعان ما انتشر خبر القديسين في المناطق القريبة واخذ الناس يتقاطرون الى المكان زرافات ووحدانا ، وشرعوا يأتونهم بالمصابين بشتى الامراض وينالون الشفاء على يد هؤلاء الفتيان ، ومع الشفاء يشرق نورُ الايمان في نفوسهم فينبذون ضلالهم ويجحدون الوثنية وينضمّون الى المسيح .

ولما كان اليوم السادس ، وصل الامين الذي ارسله شابور الملك مع سبعة ضباط حاملين رسالة شابور الى الامير فولار . ولما قرأ الامير رسالة الملك ، شرع يبكي وينوح . فسأله الموفدون عن سبب بكائه ، ولكنه لم يجاوبهم . فقالوا له : «اننا اتينا

من عند شابور بشأن ابنتك» . فاجابهم : «ومن اين لي ابنة اعطيه اياها؟» وقص عليهم كل شيء ، فاخذهم الدهش مما سمعوا . وقالوا له : «هلموا نذهب الى الموضع الذي هم فيه لنراهم ونسمعهم . » فامتطوا خيلهم واخذوا معهم العديد من الفرسان . ولما وصلوا الى الكهف ، شاهدوا جمعا غفيرا . فسألهم ضباط الملك : «ما سبب تجمعكم هذا؟ وماذا تريدون؟» فاجابهم الجمع : «انما قصدناهم بغية الشفاء من امراضنا . » فاخترقوا صفوف الناس حتى وصلوا عند مدخل الكهف ، فرأوا الفتيان مواظبين على الصلاة وايديهم مرفوعة الى السماء . فبلّغهم الامين سلام الملك شابور . ولكنهم لم يردوا عليه جوابا . فاستاء جدا وقال لهم : «ايها المستحقون الموت ، الا تردون على سلام شابور الملك العظيم؟» فلم يردوا على هذا ايضا . فتناول حجرا ورماه بهم ، واذا بالحجر يرتد الى الوراء ويضرب جبينه ويشدخه . واذ ذاك علا صوت الجمهور وشرعوا يسبّحون المسيح .

وحينما ذاق هذا الامين الذي كان يُدعى كوشتازاد طعم قوة القديسين ضمد رأسه واخلد الى الصمت الى ان انتهى القديسون من صلاتهم . وعند اختتام صلاتهم ، التفتوا الى الجمع وقالوا لهم : «السلام عليكم والشفاء لامراضكم . » وعلى الفور نال كل المرضى الحاضرين شفاءهم ، وشرع الجميع يؤدون المجد لله . وكان كوشتازاد نفسه مصابا بداء النقرس في يديه ورجليه ، وقد اصاب الشلل ثلاثا من اصابع يده اليسرى منذ ثلاث عشرة سنة . واذا بها تعود الى حالتها الطبيعية ، واخذ يمجّد الله رغما عنه . فدعاه القديسون باسمه وقالوا له : «يا كوشتازاد!» فتعجب من انهم يعرفون اسمه دون ان يروه من قبل . فقال : «هاءنذا» فقال له القديسون : «نسألك ان تقول لنا الحق : من الاعظم ، الله ام الانسان؟» فاجاب : «لا ريب ان الله هو الاعظم . » فقالوا له : «فلماذا اذن غضبت اذ كنا نخاطب الله في الصلاة فأحجمنا عن الرد على سلام شابور الذي هو انسان كسائر البشر؟» وبعد ان اطرق كوشتازاد قليلا ، قال لهم : «لي كلام اقوله لكم سرا ، فمروا الناس بالابتعاد عن الكهف . » فامر الطوباويون الجمع بالابتعاد ، ولم يبقَ حول المغارة سوى والدهم ورسل شابور الملك . وبدأ كوشتازاد يخاطبهم ويقول : «انتم تعرفون شابور الملك العزيز وقوة سلطته ، وما الحقه ويلحقه

بالمسيحيين من الاذى. وقد بلغه عنكم انكم قد تثقفتم ثقافة راقية في علم المجوسية، فشاء ان يكرمكم اكراما خاصا وان يتخذ اختكم زوجة له. ولقد أرسلتُ لآخذها اليه بحفاوة مثل ملكة. انما امر واحد ينقصكم، وهو ان تنبذوا هذا الضلال الذي انجرفتم اليه، فيمنحكم الملك كل شيء. فما جوابكم على هذا؟»

فقال ادورفروا: «كل منا يجيب عن نفسه. اما انا فهوذا جوابي: ان ملكي وسيدي والٰهي هو يسوع المسيح. وقد اقتبلت من الآن عربونا صغيرا للمواهب الجليلة التي سيمنحها لي، حتى ان ملكك شابور بكل مجده لا يضاهي هبوة من هذه الامجاد. ولي شاهدان على ذلك، وهما جروحك واصابعك. وانا مستعد ان اتألم كثيرا عوض ما دعوتَه ضلالا. والآن سيجاوب اخي واختي عن ذاتهما.» فقال ميهرنرسا: «انا اصغر الساجدين للمسيح. ولكن فليأتِ ملكُك مع تاجه وليصنع ما صنعه المسيح بواسطتي انا اوضع عبيده. وموجز القول: انا مسيحي وعبد للمسيح وساجد له الى الابد، ولا ملك وسيد والٰه آخر لي سواه. وانت كذلك مزمع ان تكفر بمملكة شابور وتعترف بسيادة المسيح». وقالت سلطان ماهدوخت: «يليق بالنساء ان يخلدن الى الحشمة والتواضع والسكوت في كل حين، لا سيما امام رجال محترمين. اما فيما يخص الايمان فالكلام خير من السكوت، والشجاعة وعدم الخجل خير من الحياء. ففكرتُ ان جواب اخويّ يكفي لمعرفة رأيي. ولكن بما ان اخويّ ارادا ان يعطيَ كلٌّ منا جوابا عن نفسه، فالأحرى بي أن افعل ذلك: انكم من اجلي اتيتم الى ههنا، وانتم تشتاقون الى سماع رأيي ومعرفة ارادتي. انكم تقولون لي ان اذهب من النور الى الظلام، ومن الحلاوة الى المرارة، ومن الصلاح الى الطلاح، ومن الحياة الى الموت، ومن رائحة المسيح الهنيئة الى رائحة شابور الكريهة، ومن العَريس السماوي المجيد الى عريس ارضي يدب الدود في حياته ويؤول الى الدبيب في موته. وتقولون لي ان انحدر من السماء الى الارض، ومن الله الى الانسان. فمعاذ الله ان اتخلى عن صحبة المسيح ربي والٰهي الذي تبعته بمحبة وايمان، وان اصحاب شابور الشبق. واعلم ان رأسك ايضا سيُقطَع بامر شابور في سبيل الايمان بالمسيح. فطوبى لك اذ تكون اهلا للنعيم السماوي. هوذا قد

سمعتم رأيي ايضا. فاكتبوا الى سيدكم واخبروه بقرارنا. واعلموا انكم لن تستطيعوا ارغامنا على ترك هذا المسكن الذي وهبه لنا الرب بنعمته.»

فلما عرفوا انهم لا يستطيعون القبض عليهم قسرا، كتبوا الى شابور واطلعوه على كل ماقيل. وما ان قرأ شابور رسالتهم، حتى ثار ثائره وزأر كالاسد المفترس. وكتب رسالة الى فولار ابيهم والى كوشتازاد امينه جاء فيها: «كيف سمعتم هؤلاء الفتيان يهينون جلالتي ولم تبيدوهم على الفور؟ وكيف لم تقيّدوا اولئك السحرة وتقتادوهم اليّ لكي اميتهم شر ميتة؟ ولأنكم كتبتم ان سحرهم يحول دون الحاق الضرر بهم، فقد ارسلت اليكم رئيس السحرة مع ساحرين آخرين لكي يسيطروا عليهم. فقيّدوهم واتوا بهم اليّ. واذا لم يستطع حتى رئيس السحرة ان يؤثر فيهم، فاقتلوهم في مكانهم واحرقوا اجسادهم بالنار. اما الذي نصّرهم، فاقبضوا عليه واصلبوه في مكان مشهود».

وصلت رسالة الملك مع رئيس السحرة ورفيقيه في اليوم الخامس وهو اليوم الثاني عشر منذ العثور على هؤلاء الفتيان. ولما تُليت الرسالة وعُرف مضمونها، أصدرَ رئيس الفرسان امره بالقبض على مار عبدا وبصلبه حسب امر الملك. ولكن المرسلين الفوه ميتا يوارى الثرى باحتفال مهيب. فعادوا خائبين خجلين واخبروا بما عاينوا. فدعا القديسون اولئك الفرسان الذين أُرسلوا لاحضار مار عبدا وسألوهم: «لِمَ لم تجلبوا الاسقف كما كتبَ سيدُكم؟» فتعجب هؤلاء كيف عرف الفتيان ما كُتِبَ عنهم سرا وكيف اطلعوا على موت الاسقف. عندئذ قال لهم الفتيان: «ليأتِ الآن سحرتكم ولينجزوا ما أُمِروا به.» فاخذ السحرة دما وشعرا وشحما واصباغا، حسب اسرارهم النجسة الذميمة، وشرعوا يمارسون سحرهم طوال يومين وليلتين. اما القديسون فكانوا عاكفين على الصلاة والتضرع الى الله.

وتجمع امام الكهف جمهور غفير من الناس، وكانوا يريدون الدنو من القديسين والتبرك منهم ونيل الشفاء لامراضهم. الا ان الفرسان كانوا يمنعونهم من ذلك نزولا عند رغبة السحرة. وكان ثمة اعمى منذ مولده، وقد بلغ الاربعين من عمره، وكان

يريـد هو ايضـا البلوغ الى الفتيـان ، والفرسان يصدّونه عن ذلك . فطلب من دليله ان يطلعه على المسافة التي تفصله عن السحرة ، ثم تناول حجرا وقذفه فاصاب به رأس زعيمهم وشجّـه . وفي الحـال انفتحت عيناه وابصر ، واخذ الحاضرون يؤدون المجد لله على هذه الآية الباهرة . واذ هرع الفرسان للقبض عليه ، أفلت منهم ، في حين ان احدهم هوى من حصانه وانكسرت ساقه . ولما لم يستطع السحرة ان يشفوه ، حمله رفاقه الى باب الكهف ، واخذ يبتهل الى القديسين ليشفقوا عليه . فقال له ادورفروا : «لمـاذا تخـدم عدو المسيح وانت مسيحي ؟» فاجابه الجريح : «جميع هؤلاء الفرسان مسيحيون ، ولكننا نطيع الملك لكوننا فرسانا .» فصلى الطوباويون على ساقه فتعافت .

ولمـا رأى السحـرة انهم تعبوا يومين دون جدوى ، قال لهم القديسون : «اتريدون ان تعـرفـوا قوتنـا؟ اننا سنريكم اياها الآن . فبسطوا أكفهم الى السماء وصلوا قائلين :

«يـا ايتهـا القـوة التي لا تُقهـر ، يا ايها الرب ، أخزِ الشيطان بهلاك عبيده ، وعظِّمْ شأن كنيستـك بانتصـار عبيـدك .» وفي الحـال شبَّ لهيب نار من الارض والتهم السحـرة وابادهم على بكرة ابيهم .

واذ شاهد كوشتازاد هذه الآيات البيّنات ، انضم في فكره الى الايمان بالمسيح . فجـاء اليهم في ليلة الخامس عشر ، عشية استشهادهم ، وقال لهم : «انا عبد للمسيح الـملك الحقيقي . ولكن صلوا لأجلي لكي يتحنن الـرب عليّ ويقبلني بين ذويـه . فالآن علمت انـه الالـه الصالح الذي يريد ان يحيا الناس ويعودوا اليه .» فغمر الفرحُ قلوب الفتيان وشرعوا يعانقونه ويقبّلونه مثل اخ حقيقي . ثم قالوا له : «انطلق الى مار شمعـون بر صبـاعي لكي يوشحك بثوب المعمودية المقدسة ، وستنال اكليل الشهادة قبله بيوم . ولكن صلّ لأجلنا لكي يخرجونا الى جهادنا فنحرز النصر ، ولا تحل عائقا دون ذلك . بل اطلب من ابينا فولار ان ينجز الامر الذي اصدره اليه شابور الملك .» فعانقهم وقبّلهم ، ثم انضم الى رفاقه النائمين في مواضعهم .

وفي الصبـاح ، قال كوشتـازاد لفـولار : «انجـز امـر الملك لكي نقـوم ونعود ، فقد تأخـرنـا كثيـرا ولم نفـد شيئـا .» واذ كان كل واحد يخشى التقدم لقتل القديسين خوفا

على حياته، وقف القديسون ثلاثتهم على باب المغارة وقالوا لهم: «هلموا حررونا من حياة الجسد هذه، فنمضي الى الحياة الحقة، اذ قد آن اوان رحيلنا الى المسيح ملكنا.» ولما سمع الجمع اصوات القديسين وهم يلتمسون الموت بالسيف طوعا، تعالى البكاء والنحيب عليهم. ومزّق ابوهم ثيابه حزنا وذرى التراب على رأسه وشرع يبكي بمرارة هو والجنود الذين معه. ثم امر احد الفرسان بان يذهب ويقتلهم. فاستل سيفه وتقدم منهم مرتعدا. ورافقه اليهم ذلك الجمع الغفير، وكلهم شوق الى رؤية القديسين والاستشهاد معهم. اما القديسون فكانوا يضحكون فرحا ويمجّدون الله، وقالوا لقاتليهم: «امهلونا قليلا ريثما نصلي الى الرب.» فخيم الصمت على ذلك الجمهور واصغوا الى ما يقوله القديسون في صلاتهم. واذ ذاك رفع الفتيان الثلاثة عيونهم وايديهم الى السماء وشرعوا يقولون: «ايها الرب يسوع المسيح الذي وهبنا الحياة الجديدة الخالدة بتناول جسده المقدس، والذي خلص البشر بموته على الصليب وانقذهم من الضلال واعادهم الى معرفة الثالوث المجيد، ووعدنا بالسماء السعيدة عوض ارض الشقاء هذه، انت يا رب عظّم شأن كنيستك وأيّدها بالنصر المؤزّر على اعدائها. بارك يا رب هذه البلاد التي فيها نبذل حياتنا لأجل اسمك. وأجزل نعمك وبركاتك على كل من يحتفل بذكرنا، وأبعد عنه وعن ذويه وامواله وحقوله كل الاضرار الخفية والظاهرة. بارك يا رب هذا الجمع الحاضر في جهادنا، وترحم على قاتلينا ولا تطالبهم بدم عبيدك الزكي. ونؤدي جميعنا الحمد لثالوثك المجيد الى الابد.» واجاب الجمع كله: «آمين» والتفتوا الى الحاضرين، وكانت وجوههم كشعلة نار متّقدة، وهتفوا كلهم: «ليكن معنا السلام الذي تركه المسيح لكنيسته الى ابد الدهور. آمين.»

ودنا ادورفروا الاخ الاكبر، واحنى رأسه امام السيّاف، فضرب عنقه. فركض اخوه ميهرنرسا واخذ من دمه وغسل به وجهه، ثم احنى هو ايضا رأسه امام السياف، فقطع رأسه. وفي الحال اصاب القاتل برص شديد وارتجفت يده وسقط منها السيف ولم يشأ ان يقتل اختهم. فقالت له سلطان ماهدوخت: «انجز عملك كله ولا تؤخّرني عن اللحاق بأخويَّ.» فقال لها السياف: «ليتني ما قتلت هذين ايضا» واسرع الى الغدير

وغسل سيفه. فدعته سلطان ماهدوخت ثانية وقالت له: «حي هو المسيح الذي اسجد له، ان اقسمت انك ستقتلني، أبرأتك من برصك.» فاقسم لها. فقالت له: «اذهب واغتسل في المياه التي بها غسلت سيفك، فتنل الشفاء.» فذهب واغتسل وعاد معافى، ثم انجز قسمه، فضرب عنقها وقطع رأسها. واراد الوثنيون احراق اجسادهم، حسب امر الملك شابور، الا انها اختفت عن الانظار... ولما انحسر الاضطهاد عن المسيحيين، اقاموا في هذا الموضع كنيسة على اسم هؤلاء الشهداء، تخليدا لذكراهم العطرة، وكانت تجري فيها عجائب بشفاعة هؤلاء القديسين.

وكان استشهادهم في الثاني عشر من شهر كانون الثاني (سنة ٣١٩).

ويقول ادي شير: يوجد الآن في قرية ارادن من اعمال صبنا بقرب العمادية كنيسة مبنية على اسم القديسة سلطان ماهدوخت واخويها، ويوجد فيها قبر يقول عنه اهل القرية انه حاوي ذخائر هؤلاء القديسين. وانهم في كل سنة يعيّدون لهم عيدا ويزورون كنيستهم (شهداء المشرق ١ ص ١٦١).

٩ جهاد مار يونان وبريخيشوع ورفاقهما

في السنة الثامنة عشرة لحكم شابور ملك الفرس (٣٢٧م)، شنَّ اضطهادا كبيرا على كنيسة المسيح. فهُدِمت الكنائس، ودُمِّرت المذابح وأُحرقت الاديرة، ورزح المسيحيون تحت ثقل الضرائب الباهظة. وكانت غاية الملك ان يرغم المسيحيين على ان يكفروا بالله الخالق وان يسجدوا للنار والشمس والماء، واذا رفضوا، تنزل بهم اشد العقوبات واقسى العذابات.

وكان في ذلك الزمان في قرية «بيث آسا» اخوان يدعى احدهما يونان والآخر بريخيشوع. فلما بلغهما ما يكابده المسيحيون، عزما على المضي الى الموضع

الـذي فيـه تجري تلك الاضطهادات . . . وحينما بلغاه ، سألا عن مكان السجن ، وافلحا في الدخول اليه . فوجدا هناك مسيحيين كثيرين ولا سيما تسعة رجال امتازوا بصمـودهم في الايمـان المسيحي ونـالوا الشهادة وهم : زوبنا ولعازر وماروثا ونرساي وايليا ومهري وحبيب وسابا وشمبيتي . وشرع الاخوان يحرّضان هؤلاء السجناء على التمسك بامانتهم للمسيح ويشجعانهم في وسط آلامهم .

وسـرعـان ما بلغ أمـرُ هذين الاخـوين يونـان وبـريخيشـوع ، وقيـل له انهمـا السبب في استشهاد الذين قُتلوا . فاحتدم الحاكم غيظا وامر باحضارهما على الفور. ولمّا مثلا امامه، قال لهما : «اني استحلفكما بحظ ملك الملوك ان تقولا لي الحق : هل تسجـدان للشمس والنـار والمـاء وتكـرمـانهـا حسب شريعـة ملوكنـا؟» فاجـابـه الطـوبـاويان : «اننا نوجّه الكلام اليك كحاكم اقامه الملك ليحكم حسب الحق دون انحـراف . فلا يحق لك ان تخـاف من الملك الـذي اولاك هذه السلطة ، بل من ذاك الـذي منحـك الحكمـة والمعرفة . عليك ان تعرف من هوملك الملوك ورب الارض والسمـاء ، الـذي يزيـل الازمنـة ويغيّـر الاوقـات ، ويمنح الحكمة للحكماء لكي بها يعلنـوا الاحكـام ويسوسوا الآخرين بالعدل . فنستحلفك ان تقول لنا لأي ملك يجب عليـك ان تضطـر النـاس الى الطـاعة : أللملك الذي قلنا انه صنع هذه الامور ، ام للملك الذي يموت ويُدفَنُ مع آبائه ؟»

فلما سمع رؤساء المجوس قولهما عن الملك انه يموت ، غضبوا غضباً شديدا ، وامروا باحضار قضبان رمان شائكة . وحبسوا كلا منهما في مكان منفرد لكي لا يسمع ما يقوله الآخر . ثم اتوا بيونان وقالوا له : «اترضى الآن بتقديم البخور والسجود للنار والشمس والمـاء وتنجـز بذلـك امر الملك ، ام تفضّل خوض الآلام والعذابات ؟ ولا تظن انـك ستنجـو من ايدينا ان لم تخضع لاوامرنا .» فاجاب يونان وقال لهم : «اني اشفق على نفسي وعلى الحياة الدائمة والخالدة التي نلتها بيسوع المسيح ، فلا اكفر باسم ربنا والهنا ، فهورجاء المسيحيين ، ولا يخزى الذين يتكلمون عليه . فقد وعد قائلا : «الحق اقول لكم : من ينكرني قدام الناس ، انكره انا ايضا قدام ابي الذي في السموات ، ومن يعترف بي امـام الناس ، اعترف انا ايضا به امام ابي الذي في

السموات وامام ملائكته ، لابن ابن الانسان مزمع ان يأتي على سحب السماء في مجد ابيه ومجد ملائكته ، وحينئذ يكافئ كل احد حسب اعماله» . فمن الآن انجزوا ما أمرتُم به ، ولا تظنوا اننا نتخلى عن ايماننا وندنس هيكل المسيح الذي أهّلنا ان نكون مدبرين في كنيسته وقال : «انتم نور العالم» ، وقال ايضا : «انتم ملح الارض ، فاذا فسد الملح فبماذا يملّح» ؟ فاذا رضخنا لارادتكم ، فاننا بذلك سنكون مذنبين ليس تجاه انفسنا حسب ، بل تجاه الرعية كلها . »

فاوعز رئيس المجوس في ان يوثقوا يونان كالبهائم ويضعوا عوداً تحت حقويه ويجلسوه . ثم امر بضربه بقضبان الرمان الشائكة حتى ظهرت اطراف اضلاعه . ولم ينبس يونان ببنت شفة ، بل كان يصلي ويقول : «اني احمدك يا الهَ ابراهيم ابينا ، اذ سبقت واخرجته من هذه الارض واهلتنا ان نعرف شيئا من ايماننا بواسطته . والآن اعطنا يا رب ان نكمل ما قاله الروح القدس سابقا على فم داود ابينا : » اصعد لك محرقات من السمان مع بخور كباش ، واقدّم بقرا مع تيوس . هلموا اسمعوا فاحدّثكم يا جميع متّقي الله[1]» . فاليه ننظر واياه ننتظر ، كما كتب : «واحدة سألت الرب واياها ابغي . » ثم هتف بصوت عالٍ وقال : «كفرتُ بالملك الوثني وبجميع اصدقائه الذين هم خدام الشيطان . واكفر بالشمس والقمر والكواكب والنار والماء ، واعترف بالآب والابن والروح القدس . » ولما سمعوا هذا الكلام ، امر الرئيس بان يربطوا رجليه بحبل ويسحلوه ويلقوه في الجليد طوال اليل ، وان تُشدَّد الحراسة عليه . ثم قاموا وذهبوا فاكلوا وشربوا وناموا بعض الوقت .

وفي الصباح ، اتوا وجلسوا في المحكمة وامروا باحضار بريخيشوع . ولما مثل امامهم ، قال له رؤساء المجوس : «ماذا تقول؟ اتسجد كما سجد رفيقك؟ ام تقاسي العذاب والهوان؟» فاجابهم : «اني مثله بل اكثر منه اسجد واسبّح واعظم ، كما تقولون انه سجد . ولئن كنتم تريدون الكذب عليّ ، فان الحق يفضحكم . فاي انسان عميت بصيرته مثلكم لكي يسجد لما وُضعَ لخدمة البشر؟ وأنى لنا ان نسجد

(١) ـ مزمور ٦٥/١٥ ـ ١٦ .

ونكرم النار التي ابدعها خالقها لخدمة الناس وينتفع بها الاغنياء والفقراء على السواء؟ فكيف ترغموننا على خدمة ما وضعه الله لخدمتنا والتخلي عن ذاك الذي خلق السماء والارض والبحر والبر والعلى والعمق، ذاك الذي له يجب ان يسجد الملوك والسلاطين والسادة، ذاك الذي اليه يفتقر البشر قاطبة وهو لم يحتج الى انسان قط؟ فهو الذي قال: «لا تصنعوا لكم صنما او صورة ولا تعبدوها. انا الاول والآخر، انا الله ولن ينجو احد من يديّ».

وحينما سمع رؤساء المجوس هذه الاقوال تعجبوا وقالوا: «لنُجرِ محاكمته ليلا، لئلا يسمع الشعب هذه الكلمات فيحتقرنا الساجدون للنار كما احتقرنا رفاق هذا.» فامروا باحضار كرتين من نحاس أُحميتا بالنار حتى صارتا كالجمر، ثم اتوا بطبقين محمرين بالنار واوقفوا عليهما بريخيشوع ووضعوا الكرتين تحت ابطيه وقالوا له: «بحياة ملك الملوك، ان تركت إحداهما تسقط على الارض فقد كفرت.» فاجابهم بريخيشوع: «بحياة ربنا يسوع المسيح ابن الله، اني لا اخشى ناركم يا خدام الشيطان اللعين والملك الاثيم، ولن تقع احدى كرتيكم على الارض. ولكني استحلفكم بالله ان تذيقوني اشد ما لديكم من العذابات. فمن يخوض النضال في سبيل الله، عليه ان يدخل معترك الجهاد ببسالة، فينال موهبة فضلى ويرث منصبا رفيعا.» فأمروا بان يُذوَّب رصاص ويُصبَّ في منخريه وعينيه، ثم اقتادوه الى السجن وعلّقوه برجل واحدة.

واحضروا الطوباوي يونان وقالوا له: «كيف ترى نفسك يا يونان، وكيف امضيت هذه الليلة السيئة في البرد والجليد؟» فاجابهم يونان: «لعمري، اني منذ ولدتني امي لم امض ليلة مريحة مثل هذه التي فيها ذقت طعم آلام المسيح يسوع.» فقالوا له: «لقد كفر رفيقك.» فاجابهم: «اجل، اعرف انه كفر بالشيطان وباعوانه.» فقالوا: «لا تهلك نفسك يا يونان فلا الله يرضى بذلك ولا الناس.» فقال لهم: «ايها الوثنيون الاغبياء، كيف تدّعون بانكم حكماء، وبانكم تعلنون الاحكام بفطنة؟ ايستطيع الانسان ان يخزن حنطته في الاهراء ويحميها من المطر والثلج والبروق الشديدة والرعود القوية، دون ان يملأ يده بفرح ويبذر الحنطة متكلا على اسم الرب، راجيا مجيء الحصاد، فيملأ بيدره من ذلك الزرع القليل الذي بذره

بالرجاء ؟ فاذا ترك الحنطة في المخازن ، فانها تنقص ولا تزيد . واذا فقد الانسان ذاته في هذا العالم لأجل اسم المسيح ، فان المسيح ، لدى ظهوره في العالم الآخر وتجديده الناس الذين اتكلوا على اسمه وكملوا ارادته ، يجدده بنوره الذي لا يزول ولا يفنى . اما الذين احتقروا اوامره ، فيلقيهم في هاوية النار حيث لا يكون لنارهم جمر ولا للهيبهم شعاع ، كما هو مكتوب . » فلما سمعوا هذا الكلام ، قالوا له : «لا تنخدع وراء الكتب ، فانها تضل كثيرا . » فاجابهم يونان : «حسنا قلتم ان الكتب

تضلّ . اجل انها تُنسي الانسان آلامَ هذا الدهر حينما يذوق آلام المسيح . فلما يقيم رجل عظيم مأدبة ويدعوا اصدقاءه الى داره ، يعلم كل من هؤلاء لدى خروجه من منزله انه ذاهب الى وليمة لذيذة . وحينما يذهب ويذوق الخمر ويستطيبها ، يشرب المزيد منها حتى يسكر ولا يتسنى له العودة الى منزله ، فيحمله ذووه ويعودون به الى بيته . وعند نهوضه صباحا يجد ذاته في البيت ، ويفرح لكونه لم يمض الليل مع رفاقه ولم يتعرض للفضيحة . كذا الشأن مع خادم المسيح . فانه حينما يساق ، يعلم انه مدعو للذهاب الى وليمة القضاء . واذا ما ذُهِبَ به ووصل الى هناك وشرب وسكر من آلام محبة المسيح ، فهو لا يعرف بعد ولا يتذكر البيت الزمني ولا الميراث ولا المال ولا الذهب ولا الفضة ، ويحتقر الملوك والرؤساء والسلاطين والسادة ، وينتظر رؤية الملك الحقيقي وحده الذي يدوم ملكه الى الابد وتمتد سلطته الى الدهور . » .

حينئذ قطعوا اصابع يديه ورجليه مفصلا مفصلا ونثروها على الارض وقالوا له : «هوذا نحن نزرعها . فانتظر زمان الحصاد ليأتي لك بأيادٍ كثيرة . » فاجابهم يونان : «اني لست ابغي ايادي كثيرة . فالله الذي خلقني هو ينبت لي اجنحة جديدة . » واذ ذاك اتوا بقدر كبير ملاؤه زفتا ، ثم سلخوا جلد رأس يونان ، وقطعوا لسانه ، والقوه في القدر . فنزل ووقف فيه . فطفا الزفت وطفح من القدر دون ان يلحق به اي اذى . ولما رأوا انه لم يُصَبْ بأذى ، اتوا بقفيز وعصروه به حتى تصدعت جميع مفاصل جسمه . ثم اتوا بمنشار ونشروه به ، وحملوا اشلاءه والقوها في بئر يابسة ، وامروا بتشديد الحراسة عليه ريثما ينظرون في قضية رفيقه بريخيشوع .

واحضروا بريخشوع وقالوا له : «أشفقْ على جسدك لئلا يتحطم . » فاجابهم : «لست انا الذي خلقته ، ولا انا الذي احطمه . فالذي خلقه هو الذي يجدده وينتقم لي منكم ومن ملككم الحقير الجاهل الذي لا يعرف ربه وخاله ، بل يريد ان ينفذ اوامره الخاصة . » واذ ذاك قال هرمزداردشير[1] لميهرنرساي : «انما نحن نهين الملك . فهؤلاء في ضلالهم لا يولون احدا أيَّ اعتبار . » وفي سورة غضبهم عليه ، امروا بان يُجلد بالاشواك . ثم عروه من ثيابه ، واتوا بقصب كثير شطبوا كلا منها الى اثنين والصقوها على جسمه العاري وشدوها بحبل دقيق من قنّب انغرس القصب في جسمه ، ثم طرحوه ارضا ، وجروا القصب فتمزّق جسمه كله . بعد ذلك حملوه ووضعوه داخل قفيز ، واتوا بزفت وكبريت وسكبوهما في فمه ، ففاضت روحه واستشهد هو ايضا نظير رفيقه .

حينئذ جاء عبطوشطا الذي كان رفيقهما في السابق ، واشترى جثتيهما من الحراس بخمسمائة درهم وثلاث خلع من الحرير ، واقسم لهم بحفظ السر .

هذا هو جهاد هذين الشهيدين اللذين ناضلا باسم المسيح وانتصرا وتكللا . ليذكرا في صلواتهما اشعيا بن حدابو وأرزينا من فرسان الملك ، اللذين حضرا هناك واهتما بكتابة جهاد هذين الشهيدين الطوباويين .

استشهد هذان البطلان القديسان في التاسع والعشرين من كانون الاول (سنة ٣٢٨ ؟) .

١٠ جهاد مار شمعون برصباعي ورفاقه الشهداء المائة والثلاثة

في السنة المائة والسابعة عشرة لحكم الفرس الساسانيين ، وهي السنة الحادية

(١) ـ كان هذا اخو الملك شابور يحكم على حدياب

والثلاثـون لملك شابـور الثـاني[1]، شُنّ اضطهـاد رهيب على جميع المسيحيين المتـواجـدين في مملكـة الفـرس. وكـان آنـذاك شمعـون رئيسا للكنيسة الشرقية في المداين في ساليق وقطيسفون. وقد دعي «برصباعي» لأن آباءه كانوا يصبغون بصبغ اجنبي الثياب الحريرية التي يرتديها ملوك الفرس. اما شمعون فقد صبغ ثيابه بدمه وقدّم ذاته ضحية لملك الملوك السماوي.

وقد رافقه في هذا الاستشهاد عدد من الاساقفة والكهنة والعلمانيين هم: كدياب وسـابينـا اسقفـا بيث لافـاط، ويـوحنـا اسقف هرمزاردشير[2]، وبوليدع اسقف فرات ميشـان، ويـوحنـا اسقف كرخ ميشـان، وسبعـة وتسعون كهنة وشمامسة، وكوشتازاد رئيس امناء الملك، وفوسي رئيس المهنيين وابنته الراهبة.

لقـد نعم المسيحيـون في منطقـة الـروم براحة وحرية في عهد قسطنطين الكبير، لاسيما بعد اعلانه مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ الذي منح المسيحيين الحرية في ممارسة ديانتهم. وطالما كان قسطنطين في الحياة، لم يتجرأ ملك الفرس شابور الثاني على اعـلان اضطهـاد كبيـر شامـل على المسيحيين. ولكنـه اعلن نوايـاه السيئة بعد موت قسطنطين، وبـدأ بمضـايقـة المسيحيين في منطقته، متهما اياهم بالولاء لمملكة الـروم. وسـرعان ما شرع يضطهد رؤساء الدين المسيحي ويهدم الكنائس والمعابد. وقد سمح الله بهذا الاضطهاد لكي لا يتسنى للشيطان واعوانه الادعاء بان المسيحيين انمـا يتكـاثـرون لتـوفّـر الامن والتسامح، وان الكنيسة تزدهر بالنظر الى السلام الذي تحظى به في كلتا المنطقتين والمملكتين.

ان الله الذي سمح بان تتعرض الديانة المسيحية في المنطقة الغربية للاضطهاد طوال القرون الثلاثة الاولى حتى عهد قسطنطين الكبير، وخرجت من هذا الاضطهاد اقـوى واصفى واشـد تعلقـا بمبادئها السامية وولاء للمسيح مؤسسها، هو الذي سمح

(١) ـ ليست هذه المعلومات دقيقة. فنحن نعلم ان الاضطهـاد الاربعين ابتـدأ منـذ سنة ٣٣٩، واشتدت وطأته سنة ٣٤١، وهي السنة التي فيها استشهد مار شمعون برصباعي.

(٢) ـ هرمزاردشير ـ وسميت ايضـا هرمشيـر ـ هي اليـوم مدينة الاهواز الواقعة على نهر الكارون. وكان اسم المدينة الاول «سوق الاهواز».

أيضاً، بعد فترة من الهدوء والحرية النسبية، بان يتعرض المؤمنون للاضطهاد في المنطقة الشرقية، ليس لكونه اهمل هؤلاء المؤمنين، بل لكي يجعل من دم شهدائه بذارا حيا وخصبا ينبت المزيد من المؤمنين الذين يتوطد ايمانهم في ظل صليب المسيح وعبر آلامه الخلاصية. فلم يكن الاضطهاد علامة على ان الله اهمل ذويه، بل وسيلة لهم للمزيد من السخاء. لان الحب لا يوفى الا بالحب. وقد قال الرب نفسه في الانجيل: «ما من حب اعظم من حب من يبذل نفسه في سبيل احبائه»[٣]. فجاء استشهاد المؤمنين جوابا سخيا على نداء الحب الذي سمعوه من معلمهم . . .

في السنة الحادية والثلاثين لملك شابور بن هرمزد (٣٤٠/٣٤١م)، وبعد وفاة قسطنطين ملك الروم، انفسح المجال امام شابور، فشرع يتطاول على ابناء قسطنطين الذين كانوا ما يزالون صغارا. فاخذ يتوغل في المناطق الغربية ويعيث فيها فسادا. وكان يضمر شرا لمسيحيي منطقته ويتربص الفرص للايقاع بهم. فاراد ان يضايق جميع المسيحيين الساكنين في مملكته بفرض جزية مضاعفة عليهم. فكتب رسالة من بلاد الاهواز حيث كان، ووجهها الى حكام بلاد الآراميين يقول فيها: «حالما تتلقون امرنا الالهي هذا، في المرسوم الذي ارسلنا به اليكم، اقبضوا على شمعون رئيس النصارى، ولا تخلوا سبيله الا بعد توقيعه على صك فيه يتعهد بان يجبي ويدفع جزية مضاعفة من الشعب المسيحي الساكن في ارضنا وتحت سلطتنا. فنصيبنا نحن الآلهة متاعب الحروب، ونصيبهم الراحة والرفاهية. انهم ساكنون في ارضنا، ولكنهم موالون لمذهب قيصر عدونا.» ولما بلغتهم رسالة الملك، احضروا الطوباوي شمعون برصباعي، وتلوها على مسامعه، وطالبوه بانجاز ما جاء فيها.

اما شمعون، فاجابهم بتواضع عميق وبشجاعة لا اثر فيها للاضطراب وقال لهم: «اني اسجد لملك الملوك واحترم امره قدر استطاعتي. الا ان ما يقتضيه مني امره، فانه ليس من شأني، كما تعلمون حق العلم، ان اطالب شعب المسيح بجزية. لان سلطتي ليست على الامور المنظورة بل على اللامنظورة، اي ما يقتضيه الايمان

(٣) ـ يوحنا ١٥/١٣.

والتعليم الحق، وذلك بكلام متواضع تمليه علينا مخافة الله، وباقناع لا يمس حرية السامعين، وبالصلوات الطاهرة الدائمة، والمواظبة على السهر والطلب والابتهال المقرون بمحبة الله. نحن نلتمس الرحمة للملك ولجميع عبيده ولبلدانه قاطبة، لكي تزول الحروب ويزداد السلام في العالم. فلو كانت لنا سلطة دنيوية، لما تصرفنا مثل هذا التصرف، بل مثل العلمانيين. ومع ذلك اسأل سيادتكم ان تقولوا لي بأية صفة تطالبوننا بمثل هذه الامور؟ الكوننا اغنياء؟ فالجميع يعلمون اننا فقراء لانملك اموراً طائلة. الكوننا بطالين؟ فانكم تعلمون انه ليس فينا من يتقاعس عن خدمة الملك، وان جميعنا خاضعون لواجب الجزية. الكوننا اعداء؟ فلعل فيكم اناسا يدرون اننا نحب جميع البشر ولاسيما ملك الملوك. فاذا فُرِضَ علينا ان نحب مبغضينا وان نصلي من اجل اعدائنا، ونبارك من يلعننا، فكم بالاحرى علينا ان نحب سيادتكم، ونصلي لأجل الملك الذي وضَعَنا ضعهنا الله تحت سلطته وأسكننا في ارضه؟ ان كتبنا تأمرنا بأن تخضع كل نفسٍ لسلطان العظمة، اذ لا سلطة الا من الله، والذين يقاومون السلطة ينالون الدينونة. وقد أُمرنا بالصلاة لأجل الملوك والعظماء. فان واحداً من معلمينا يقول لنا: عليكم قبل كل شيء ان ترفعوا الصلاة لأجل الملوك والعظماء. فاذا كانت كتبنا تأمرنا بهذا، فأنى لنا ان نكون مبغضين واعداء لملك الملوك؟ فاننا بذلك نكون ضد الله الذي يفرض علينا الطاعة على فم معلمينا؟»

حينما نطق الطوباوي شمعون بهذا الكلام، اجاب رئيس الحكام المجتمعين هناك وقال: «ما اجمل اقوالك ياشمعون وما احكمها! ولكن يجب ان ترافقها الافعال. اذكر انك قلت: ان كتبنا تأمر بان تخضع كل نفس لسلطان العظمة، ولا سلطة الا من الله. فاذا كانت كل سلطة من الله، فاخضع اذن لشابور الملك سيد الارض كلها، ووقّعْ على الصك وارضَ بدفع الجزية حسب امر ملك الملوك. ولا تناقضوا كتبكم التي تأمركم بالخضوع للسلاطين. واذا كان عليكم ان تخضعوا للسلاطين، فكم بالاحرى لملك الملوك.»

فقال شمعون: «لا سبيل الى مخالفة كتبنا التي علمتنا الخضوع وحددت لنا نطاقه. فقد علمتنا كتبنا بهذا الشأن: أدوا لكل امرىء ما يجب له: جزية الرأس لمن له جزية الرأس، والجباية لمن له الجباية. ولكنها لم تأمرنا بدفع جزية مضاعفة.»

فقال له الحكام: «فكّر في ما تجلبه على نفسك حينما تقاوم امر ملك الملوك ولا توقع على الصك وترفض جباية جزية مضاعفة لملك الملوك من المسيحيين عبيده. انت تعلم انه لا مجال بعد ليشفق الملك على من يعصى امره. ولعلك عوض صداقتك الاولى تدفع ملك الملوك الى اعتبارك عدوا له والى سفك دمك. انه شابور الملك الذي افزع اسمُه جميعَ الشعوب، فكيف تقاوم امره وانت عبده. فارضخ اذن لكلامنا ولا تقاوم امره.»

فاجاب شمعون: «لقد سمعتم ما قلته لكم. فاكتبوا الى الملك وأخبروه بان امره يتجاوز طاقتنا ولا يتسنى لنا دفع جزية مضاعفة لكوننا فقراء. الا ان بيوتنا واموالنا رهن اشارته، ونحن على ارضه. فليوعز الى سيادتكم في اخذها منا، وسنتخلى بفرح عن كل ما نملكه. فله كل شيء ما عدا نفوسنا. انما نسأله الا يجعلنا طغاةً ومسلّطين على اخوتنا الذين هم شعب الله. فاننا لم نتلَقَّ سلطتنا من ملوك هذا العالم، بل من الملك الابدي الذي لا يزول ملكه، وليست سلطتنا ارضية بل سماوية. فلا يأمرنا نحن الودعاء بأن نكون اشداء، ونحن اللطفاء بان نكون قساة. اما ما قلتم من ان صداقة الملك قد تنقلب عداوة لي من جراء عدم طاعتي، وانه سيسفك دمي، فاني اقول لكم بأني افرح بان يستمر الملك على محبته لي ان هو تركني في محبة الله. واني افضل الطاعة لأوامره اذا تركني اطيع امر ملكي والهي، وان حياتي عزيزة عليّ اذا تركني في تواضعي وفي تعليم سيدي. اما اذا شاء الملك بصداقته ان يبعدني عن محبة الهي ويجعلني عدوا له، واذا اشار عليّ باطاعة ارادته ومخالفة ارادة سيدي وامره، واذا ابقاني في الحياة الارضية وهو يريد ان يميتني عن الحياة الحقة التي وعدني بها واهبُ الحياة، فعداوته خير لي من صداقته، ورفض اوامره خير من الطاعة لها، وجميع انواع الموت في سبيل الهي ومعه خير لي من الحياة الزمنية.»

فكتب الحكام ما قاله شمعون. وارسلوا به الى شابور الملك في الاهواز. ولما تليت رسالتهم على الملك، احتدم غيظا وقال: «ان شمعون يرغب في حمل تلاميذه وشعبه على التمرد وعلى جعلهم عبيدا لقيصر الذي هو على ديانتهم. ولهذا فهو يرفض الطاعة لامري.» وسرعان ما انتشر خبر الكلام الشديد الذي فاه به شابور ضد

شمعون والشعب المسيحي . وشرع اعداء شعبنا يفترون على شمعون وعلى المسيحيين امام الملك وعظماء المملكة .

اما اليهود الذين كانوا دوما يناهضون شعبنا ، هم الذين قتلوا الانبياء وصلبوا المسيح ورجموا الرسل ، هم المتعطشون دوما الى دمنا ، فقد وجدوا الفرصة مؤاتية للوشاية بنا . واذ كان لهم الدالّة عند الملكة التي كانت على مذهبهم ، فقد استطاعوا ان يفتروا علينا امام الملك ويقولوا له : «اذا ارسلت انت يا ملك الملوك وسيد الارض كلها رسائل جليلة وحكيمة الى قيصر، حسبَها كلا شيء . اما اذا ارسل شمعون اليه برسالة بسيطة ومتواضعة ، فانه يركع ويتلقاها بكلتا يديه وينجز امره باهتمام . وبالاضافة الى ذلك ، فانه ليس سر في مملكتك ما لم يطلع شمعونُ قيصرَ عليه . » اجل ، ان اليهود معتادون دوما على الزور. وكما شهدوا على الرب زورا ، كذلك فعلوا مع عبده شمعون . . .

وكتب الملك رسالة الى الحكام جوابا على رسالتهم قال فيها : «حالما تتلقون رسالتنا ، استدعوا شمعون وقولوا له بأمرنا : لماذا تدفع بجسارتك حياتَك وحياةَ شعبك الى الهلاك والى العذاب والموت؟ فانك بكبريائك تريد ان تحمل شعبك على التمرد عليّ . فاني لكم بالمرصاد ولأبيدنّكم من وجه الارض وامحونّكم من بين الناس ، ان لم تخضعوا لامري . » ولما وصلت هذه الرسالة الثانية الى حكام بيث ارامايي ، استدعوا شمعون ليتلوها عليه . فحضر شمعون وسمع الرسالة وما تحتويه من الوعيد ، دون ان يضطرب او يخاف ، بل اجاب قائلا : «ان كلامي الاول والاخير واحد ، وهو اني لا افرض الجزية على الشعب الذي استودعنيه المسيح ربي ، بل اني ارضى باحتمال مختلف انواع الموت في سبيله . وكما ان المسيح صُلبَ عن جميع الشعوب لكي يحييها بصليبه ، كذلك انا اموت عوض الشعب الذي اعطانيه في هذه المملكة ، لئلا يموت عن حقيقة المسيح . فاني اقول الحق امام سيادتكم ولا اكذب : الموت خير لي من الحياة الشقية . وخير لي الا ارى نور هذا العالم من ان ارى الذين حرّرهم سيدي وهم يتعرضون للضيق . فمعاذ الله ان اصون حياتي من الموت وأخضع حياة عبيد الله لجزية قاسية ومرهقة . وحاشا لي ان اعاين ضيق ابنائي وتعرضهم للفاقة والعبودية . فاني لا امتنع عن التقدم نحو الموت عن نفسي وعن

شعبي ، وان ابذل ذاتي في سبيل حقيقتي وايمان تلاميذي . بل اهبُ دمي في سبيل رعيتي ، واقدم عنقي للسيف عوض قطيعي . اما قول ملك الملوك انه سيقتل رفاقي معي ، فتلك ارادة الملك وله السلطة على عبيده . اما انا وهم فنحن ابرياء من هذا الدم . »

ولما سمع الحكام الجواب الذي اعطاه شمعون على رسالة الملك الثانية ، اخبروا الملك بذلك في رسالة اخرى . وحينما قرئت هذه الرسالة على مسامع شابور، ثار ثائره وهاج كالاسد الضاري ، وزأر بصوت شديد وماجت في نفسه غريزة الانتقام والبطش ، واصدر امرا باعمال السيف في الكهنة والشمامسة وبهدم الكنائس وتدنيس المقدس . وكتب رسالة ثالثة الى حكام منطقة الاراميين جاء فيها : «فور وصول رسالتنا نحن الآلهة اليكم ، اقبضوا على شمعون رئيس النصارى واوثقوه وارسلوه الينا على جناح السرعة واهدموا كنيسته . » ولما سمع شمعون هذه الاوامر، لم يفزع ولم يضطرب ولم ترتخ عزيمته وهويرى كنيسته تُهدَم ، بل مجّد الله ، وبجرأة وشجاعة قام وانطلق الى الرؤساء قبلَ ان يلقوا القبض عليه . وامهلوه ثلاثة ايام لكي يذهب ويحضر امام الملك . فقبلَ الامرَ مسرورا .

وساد الاضطراب في المداين حينما اقدم المضطهدون على هدم الكنيسة . فتوارى الرهبان واختفى المؤمنون ، وامتلأت الكنيسة من الوثنيين . وعوض صوت الصلاة ، دوى صوت القلق والفوضى عندما هوى سقف الكنيسة . وعوض دخان البخور، كان غبار الجدران المتهدمة يتصاعد الى عنان السماء . وسرى فزع كبير وهلع في جميع الكنائس .

الا ان الرعاة لم يتخاذلوا امام هذا كله ، ولم تثبط عزيمة الكهنة ، ولا نقص ايمان الرهبان ، بل تقوى الجميع وتشجعوا باسم يسوع المسيح المخلص ، ولم يذعن احدهم لمشيئة المضطهدين . بل كانوا متمسكين كلهم بحقيقة الايمان . ودعا الطوباوي شمعون جميع الرهبان والكهنة والشمامسة وخاطبهم مشجعا اياهم قائلا : «تقوّوا ولا تتخاذلوا ، فقد دُعيتم لهذا الامر وله خصصتم ذواتكم اذ صرتم تلاميذ المسيح . فانظروا الى ما احتمله من الهوان لأجلكم ، وتفرسوا في صليبه ، واعلموا

انكم مدينـون له بدَين لا يوفى. فمن يستطيـع ان يفي الـدَين الـذي نحن مدينـون به لموته لأجلنا؟ فلنفِ الآن حسبَ طاقتنا وان كان موتنا غيرَ كاف لذلك. تأملوا الانبياء الذين قُتلوا، والرسل الذين رُجموا، لتعلموا ان الله ليس بضعيف، وان مسيحه ليس بعاجز مغلوب. انما يريد ان يُظهِرَ قوته في الضعفاء، وان يعلن حياته في موتهم. فاذا رفعتم عيـون قلوبكم اليـه، فهـو سيشملنـا بنظره ويقوي ضعفنا وينصرنا في الجهاد. واعلمـوا ايضـا يا احبـائي ان الضيق سيعبـر، وتليـه ازمنـة الراحة، وان الكنيسة التي استؤصلت ستُشـاد بمجـد وتزدان بأبهة. ولا نحزن لهدم كنيستنا على الارض، اذ ان لنـا بنيـانا في السماء لم تصنعه الايادي البشرية: انها تلك كنيسة الابكار التي ليست مبنيـة في ساليق وكـوخي، بل في اورشليم السمـاويـة. والآن انـا ماضٍ الى باب الملك، ولا اعلم ما سيحدث بعدي. اما انتم فكونوا على استعداد دائم لابسين درع الايمان، حتى اذا ما شُنَّتْ عليكم الحربُ، لا يستطيع السهم ان يخترق درعكم، بل يرتد على رماته ويتحَطم.

«ابتعـدوا عن المـانـويين والمرقيونيين وعن سائر البدع الوثنية. ولا تخالطوا اليهود اعـداء صليب المسيـح. اني احـذّركم وانصحكم كمـا ينصح الاب اولاده. احفظوا وصايا الرب ليحفظكم. احبوا ذاك الذي احبنا وبذل نفسه عنا ليحيينا بموته. حافظوا على ايمـانكم القـويم واحتملوا في سبيله كل انواع العذاب والموت. واذكروا ما قاله الـرسـول: «صـادق هو الكـلام واهـل للقبـول، فاننا اذا متنا مع المسيح، حيينا معه ايضـا، وان صبـرنـا ملكنـا معـه، واذا نكرناه نكرنا هو ايضا، واذا كنا خائنين، ظل هو وفيا، اذ لايستطيع ان ينكر نفسه(٤)». هذا ما انصحكم به الآن، لاني عالم انكم لن تروا وجهي من بعـد، اذ اني مزمـع ان أضحّى لأجـل الشعب المسيحي وفي سبيـل الايمان بالله. وليس ما يؤهلني لهذا سوى مراحم يسوع المسيح ربنا. فليكن معكم ومعنا ايضا بصلواتكم الى الابد. آمين.»

حينما سمع الجمع هذه الاقوال، شرعوا كلهم يبكون بمرارة على انفصال الراعي اليقـظ ومغـادرة المـدبـر الهمـام وانتقـال الـرئيس الحـازم والمستقيم وذهاب المعلم

(٤) ـ ٢ طيم ٢/١١ ـ ١٣.

الحكيم وابتعاد البار القديس، وعلى ابتعادهم عن الاب اللطيف الرحيم. وكانوا جميعهم ينوحون ويقولون: «الويل لنا، إذ يؤخذ منا شمعون الصفا. فاننا فيك رأينا الرسل، فمن يعطينا اسقفا نظيرك؟» وكان بكاؤهم يتصاعد لاسيما لانهم سمعوه يقول لهم: انكم لن تروا وجهي من بعد، لاني مزمع أن اضحّى. اذ ذاك انتهرهم شمعون ودعاهم الى السكوت، وكان يقرّبهم منه ويبش لهم ويعانقهم. ثم صلى ورفع يديه وباركهم قائلا: «ليكن صليب الرب جافظا لشعبه، وليكن سلام الله مع عبيده، وليثبت قلوبكم بايمان المسيح في العسر واليسر، في الحياة والموت، الآن وكل اوان والى ابد الدهور».

ولما انهى الطوباوي شمعون صلاته، رحل الى منطقة الاهواز مع بعض الكهنة. وفي تلك الايام أُلقي القبض على كدياب وسابينا اسقفي بيث لافاط، ويوحنا اسقف هرمزاردشير، وبوليدع اسقف فرات ميشان وعلى كهنة وشمامسة كثيرين، وسيقوا مكبّلين بالقيود الى باب الملك في كرخ ليدان في منطقة الاهواز. وكان شابور قد بنى هذه المدينة حديثا واسكن فيها اسرى كثيرين اتى بهم من الغرب ومن سنجار وبيث زبدى[٥] وارزون وقردو وارمينية ومن اماكن شتى. ففي تلك الايام عينها أُرسِلَ الجاثليق مار شمعون مخفورا من بيث ارامايي الى كرخ ليدان.

وكان قد وُشيَ ايضا برجل اسمه كوشتازاد، رئيس امناء الملك، وقيل عنه لشابور انه مسيحي. فامر الملك باستدعائه وقال له: «يا كوشتازاد، اهذا هو اخلاصك لي؟ الست زعيم الامناء؟ الم نرفع شأنك انا وابي الى منزلة مرموقة؟» فاجاب كوشتازاد: «ولِمَ يوجّه الملك اليّ هذا الكلام؟» فقال له الملك: «لقد سمعت انك مسيحي.» فاجابه كوشتازاد: «ان ما سمعته صحيح ايها الملك الصالح.» فقال له الملك غاضبا: «عليك الآن ان تخضع لأرادتي وتسجد للشمس، والا قتلتك في الحال.» واحاط بكوشتازاد عظماء الملك ورفاقه الامناء وانتحوا به واقنعوه قائلين: «اخضع

---

(٥) ـ بيث زبدى او بازبدى مقاطعة تقع على الضفة اليمنى من دجلة المقابلة لجزيرة ابن عمر. وكانت سابقا ابرشية خاضعة كنسيا لنصيبين. وبعدئذ ضُمّت الى ابرشية قردو المقابلة لها على ضفة دجلة اليسرى.

لارادة الملك بعض الوقت، ثم عد الى معتقدك . » فعمل كوشتازاد بنصيحتهم ووقع في فخاخ تمليقهم واطاع الملك .

وحينما وصل الطوباوي شمعون الى منطقة الاهواز وبلغ كرخ ليدان وسمع ما آل اليه امر كوشتازاد، تضايق واغتنم عليه كثيرا . اما كوشتازاد، فما ان سمع بقدوم الجاثليق الى المدينة، حتى نهض وجاء الى باب المنزل الذي كان شمعون فيه . فقيل لشمعون ان كوشتازاد على الباب وهو يريد ان يدخل عليك . فاجاب شمعون: «اغلقوا الباب، وامنعوا دخول هذا الذي جحد يسوع سيدي وترك اله الحق واستبدل الخالق بالخليقة والملك الابدي بالملك الزمني الذي تذوي ايامه كالعشب وتفنى . . . » . وارسل كوشتازاد مثنى وثلاثا يتوسل الى شمعون لكي يقبله في حضرته ويغفر له اثمه هذه المرة، واعدا بالا يرجع اليه من بعد . الا ان شمعون ارسل يقول له : «ان ما ارتكبته ليس خطيئة حتى اغفرها لك، ولا جهالة لكي اسامحك، بل هو نفاق جسيم، لأنك كفرت بالهك، فمن يغفر لك؟ وتراجعت عن المسيح محييك، فمن من البشر المائتين يستطيع ان يحييك؟ اين ايمانك الذي كنت تسير بموجبه؟ لقد فزعت من سماع العذابات، وفقدت حياتك في ساعة واحدة . انك اهل لقصاص اليم، لانك خفت من المجد الزائل ولم تخف من المسيح ملك العالمين المجيد الذي لا يتجاسر الملائكة على التفرس به لبهاء مجده العظيم . والآن لا سبيل لك الى الحياة الا اذا نهضت من الموضع الذي سقطت فيه ودخلت في الباب الذي خرجت منه، وانتصرت حيثما تخاذلت . اما انا فعليّ ان ابكي وانوح عليك فويلي على تخاذلك يا ابن شعبي، وويلي على سقوطك ايها الجبار، وويلي على خزيك ايها الجليل، وويلي على شقائك ايها النشط، وويلي على فسادك ايها البهي، وويلي على موت نفسك، وويلي على جوهرتك التي ضاعت . فاذهب ولا تعد اليّ ما لم تجد جوهرتك . فلا ثمن لها الا اذا بذل المرءُ حياته في سبيلها، لانها مشتراة بدم يسوع ربي . »

حينما سمع كوشتازاد هذا الكلام، تألم كثيرا وفكر في العكوف على التوبة فشرع منذئذ يبكي بمرارة نظير شمعون الصفا حينما نكر معلمه يسوع . وذهب الى منزله ولبس المسوح وافترش الرماد واقام حدادا على نفسه، وشرع يعذّب ذاته بالبكاء

المستمر والصوم الصارم مع السهر، وهو يصرخ الى الرب ويقول: «اللهم ارحمني لاني ضعيف، واشفني لان عظامي قد تزعزعت، وجروحي قد نتنت وقاحت.» ولم يزل يتلو مثل هذه المزامير وما يضارعها من الاقوال الدالة على توبته طوال يومين دون ان يمثل امام الملك اويحضر في مجلسه بين اقرانه.

وفي اليوم الثالث من وصول شمعون الى كرخ ليدان، استدعي للمثول امام الملك. ولما سمع كوشتازاد ذلك، القى عنه المسوح واقبل الى باب الملك آملا ان تتاح له الفرصة ليرى شمعون ويخاطبه.

وامر الملك بادخال شمعون امامه. فلما مثل بين يديه، سجد امامه. فقال الملك لشمعون: «يا شمعون، ما هذا العصيان الذي ابديته نحوي؟ اهذه هي نتيجة محبتي لك؟ اهذا هو جزاء اكرامي لك؟ اهذه نتيجة المديح الذي كنت اكيله لك امام عظمائي واقول عنك انك رجل حكيم ونيّر؟ فقد اكرمتك الى حد جلبتُ حسدَ المجوس عليك. فلماذا تصرفت كالعدو واثرت شعبك على التمرد عليّ؟» فسجد شمعون ثانية امام الملك وقال له: «ايها الملك، من ذا الذي يتجاسر فيخالف حتى اوامر ولاتك وعبيدك، ان كانت هذه الاوامر حسب ارادة الله؟ حقا ايها الملك لقد اكرمتني جلالتك ومدحتني، فالكذب ذميم امام الله وامامك يا خيرة الرجال، الا انني لا اتخلى عن مجد الهي في سبيل الحصول على مديحك، ولا استهين بالهي لأجل اكرامك. فانه هو الذي مجدك وعظّمك واقامك ملك الملوك على الشعوب وملوكهم، واعطاك هذه المملكة الواسعة القوية والعجيبة. ولماذا دعتني جلالتك عاصيا انا الضعيف اصغر عبيد عظمتك؟» قال له الملك: «لانك لم تضطر شعبك الى دفع الجزية التي فرضناها عليهم.» فاجاب شمعون: «معاذ الله، ايها الملك، ان يكون عبدك ظالما لشعب الله المتواضع. وحاشا جلالتك الرفيعة ان تأمرني انا الرجل المسكين الذي اعلم شعبي الفقر والتواضع. واعلمهم ان من يضربهم على خدهم ليقدموا له الآخر، وان من يأخذ قميصهم ليعطوا له رداءهم ايضا، بأن اكون عاتيا تجاههم وارغمهم على هذا الامر.»

ولما قال شمعون هذا الكلام، تألب عليه المجوس والولاة الظالمون وقالوا: «ان هذا الذي يرفض دفع الجزية، انما يرمي الى اثارة شعبه على التمرد.» فاجابهم

شمعون: «الا يكفيكم الظلم الذي تلحقونه بالمساكين وتسخيركم الضعفاء، فتريدون الآن اخضاعنا نحن ايضا لطغيانكم؟ وبأي صفة تقتضون منا جزية مضاعفة؟ الكوننا اغنياء؟ فاننا افقر الشعوب كلها.» فقال له المجوس: «بل لكونكم على غير مذهب ملك الملوك المشارك طبيعة الآلهة.» فاجابهم شمعون الحكيم: «كان الأولى الا نُطالَبَ بجزية مضاعفة على ايماننا، بل ان ندافع عن ايماننا وتعليمنا. فاننا مستعدون ليس على بذل اموالنا في سبيل الحقيقية حسب، بل حياتنا ايضا. ولكننا لا نقبل دفع الجزية، لأن سلطتنا ليست دنيوية لكي نمارس الضغط والاكراه على اخوتنا، بل سلطتنا هي من الله الذي يوصينا بالتواضع في جميع كتبنا. فنعلّم الناس ان يعطوا المساكين وليس شأننا ان نبتزّ من المساكين، وان نفرّج عن المتضايقين لا ان نظلم المرهقين.»

ولما سمع الملك هذا الكلام، قال لشمعون: «اياي خاطب ياشمعون، فاني انا مولاك، واترك رفاقك. فلم تُدعَ امامي لتجيب على رفاقك، بل على سؤالي.» فسجد شمعون امام الملك وقال له: «ليقل سيدي الملك لعبده ما يشاء.» فقال له الملك: «نحن عائشون في حروب ومعارك مستمرة، وانتم تنعمون بالراحة والامان رغم كونكم على غير ديانتنا. ولكن اخضع انت وشعبك واقبل بجباية جزية مضاعفة من شعبك، واذهب بسلام الى بيتك.» فاجابه شمعون: «ان أجسادنا رهن امرك، وبيوتنا واموالنا تحت تصرفك، ايها الملك، اذ لا شيء لنا في هذه الارض. فليأمر مولاي الملك بأخذها ان شاء. ولكني اقول الحق اني لن اضطر شعبي الى دفع الجزية حتى ان امرتْ جلالتك بسلخ جلدي. فخير لي ان يسلخ جلدي من ان آخذ ثوب الفقير وان اضايق الذين حررهم ربي.» فقال له الملك: «اترك امر الجزية جانبا، وانصحك بما يفيد حياتك: فانا لا اريد قتلك، لانك رجل حكيم، كما قلت ذلك مرات عديدة. والآن اسمع نصيحتي وامتثل امري واسجد للنار والشمس.» فاجاب شمعون الشجاع وقال له: «اهذه هي النصيحة المفيدة لحياتي؟ انه امر يضر بحياتي ولا يفيدها.» فقال له الملك: «الا تفيدك هذه النصيحة؟» اجاب شمعون:

«ليس ثمة نصيحة أضر منها بحياتي.»

م ـ مدحتك كحكيم ، ولكنك تبدو الآن جاهلا بمقاومتك امري . فانما الجهلة يقاومون اوامرنا الالٰهية .

ش ـ حاشا لشمعون عبد الالٰه الحقيقي الاوحد ان يقيم وزنا لآلهة اخرى ، وان يسجد للشمس والقمر اللذين سيبطل سيرهما يوماً ، اوللنار التي تموت كل يوم وتنطفيء . كلا اني لا اطيع امرك ايها الملك حتى ولو امرت بحرق عظامي جميعها . فانا الناطق لا اسجد للخليقة الصماء ، وانا الحي لا اسجد لما هو مائت .

م ـ ان كنت لا تسجد للنار لانها مائتة ، فلا ينبغي ان تسجد لالٰهك ايضا . فقد مات هو ايضا حينما صلبه اليهود . فاحسب موت النار مثل موت الٰهك .

ش ـ حاشا لله ان يتألم اويموت . فكل من يتألم ويموت ليس الٰها . لان الطبيعة الالهية ارفع من الآلام والموت ، فهي غير خاضعة للألم .

م ـ لقد كذبت اذ قلت ان الٰهك لا يموت . الم يمت يسوع الذي تدعونه المسيح ؟

ش ـ اجل لقد مات المسيح حقا وانبعث وقام . ولكن ليس الله الذي مات وانبعث وقام .

م ـ فمن هو اذن يسوع المسيح ؟

ش ـ انه اله وانسان .

م ـ وكيف صار الله انساناً ؟

ش ـ لان الله اراد ان يعيد البشر من الضلال ويشفي امراضهم ، ولم يكن بوسع الناس ان يروا الله ويحيوا ، لذا فقد اتخذ طبيعة بشرية ، وعلّم البشر واحسن اليهم ، وشفى امراضهم واعادهم من ضلال الاصنام . فحسد اليهود ذاك الذي يُرى وليس من لا يُرى ، وقبضوا عليه وصلبوه ، وبذل نفسه ليموت ويحيا ايضا ، فيبرهن بذلك عن قيامة البشر كلهم . فانبعث وقام وصعد الى السماء وهو مزمع ان يعود ويقيم المائتين . والشمس ذاتها التي تأمرني بالسجود لها قد اظلمت حين صلبه توبيخا لليهود على صلبهم ذاك القدوس عوض السجود له .

م ـ ان ما سمعته حتى الان هو ان اليهود صلبوا اله المسيحيين .

ش ـ معاذ الله ان يقول المسيحيون ذلك . انما الذين يزعمون ذلك هم المرقيونيون الذين يُطلَق عليهم لقبُ المسيحيين زورا .

م ـ تخلَّ عن هذه الاقوال وامتثل امري واسجد للالهين النار والشمس لتحيا .

ش ـ لقد سمعت ايها الملك ما قلته من اني لن افعل ذلك حتى ولو امرت باحراق جميع عظامي .

م ـ بسجودك للنار والشمس تنجو من الموت الزؤام .

ش ـ ان الموت في سبيل الله خير لي من كل التنعمات . واني لأقبل ذلك بفرح ومن كل قلبي دونما خوف فطوبى لمن يؤهَّل ليُهان من اجل الله اويُزَجّ به في السجن اويحتمل العذابات في سبيل الحق ، ولاسيما طوبى لمن يُقتَل في سبيل الله ، فانه موعود بالحياة الابدية .

م ـ ليس من الحكمة ، يا شمعون ، ان تصر على رأيك فتعرِّض كثيرين معك للابادة . فأشفق على حياتك وحَياة الالوف المهدَّدين بالموت . فاني اقسم بالشمس ديان الارض كلها انك اذا عصيت امري ، فسأقتلك انت صديقي ولن اشفق من بعد على جميع الذين يُدعَون مسيحيين . فلا تدفعني الى سفك دمك ودم الالوف من البشر . واذا كنت لا تشفق على نفسك لقساوة قلبك ، فأشفق على الاقل على نفوس الآخرين .

ش ـ حقا ايها الملك ، انه لَمعتوهٌ ذاك الذي لا يشفق على نفسه وعلى نفوس اخوته . ولكوني اشفق على نفسي وعلى نفوس اخوتي ، فانا ثابت في تعليمي . فان تعليمنا يقول : «ماذا ينفع الانسان لو ربح الدنيا كلها وخسر نفسه ، وبماذا يفدي الانسان نفسه؟»[٦] . فلك السلطة على حياة اجسادنا ، واذا شئت ، فانتزعها منا سريعا باية ميتة اردت .

م ـ انك وان كنت الآن لا تشفق على نفسك ، فان موتك سيرعب أتباعَك ويحملهم على طاعتي .

ش ـ حاشاهم ان يحيوا هذه الحياة ويخسروا الحياة العتيدة . انك ستشاهد تعلقهم

(٦) ـ متى ١٦/٢٦ .

الحقيقي بالههم، وستعرف محبتهم له بموتهم. انهم لن يستبدلوا مجد الله الحي بتاجك الكريم والشهير.

م ـ لماذا تتمرد عليّ بجسارة فتدفعني الى تشويه جسدك البهي بالسيف والى تلويث قامتك الجليلة بالدم؟ فان لم تكرمني الآن أمام عظمائي ولم تسجد للشمس اله المشرق، فاني غدا في وقت وجيز أفسد جمالك بالسيف.

ش ـ اني لا اسجد للشمس، فان شئت فخذ حياتي اليوم او غداً. واما قولك انك تفسد جمالي، فهناك من يبعثني ويقيمني ويوليني بهاء لا يوصف.

م ـ فامر الملك بزجه في السجن حتى الصباح، لعله يتعظ ويطيعه.

وبينما كانوا يجرّونه بسلسلة ويخرجونه من باب الملك، كان كوشتازاد واقفا على جنبة وهو يشتاق الى السلام على شمعون. فتجاسر ودنا وسجد امامه. فزجره شمعون وحوَّل وجهه عنه وقال: «لا سلام لي مع من جحد الهي ومسيحه.» وفي الحال شرع كوشتازاد يولول ويبكي بكاء مرا ويقول: «الويل لي، ماذا حدث لي. فاذا كان شمعون، احب الناس اليّ، قد غضب عليّ هكذا، فكم يكون غضب الله عليّ؟ وماذا تراه يفعل بي انا الذي خنته؟ فما حاجتي الى المسوح في البيت والى الرماد والخفاء؟ بل عليّ اليوم ان اعترف بيسوع الذي انكرته امام شابور نفسه. وعليّ ان اقدّس بالاعتراف باسمه الشفتين اللتين دنّستهما بجحوده. وسرعان ما عاد الى منزله، ونزع ثيابه، ولبس ثيابا سودا علامة على الحداد، ثم جاء وجلس في موضعه الاول بين رفاقه الأمناء، وكان مجلسه معروفا. فبالاضافة الى كونه رئيس الامناء، كان ايضا ابن مربّي شابور الملك. وكان الداخلون والخارجون يرونه على تلك الحال وينذهلون من امره. وبلغ الخبر الى الملك نفسه، فارسل من يقول له: «ما هذا الجنون الذي اصابك؟ فاني انا حي ومؤيّد ومظفر، وانت تعكف على الحزن؟ فمن مات من اهل بيتك؟ امرأتك او اولادك حتى تلبس الحداد؟ في حين ان طبيعتك تشهد ان لا امرأة لك ولا اولاد؟» ولما سمع كوشتازاد هذا الكلام من رسول الملك، اجاب: «اني حزين حقا، لاني استوجب الموت.» ولما وصل هذا الخبر الى الملك، سأل الحاضرين عن سبب كلام كوشتازاد. فاجاب بعض من زملائه

الامناء : «اننا لانخفي عليك ، يا ملك الملوك ، ان كوشتازاد لم يقبل الى القصر طوال ثلاثة ايام ، منذ ان قدمَ شمعون زعيم النصارى الى كرخ ليدان . وقد اقبل اليوم فقط . وبلغنا انه كان لابسا المسوح وجالسا على الرماد في بيته . »

حينما سمع الملك هذا الكلام ، امر باحضار كوشتازاد امامه لكي يعلم منه سبب حزنه . ولما حضر كوشتازاد ، قال له الملك :

م ـ هل اصابك مسٌّ من الجنون حتى تجلب هذا الفأل المشؤوم على مملكتي ؟

ك ـ لا يقل سيدي الملك هذا الكلام . فلم يصبني اي جنون ، بل اني لقادر ان اعلّم الحكمة بشيخوختي للعقول التافهة .

م ـ فلِمَ انت لابس الحداد في غير اوانه ، وارسلت تقول انك مستوجب الموت ؟

ك ـ حقا اني استوجب الموت ، لاني ارتكبت جريمة نكراء وحماقة جسيمة .

م ـ أبلغت جريمتك هذه الجسامة حتى انك تجلس على المسوح والرماد ؟ اوصلت حماقتك الى حد انك تلبس الحداد ؟

ك ـ اجل ، سيدي الملك ، ان جريمتي جسيمة لا شفاء لها ، وجهالتي كبيرة لا مغفرة لها . فاني قد ارتكبت جريمة قتل فظيعة .

م ـ والى من اسأت ؟

ك ـ الى الله رب الكل ، اذ استبدلته بخليقته .

م ـ وما الذي خسرته ؟

ك ـ لقد خسرت سعي ايماني منذ صباي حتى الآن .

م ـ ومن قتلت ؟

ك ـ قتلت نفسي ، لاني سجدت للشمس .

م ـ الم تسجد للشمس حقا ؟

ك ـ اني لم اسجد سجودا صادقا ، بل كاذبا . وانا حزين على هذا ايضا ، لاني لم اكن صادقا لا نحو الله خالقي ، ولا نحوك يا خيرة الرجال . فاني كذبت على الهي اذ تخلّيت عن حقيقته واطعت ارادتك ، وكذبت عليك ايضا ، ايها الملك ، اذ سجدت للشمس ظاهريا فقط وليس من القلب .

م ـ اهذا هو سبب حزنك ، ايها الشيخ الجاهل ؟ اني ساعجل حزنك ومناحتك اذا اصررت على هذا الرأي الاثيم ولم تتراجع عنه .

ك ـ اسمعني ايها الملك الصالح وصدّقْ قَسَمي : فاني قد اقسمت بالله خالق السماء والارض اني لن اذعن من الآن لارادتك فاكفر بالهي .

م ـ يا كوشتازاد ، اني اشفق على المساعي الحميدة التي بذلتها لابي ولي حتى الآن ، ولهذا امهلك لكي لا تنضمَّ الى مذهب هؤلاء السحرة الذين يدعون مسيحيين ، لئلا تخسر الحياة وتفقد نعمة سيد الارض كلها .

ك ـ عشت ايها الملك ودام ملكك وسلطتك يا خيرة الرجال . اني افعل حقا ما قلته الآن لئلا اخسر الحياة وافقد صحبة سيد الارض كلها الذي هو الاله الحقيقي خالق السماء والارض وكل ما فيهما . صدّقني ايها الملك وتأكد من كلامي الثابت انه ليس من يفصلني عن صحبة رب السماء والارض ، لا انت ولا العظماء الماثلون امامك ، ولا ملائكة السماء ان ارادوا الاشارة عليّ بالانفصال عن محبة الهي ، لن يتمكنوا من استمالة افكاري الحقيقية فأتخلى عن الخالق واسجد للخلائق .

م ـ افأسجد انا للخلائق ، ايها الشيخ الجاهل المنافق ؟

ك ـ اتريد مني قول الحق ام الكذب ، ايها الملك ؟

م ـ بل قل الحق .

ك ـ ليتك كنت تسجد للخليقة الناطقة وليس للخلائق الصماء التي لا نفس لها ولا عقل وهي موضوعة لخدمة البشر .

فامر الملك في سورة غضبة ان يُقطعَ رأسُ كوشتازاد .

وبينما كان السيافون يقودونه الى موضع تنفيذ الحكم ، اذا بكوشتازاد يصرخ ويقول لأمناء الملك والذين كانوا يذهبون به : «أمهلوني قليلا .» فتوقفوا ظانين انه ربما قد ارعوى . فدعا كوشتازاد احد الامناء وقال له : «امض وقل للملك ان لي كلاما اقوله له .» فذهب الامين واخبر الملك بالامر . ولما سمع الملك سر سرورا عظيما لظنه ان كوشتازاد يرضخ لارادته . وامر باحضاره . وحينما دخل كوشتازاد ، سجد امام الملك وقال : «انك تعلم يا سيدي الملك اني كنت امينا ومستقيما في

جميع اسرار مملكتك . ولم يكن اخلاصي هذا نحوك حسب ، بل نحو ابيك ايضا من قبلك ، كما بلغك من الملكة والدتك ، وكما شهدت انت نفسك على ذلك قبل قليل اذ قلت : اني اشفق على المساعي الحميدة التي بذلتها لي ولابي ، لذا فاني امهلك . لاجل ذلك كله ، التمس شيئا واحدا من رحمتك ، وهو ان تأمر جلالتك بان يصعد مناد على السور ويطوف عليه وينادي : ان كوشتازاد يُقتَل ليس لكونه افشى اسرار الدولة او لأي ذنب آخر حُكم عليه بالموت ، بل لكونه مسيحيا ليس الا ، ولان الملك امره بالسجود للشمس وهو لم يرد ان يكفر بالهه .»

اجل ، لقد فكر هذا الشيخ الحكيم وقال في نفسه : لقد شاع خبر جحودي الهي ، وكثيرون قد تخاذلوا بسببي . فاذا قُتلت الآن ، فان موتي لا يكفي للتعويض عن الشكوك التي سببتها ، الا اذا عُرفَ الامر بواسطة المنادي ، فيستعيد المتراخون والضعفاء قوتهم ، ويعرف الجميع اني انما أقتَل في سبيل المسيح .

تأملوا هذا الشيخ الحكيم والحيلة التي اخترعها في ذلك الوقت الرهيب الذي فيه يستحوذ الرعب على المرء فينسى حكمته وينتابه القلق والارتباك . اما هذا الحكيم ، فكان يفكر في ما يليق بحكمة شهادته . اجل لقد فكر ان الدوافع الى قتل من يشغل منصبا رفيعا مثله كثيرة . ولكن ليعلم الجميع انه انما يُقتَل من اجل المسيح . لله درك ايها الشيخ الفطن ، فما اعظم الفكرة التي تمخّض عنها عقلك الكبير ! وما اعظم التراث الذي تركته لكنيسة المسيح ! وما اكبر الشجاعة التي الهمها مثلك الصالح للمترددين والجبناء ! وما اعظم النور والحكمة اللذين انرت بهما عقول المظلمين !

ولما سمع الملك ملتمسَ كوشتازاد، سُرَّ جدا ظانا ان كثيرين سيتراخون عند سماعهم خبر قتله ويتخلون عن المذهب المسيحي ويرضخون لارادته . ولكن شتان ما بين افكار كوشتازاد وافكار الملك ! فقد قضت افكار الشيخ الحكيم على افكار الملك الجاهل .

وامر الملك بان ينادي المنادي حسب رغبة كوشتازاد . اما كوشتازاد فقد اخذوه الى موضع القتل . ولما بلغه ، ركع ساجدا لله ومتوجها نحو الشرق وقال : «احمدك ايها المسيح لأنك اعدتني انا الخروف الضال الى حظيرتك المقدسة ، ووجدتني بواسطة

راعيك اليقظ والنشط شمعون الذي خرج باحثا عني ، وادخلتني في عداد المؤمنين بك ، لأكون ابنا للرسل واخا للشهداء الذين تكللوا في المغرب ، وقدوة صالحة لشعبك في المشرق ، لئلا يتخاذلوا فينحرفوا عن الايمان الحق بالآب والابن والروح القدس ، الكائن الحقيقي ملك المجد الذي له الشكر من افواه جميع الساجدين له في السماء والارض ، الآن والى دهر الدهور آمين . » ثم نهض من صلاته ووجهه يتهلل فرحا ، ونظر الى الواقفين هناك وقال : «ليفرح اليوم الله واهب الحياة بالميت الذي عاد ، وليبتهج مسيحُه بالضائع الذي وُجد ، وليتهلل الملائكة بالخاطىء الذي تاب ، وليفرح ويشكر من كل قلبه ابونا الروحي مار شمعون الجاثليق ، وليمجّد ويعظّم الله الذي نظر الى تواضع نفسه فاعاد اليه ابنَه الذي بذّر اموال ايمانه ، فيهرع اليّ لدى سماعه خبر استشهادي ، ويعانقني عندما يهوي السيف على عنقي ، ويحتضنني حينما يُقطَع رأسي ، ويقبّلني باستشهادي . » قال هذا ثم احنى رأسه امام السيف ونال الشهادة . . . جرى ذلك في يوم الخميس من اسبوع الفصح الموافق الثالث عشر من نيسان (سنة ٣٤١م) .

اما الطوباوي شمعون الجاثليق ، فبعد ان خرج من عند الملك ولقيه كوشتازاد وسجد امامه وسمع منه شمعون ما جاء اعلاه ، جاء الى الاساقفة زملائه الذين ذكرنا اسماءهم آنفا والى الكهنة والشمامسة الذين كانوا قد اودعوا السجن قبل مجيء شمعون الى بلاط الملك ، والذين خاضوا غمار الجهاد ببسالة وفرح حتى نالوا اكليل الظفر . ففرح به هؤلاء فرحا عظيما اذ عاينوا ابا الاساقفة ، وكانوا في غاية الشوق الى رؤيته منذ سماعهم بمجيئه الى كرخ ليدان . فحيّاهم شمعون وقبّلهم جميعا وشرع يقول لهم : «ماذا اقول لكم : فانكم سبقتم اقوالي بالافعال ، اذ انتصرتم في ضيقات كبيرة . وبماذا اذكّر عقلكم المستقر في السماء؟ وماذا اقول عن سيرتكم التي سمت فوق الارض وبلغت السماء؟ فقبل قدومكم الى ههنا قد اكتملتم في شهادتكم بالضيقات التي احتملتموها من مضطهديكم . فقد رأيتم بعيونكم هدم كنائسكم دون ان يساوركم الشك في ايمانكم . والآن ايضا يا اخوتي تشجّعوا وتقووا واثبتوا في رجائكم . فقد أعدّت لكم الاكاليل من الآن ، وفُتحَ امامنا باب الوليمة . فهلموا نتزيّن باكاليل الشهادة ، هلموا ندخل الى وليمة الله . ان الاكاليل معدّة لنا في السماء . اما

الطريق المؤدي الى السماء فحرج والباب المفضي اليها ضيق، كما قال الرب: «ما اضيق الباب واحرج الطريق المؤدي الى الحياة، وما اقل الذي يهتدون اليه!»(٧) هلموا نكتسب اجنحة ونحث السير. هلموا نضعف اجسادنا وندخل من هذا الباب ونسير في هذا الطريق ونطير ونرتفع الى هذا العلى. لا ننظر الى جنسنا وعشيرتنا، ولا نتفرس باخوتنا واقاربنا، ولا نمعن النظر في آبائنا الارضيين، بل هلموا ننظر الى جموع الملائكة وزمر السرافيم وضغمات الكاروبيم وصفوف السادات ورتب السلاطين الذين سنختلط فيما بينهم ان انجزنا جهادنا. هلموا ننظر الى جموع الرسل وزمر التلاميذ ونتأمل الانبياء الذين قُتل بعضُهم ونُشر غيرهُم ورُجم آخرون، وصُلب آخرون، وآخرون ضُربت اعناقهم بحد السيف، ومنهم تعذبوا بالجوع والعطش، هؤلاء الناس الذين لم يكن العالم يستحقهم. فاذا اردنا وسعينا واهتممنا بنيل الشهادة، فاننا سنشاركهم نعيم الخيرات العتيدة في ملكوت السموات الذي أعدَّه لنا المسيح. فهو الذي اختبر الالم يستطيع ان يساعد المبتلين، كما قال الرسول(٨). فاذا تألمنا في سبيل اسمه، فهو سيساعدنا ويقوينا في هذا الجهاد، فنكتمل في شهادة المسيح التي نختمها بالاعتراف بالآب والابن والروح القدس.»

وبينما كان شمعون يوجه هذه الاقوال الى اخوته، دخل عليهم فجأة رجل وقال لهم: «افرحوا بالرب ايها الطوباويون. فان كوشتازاد المجيد قد نال اكليل الشهادة.» فتعجب الجميع مما سمعوه. فروى لهم الرجل كل ما جرى. فغمر قلوبَهم فرحٌ عظيم، وأخذ شمعون يؤدي الشكر لله على ما منّ به على كوشتازاد، وقال لاخوته السجناء: «هلموا نسبّح الرب ونرنّم لله مخلصنا. هلموا نشكر المسيح ونعظّم اسمه الرفيع على الفرح العظيم الذي حققه لنا، اذ اعاد الخروف الضال الى حظيرة المسيح، والدرهم الضائع من الكنيسة الى صرّته، والابن الذي بذّر امواله الى منزل ابيه. فما امجدَ قوتَك يا خالقنا! وما اقدر سلطتك يا مخلصنا! لانك تحيي الموتى،

(٧) ـ متى ٧/١٤.

(٨) ـ عبر ٢/١٨.

وتقيم الساقطين وتولي اليائسين الرجاء. فهذا الذي كنتُ احسبه غريبا صار قريبا، والذي كنت اظنه الاخير صار الاول، والذي كان بعيدا عن الحقيقة صار قريبا في الايمان، والذي كان قد أُخرجَ الى الظلمة البرانية صار جليسَ الوليمة السماوية. انه لقد اصبح لي هاديا يهديني في الطريق الحرج. وكأني به يقول لي الآن: «قم يـ شمعون وهلم، وليس لك الآن ان تؤاخذني او ان تامنعني من بابك او ان تغتاظ مني. فادخل بفرح الى المنزل الذي اعددته، ولنفرح سوية في موضع النور. فماذا يمنعني من ان اسمعه؟ وماذا يعيقني عن الحاق به؟ فما اسعدني حينما يأتون ويقودونني الى القتل!»

ثم جثا الطوباوي وشرع يصرخ ويقول: «ايها الرب يسوع، امنحني اكليل الاستشهاد، لأنك تعلم اني ابتغيه من كل قلبي. يا فاحصَ الخفايا، انت تعلم اني احببتك من كل نفسي. لقد اشتقت كثيرا الى هذا الاكليل والتمسته منك. فهب لي ان ارى السيف وافرح. هب لي ان استريح في ملكوتك واتعزى بمجدك. هب لي الا اعيش بعد في هذا العالم والا ارى شدائد شعبي. هب لي الا احيا وارى كنائسك مستأصلة ومذابحك مهدومة، وكتبك المقدسة ممزّقة، وخدمتك مهانة، واقداسك مدنّسة، ورهبانك عرضة للضيق والعذاب في كل مكان. هب لي الا احيا فأرى انخذال المتراخين وجحود الجبناء. هب لي الا احيا فأرى الذئاب تفترس الابرشيات المزدهرة، والا اشاهد الاصدقاء الكاذبين وقد انقلبوا عليّ اليوم اعداء وقتلة . . . هب ان اقوم على رأس المشرق كله ببسالة، فاكون قدوة صالحة لشعبك كله في هذه المملكة العاتية . . .»

اما الاساقفة والكهنة والشمامسة الذين كانوا معه في السجن، فكانوا متعجبين من بسالته ومواظبته على الصلاة وهو باسط يديه الى السماء طوال هذه المدة، وقد تغيّر وجهه وصار يضارع الورد نظارة. ثم ختم صلاته بالشكر، واجابه الجميع: «آمين». والتفت الى اخوته وباركهم وقال لهم: «افرحوا بربنا يا اخوتي، واقول ايضا افرحوا، وتشجعوا وارفعوا رؤوسكم اذ قد بلغ زمان خلاصنا، وسنُقتَل غدا في يوم آلام الرب.» واستمر يحدّثهم من الكتب المقدسة.

وبعد ذلك قال لهم شمعون : «هلموا نسبّح الرب ونرنّم لله مخلصنا ، لانه خلص كوشتازاد عبده من الموت وانقذه من براثن الجحيم ونجاه من الضلال ومن عبادة الاصنام واتى به الى النور، واوصله الى ملكوت ابنه يسوع ، فاستحق ميراث القديسين في النور. هلموا نصنع ذكره بفرح ونمزج فصحه بفصح المسيح ، ونقتسم جسد ودم حمل الله الحامل خطايا العالم . فقد علّمنا ان ذبيحة جسده يقيمها عبيده القديسين في الكنائس وليس اليهود . » فصلوا واقاموا الذبيحة الالٓهية على أيديهم في السجن ، اذ لم يستطع احد ان يجلب لهم آنية القداس خوفا من المضطهدين . وهكذا مزجوا الفصح بالفصح والذكرى. ثم قال لهم شمعون : «يا احبائي ، ليرافقنا سر جسد المسيح هذا حتى اليوم الذي فيه نتلقى تجلّيه حينما يأتي على سحب السماء مع ملائكته القديسين ويعيد نفوسنا الى اجسادنا التي يبعثها من التراب ، ثم يصعدنا معه الى السماء ويمتعنا برؤيته الشهية ، ويشركنا في مجده ويبهجنا في ملكوت السماء مدى الابد. آمين» فاجاب الجميع : «آمين . »

ثم استأنفوا الصلاة طوال الليل السابق ليوم الجمعة ذكرى آلام الرب ، وهم يرتلون المزامير والمداريش والتسابيح واقفين على ارجلهم ، دون ان يغلبهم النعاس او ان تتشتت افكارهم . وبعد ذلك جثوا كلهم واخذوا يبتهلون الى الله ويقولون : «هب لنا يا رب ان نتألم نحن ايضا في يوم آلامك ، وان نذوق كأس الموت لأجل اسمك ، لكي تردد الاجيال اللاحقة : ان شمعون واخوته انضموا الى يسوع ، ومثل يسوع قُتلوا يوم الجمعة الرابع عشر من نيسان . » .

وفي الساعة الاولى من صباح الجمعة ، استُدعوا من السجن الى قصر الملك . ولما حضروا ، ارسل الملك يقول لشمعون واخوته : «اسجدوا للشمس التي بشروقها يحيا العالم ، فتحيوا . » فاجاب شمعون عن الجميع وقال لامين الملك : «لماذا نسجد لمن لا يرى سجودنا؟ ولماذا نصلي الى من لا يسمع صلاتنا؟ ولماذا نمجّد من ليس واعيا بنوره؟ معاذ الله ان يسجد المسيحيون للمخلوق عوض الخالق او ان يستبدلوا الخالق بخليقته . فنحن لا نجحد الله حتى اذا اضطررنا الى احتمال اقسى الشدائد والموت . اما قول الملك ان العالم يحيا بنور الشمس فليس الامر كذلك ، اذ

لايستطيع من ليس حيا ان يمنح الحياة. انما العالم يحيا بارادة الله الحي في كيانه. فالعميان ايضا يحيون وهم لا يرون نور الشمس. . . »

ونُقل الى الملك ما قاله القديسون. فارسل اليهم ثانية يقول: «اخضعوا لما اقوله لكم واطيعوا ارادتي، فازدْ اكرامكم وارفع منزلتكم.» فاجاب الطوباوي ورفاقه: «انت تعلم ايها الملك انك اذا ارسلت قائدا الى الحرب وولى هاربا من المعركة خوفا على حياته وعاد القهقرى، تحكم عليه بالاعدام. فاذا كان الهارب من الحرب يُقتَل، افما يستحق الموت جزاءِ على جحوده ذاك الذي ينبذ الله ديان الاحياء والاموات، ويُدبر في الحرب في سبيل حقيقة ملك الملوك والشعوب كلها الذي لا انقضاء لملكه؟ اجل، انه يستحق ذلك لكونه خاف من الناس ولم ينظر الى الله الذي نظرته ترهب السماء والارض وكل ما فيهما، والذي لا يستطيع حتى الملائكة ان ينظروا الى بهاء عظمته. فمن هذا الالٰه يجب ان نخاف، ايها الملك، وليس من الناس المائتين، ولرب السماء والارض هذا يجب السجود والاكرام وليس للشمس التي يعروها الظلام كل يوم. ولو كانت واعية لشكرتنا، لان الله انما خلقها لأجلنا، ووضعها في الجولتنير الارض. اما بشأن الاكرام والعظمة اللذين وعدتنا بهما، فان في السماء كنزا مليئا بما هو افضل واحسن من جميع الهبات واللذات الزائلة. وحينما نُقتَل في سبيل الله، اذ ذاك نستحق ان ندعى رؤساء ابرارا ومدبرين عادلين.»

ولما أُبلغ الملك ما قاله شمعون ورفاقه، امر باحضار شمعون وحده امامه. فادخلوه عاجلا عند الملك، وكانت الساعة الثالثة. ولدى دخوله، سجد امام الملك. فقال له الملك: «يا شمعون المتمرد، عمّ تمخضت افكارك في هذه الليلة؟ اتريد ان تبقى في صداقتنا ام ان ارسلك الى الجحيم؟»

ش ـ عشت ايها الملك، اني لقد بتُّ في فكرة حسنة.

م ـ وما هي؟

ش ـ ان الموت خير لي من الحياة مع جحود الله.

م ـ واين صداقتك لي؟

ش ـ اني حقا احبك، وانا وشعبي نصلّي كل حين لاجل مملكتك، كما تأمرنا

كتبنا المقدسة . الا ان صداقة الله افضل من صداقتك ، ايها الملك . فلا تُقابَل صداقة الملك بمحبة الله ، كما لا يقابل اصغر الكواكب بالشمس ، مع كون كليهما نورا . فهناك فرق بين صداقتك ومحبة الله . فانا احب جلالتك كملك يهتم بمملكته ، واحب الله كاله وسيد وخالق وواهب الحياة وكحافظ ومدبر ومقيت وباعث وواهب المجد الذي لا يزول لمحبيه الذين يحفظون وصاياه .

م ـ اسجد ولو مرة للشمس ، فاخلّصك من ايدي المجوس الذين يرمون قتلك .

ش ـ معاذ الله ايها الملك ان يُسمَع هذا في العالم ويروى في المسكونة ، فيشمت بي اعدائي ويفرحون قائلين : لقد حاد شمعون عن الهه وسجد للشمس ، لانه خاف من الموت وفزع من القتل وفضّل الحياة الزمنية .

م ـ اني لاجل صداقتي لك قد امهلتك ونصحتك ولم تسمعني ، فانت الآن مسؤول عن ذلك .

ش ـ ايها الملك ، اني لست بحاجة الى مثل هذه النصائح . ولكن ان امرت بقتلي في سبيل الهي فاذ ذاك تظهر لي صداقتك بالفعل . ولا تجديني نفعا صداقة الملك التي تهيء لي سخط الله .

ولما سمع الملك هذا الكلام ، اخذته الدهشة من شجاعة شمعون ، ونظر الى الملوك والعظماء والنبلاء الجالسين معه وقال لهم متنهدا : «اني اقسم بالآلهة والشمس ، باني قد رأيت شعوبا غريبة واراضي بعيدة وابناء بلادنا ، ولكني لم أرَ جمالا مثل هذا ورشاقة مثل هذه . فانظروا كيف انه لا يشفق على نفسه في سبيل الضلال الذي هو متمسك به .» فاجابه الجميع : «ايها الملك ، لا تنظر الى جمال جسده ، بل انظر الى جمال النفوس الكثيرة التي يفسدها ويبعدها عن تعليمنا .»

حينئذ اصدر الملك امرا عليه وعلى اخوته بقطع رؤوسهم . وكان ذلك في الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة . ففي الوقت الذي فيه مضى الرب الى آلام الصليب ، خرج هؤلاء الظافرون ايضا الى القتل . وجاء رئيس الحكام اليهم ايضا وسألهم قائلا : «هل تسجدون للشمس وتطيعون ارادة شابور ملك الملوك وسيد الارض كلها فتحيوا ؟» فاجابه الجميع بصوت عال وقالوا : «اننا حقا نطيع ارادة ملك

الملوك وسيد الارض كلها الذي هو الملك الابدي ! » فسرّ رئيس الحكام حينما سمع هذا الكلام وقال لهم : «فاسجدوا اذن للشمس . » فضحك منه الشهداء بصوت عال وقالوا له : «الم تقل لنا ان نعمل بارادة ملك الارض كلها ؟ فنحن الآن نطيعه ولا نسجد للشمس . » فقال لهم رئيس الحكام : «ومن يكون ملك الملوك وسيد الارض كلها سوى شابور ملك الملوك ؟» فقالوا له : «انك نطقت بكذب فاضح . فان ملك الارض كلها انما هو الله خالق السماء والارض وكل ما فيهما ، وهو الملك الابدي . اما شابور فليس مسلطا سوى على زاوية من الارض ، وهو اليوم وغدا لن يكون على وجه الارض . فاذا كان شابور الملك سيد الارض ، فليأمر بانبات الزرع دون بذار وعمل الفلاحين والمطر ، ليأمرها بان تنبت اشجارا لم تُغرس . وقصارى القول : معاذ الله ان نسجد للشمس او لاحدى الخلائق وننبذ الله . » فقال الحاكم : «انظروا ما انتم فاعلون . فقد اصدر الملك عليكم حكما بالموت . » فاجابوه : «انها لنعمة لنا ان يُنفّذ فينا هذا الحكم بالفعل فننال الحياة في الله . فاعلم ، وليعلم الملك ايضا ، اننا لا نسجد للشمس ولا نكفر بالهنا . » .

ونقل رئيس الحكام هذا الكلام الى الملك . فامر هذا بان يُقتَل الجميع قبل شمعون لعل عزيمته ترتخي امام منظر قتلهم . وبينما كان هؤلاء القديسون يقادون الى القتل ، حدث اضطراب كبير في مدينة ليدان واخذ الناس يتزاحمون لرؤية هؤلاء المعترفين المعذّبين وقد امتقعت وجوههم من جراء ما عانوه من العذابات ، الا ان افكارهم واجوبتهم كانت جريئة . وكان شمعون يتقدمهم لدى خروجهم مثل قائد مغوار، وهو يشجعهم بصوت عال في الطريق ويقول لهم : «تقوّوا بالله يا اخوتي ولا تخافوا . هوذا الرب يقول لكم : ثقوا ، انا غلبت العالم . فاننا نموت في سبيل المخلص ونُقتل في سبيل المسيح . وقد قال ايضا : «انا القيامة والحياة، من آمن بي وان مات فسيحيا[٩] . » فكم بالاحرى يحيا ذاك الذي قُتل من اجل اسمه القدوس المجيد . »

---

(٩) ـ يوحنا ١١/٢٥ .

ووصلوا خارج مدينة ليدان ، وكان يحيط بهم الوف من الوثنيين ومن المسيحيين المسبيين ، وهم يتعجبون بهؤلاء الناس الذين يُقتلون لاجل الله وهم مسرورون ضاحكون وغير خائفين .

ولم يكن شمعون يكف عن التعليم ، والبشاشة مرتسمة على محياه . وحينما وصلوا الى موضع الاعدام ، شرع يشجعهم ويقول : «لا تخافوا يا اخوتي من الذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون قتل النفس[١٠] . اذكروا ما قال الرب : «من اهلك نفسه من اجلي وجدها للحياة الابدية»[١١] . وتذكروا قوله الآخر : «ما من حب اعظم من حب من يبذل نفسه في سبيل احبائه»[١٢] . فاذا كان يسوع قد بذل ذاته عنا ونحن اعداء ، فلنسعَ لكي نبذل ذاتنا عن حبيبنا يسوع . واذا كان قاتلونا يبيدوننا بغيرتهم الضالة وليس كاعداء ، فان كلمة الرب تعزّينا اذ تقول لنا : «ستأتي ايام فيها كل من يقتلكم يظن انه يقرّب قربانا لله »[١٣] . واذا كانوا يفعلون ذلك كأعداء ومضطهدين ، فان هذا الكلام الآخر يشجعنا : «ان كانوا قد ابغضوني فسيبغضونكم ايضا ، واذا اضطهدوني فسيضطهدونكم انتم ايضا»[١٤] . تذكروا الكلام الذي فاه به الرسول بوحي من الروح : «اني احسب ان آلام هذا الدهر لا توازي المجد الذي سيتجلى فينا»[١٥] . وهذا الكلام الآخر : «ان كنا نتألم معه ، فستمجد معه ايضا»[١٦] . وهذا الآخر : «اذا شهدت بلسانك ان يسوع رب ، وآمنت بجنانك ان الله اقامه من بين الاموات ، نلت الخلاص»[١٧] . وهذا الاخر : «ما من احد منا يحيا لنفسه وما من

(١٠) ـ متى ١٠/٢٨ .

(١١) ـ متى ١٦/٢٥ .

(١٢) ـ يوحنا ١٥/١٣ .

(١٣) ـ يوحنا ١٦/ ٢ .

(١٤) ـ يوحنا ١٥/ ٢٠ .

(١٥) ـ روم ٨/١٨ .

(١٦) ـ روم ٨/١٧ .

(١٧) ـ روم ١٠/٩ .

احد يموت لنفسه ، فاذا حيينا فللرب نحيا ، واذا متنا فللرب نموت : سواء حيينا ام متنا ، فانّا للرب . وقد مات المسيح وعاد الى الحياة ليكون رب الاموات والاحياء»[١٨] .

تذكّروا يا اخوتي الرسل الطوباويين الذين ، حسب كلام الاناء المصطفى ، قد اصبحوا مشهدا للعالم والملائكة والبشر . فكانوا جائعين وعطاشا مثلكم ، ومثلكم كانوا عراة ومضطهَدين ، وكانوا يكدّون ويتعبون في العمل بايديهم ، كما انتم تفعلون . يُهانون وهم يباركون ، يُضطهَدون وهم يصبرون ، يُشتَمون وهم يطلبون منهم . لقد اصبحوا مثل نفاية العالم وكناسة الجميع حتى الآن[١٩] . ويقول الرسول ايضا : «ان الزمان يتقاصر : الذين يبكون فليكونوا كأنهم لا يبكون ، والذين يفرحون فكأنهم لا يفرحون . . . لان صورة هذا العالم في زوال»[٢٠] .. وتذكروا ما قاله ايضا : اسرعوا لكي تدركوا . فمن يخوض الجهاد يمتنعُ من كل شيءٍ . وهؤلاء يسعون لنيل اكليل بال ، اما نحن فنسعى الى اكليل لا يبلى . ثم يهتف الرسول ويقول : اما انا فهكذا اسعى : لست ارمي الى شيءٍ غير معروف ، وهكذا اجاهد لا كمن يقارع الهواء ، بل اقمع جسدي واستعبده ، لعلي انا الذي وعظت الكثيرين اجدني محروما . ولنصدّقه اذ يقول : ان الله امين ولن يدعكم تُجرَّبون فوق طاقتكم بل سيجعل لشدائدكم مخرجا لتستطيعوا الاحتمال . واسمعوه يقول : اقتدوا بي كما اقتدي انا بالمسيح . ولقد بذل ذاته فعلا مثل المسيح . فلنبذل نحن ايضا ذاتنا مثله . واسمعوه يقول : «ان كان رجاؤنا في المسيح مقصورا على هذه الحياة ، فنحن اشقى الناس اجمعين[٢١]» . وقد قرأتم وتأكد لديكم ما قاله مشجعا بخصوص الاموات وهو يدعوهم راقدين، لتعلموا ان الموت رقاد: «ان المسيح قام من بين الاموات وصار باكورة الراقدين . . .[٢٢]» . ويقول ايضا : ان كنا نؤمن بان المسيح

(١٨) ـ روم ١٤/٧ ـ ٩ .

(١٩) ـ ١ قور ٤/٩ ـ ١٣ .

(٢٠) ـ ١ قور ٧/٢٩ ـ ٣١ .

(٢١) ـ ١ قور ١٥/١٨ ـ ١٩ .

(٢٢) ـ ١ قور ١٥/٢٠ .

مات وانبعث وقام ، هكذا الذين رقدوا في المسيح يحييهم الله معه . ويشدّد الرسول عزائمنا في الحق ويقول : اسهروا وانهضوا في الايمان واستبسلوا واثبتوا .

«فلنسبّح الله يا اخوتي في هذا الوقت الذي فيه نُضحّى ، ولنقل : تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح ، ابو المراحم واله كل تعزية ، فهو الذي يعزّينا في جميع شدائدنا ، لكي نستطيع نحن ايضا ان نعزّي الذين هم في الشدائد بالتعزية ذاتها التي نتلقاها من الله[٢٣] . على ان هذا الكنز نحمله في آنية من خزف ، ليظهران تلك القدرة الفائقة لا تعود الينا بل الى الله : يُضيّق علينا من كل جهة ولا نُهصَر ، نحار في امرنا ولا نيأس ، اننا مضطهَدون لا مخذولون ، اننا مجدّلون لا هالكون ، نحمل في اجسادنا كل حين آلام موت المسيح لتظهر في اجسادنا حياة المسيح ايضا . فانّا ، وان كنا احياء ، فما زلنا نُسلَم الى الموت في سبيل يسوع لتظهر في اجسادنا الفانية حياة يسوع ايضا . . . عالمين ان الذي اقام الرب يسوع ، سيقيمنا نحن ايضا مع يسوع ويجعلنا واياكم لديه[٢٤] . ويضيف قائلا : لذلك فنحن لا نقصّر : فان كان الانسان الظاهر فينا سائرا الى الخراب ، فالانسان الباطن يتجدد يوما بعد يوم . وان الشدة الخفيفة التي نحن فيها تُعدُّ لنا قدرا عظيما من المجد الابدي لا حد له ، لاننا لا ننظر الى ما يُرى ، بل الى ما لا يُرى ، فالذي يُرى انما هو الى حين ، واما ما لا يُرى فهو للابد[٢٥] . ويضيف الرسول قائلا : نحن نعلم انه اذا هُدِمَ بيتُنا الارضي ، فلنا في السموات بيت من بناء الله لم تشدْه الايدي[٢٦] . وكم كان شوق الرسول عظيما الى هجر هذا الجسد ليقيم في جوار الرب !

ويستعرض الرسول ما ينتظر اتباعَ المسيح اذ يقول : نحن سفراء المسيح . . . وننزل في كل امر منزلة خدم الله بصبرنا في الشدائد والكرب والمشقات والجلد والسجن والفتن والتعب والسهر والصوم ، بالعفاف والمعرفة وطول الاناة والرفق

(٢٣) ـ ٢ قور ١/٣ـ٤ .

(٢٤) ـ ٢ قور ٤/٧ . . . ١٤ .

(٢٥) ـ ٢ قور ٤/١٦ ـ ١٨ .

(٢٦) ـ ٢ قور ٥/١ .

والروح القدس والمحبة الخالصة ، بكلام الحق وقدرة الله وسلاح البر ، سلاح الهجوم وسلاح الدفاع ، بالكرامة والهوان ، بسوء الذكر وحسنه . نُحسَب كاذبين ونحن صادقون ، مجهولين ونحن معروفون ، مائتين وها اننا احياء ، معاقبين ولا نُقتَل ، محزونين ونحن دائما فرحون ، فقراء ونغني كثيرا من الناس ، لا شيء عندنا ونحن نملك كل شيء[٢٧] .

«تذكروا يا اخوتي ان هذا الرسول العظيم قد احتمل كل الشدائد ومختلف انواع العذابات في سبيل المسيح ، وفي الاخير قتله نيرون الملك في روما . فلنمت اذن فرحين مع المسيح ، ولنتقوَّ بالرب وبشدة قوته . فاذا متنا مع المسيح ومع رسله القديسين ، فسنشاركهم المجد ايضا . فقد منحنا الله الا نؤمن بالمسيح حسب ، وان نكون مدبرين وامناء ومعلمين ، بل ان نتألم ايضا من اجل اسمه ونخوض غمار الشهادة . فلنحسبّن هذا العالم وكل ما فيه كنفاية لكي نربح المسيح . فافرحوا بالرب يا اخوتي وافرحوا كثيرا جدا ، وليعلم الجميعُ خبرَ استشهادنا لاجله . فان الرب قريب وهو سيكلل اجسادنا الذبيحة في يوم الانبعاث . ولنفرح بالآلام عوض شعب الله ، ولنكمل ما نقص من آلام المسيح في اجسادنا في سبيل جسده الذي هو الكنيسة[٢٨] . لننظر الى فوق ، يا احبائي ، ولنطلب ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، ومن هناك مزمع ان يتجلى لنا . فان موتنا وحياتنا خفيان فيه ، ومتى ظهر المسيح حياتُنا ، حينئذ تظهر حياتنا ايضا معه في المجد .

«اننا اليوم نقتدي بالانبياء والرسل الذين تعرضوا لمختلف الآلام والاضطهادات والشدائد واخيرا اقدموا على الموت في سبيل الايمان بالله . فلا نحزن ولا نتضايق في يوم خروجنا من هذا العالم لا من جراء اضطهادنا ولا على هدم كنائسنا . فان جميع الذين يريدون العيش في يسوع المسيح يُضطهَدون . واذا هُدمت كنائسنا فان لنا في السماء بنيانا لم تصنعه الايدي . . .

---

(٢٧) ـ ٢ قور ٦ / ١ ـ ١٠ .

(٢٨) ـ قولسي ١ / ٢٤ .

«غير اني لا اريد ان اطيل الكلام، لان السيف مستل على رقابنا. هوذا ايها الاخوة الزمان المقبول، هوذا زمان الخلاص. فلا يخفْ احد من السيف المتلألىء، فان كلمة الله امضى من سيف ذي حدين. ولا يتخلف احد عن صفوفنا، بل لنتقدم كلنا سوية لنفرح ايضا معا. لنستعد لنيل ما قد أعدّه الله لنا. فلنا المحبة وله المكافأة، لنا العبادة وله الموهبة، لنا العناء وله الاجر، لنا الالم وله النعيم، لنا الدم وله الملكوت، لنا الموت وله الحياة حينما يريحنا ويفرحنا ويجلسنا ويمتّعنا قائلا لنا: «نعما ايها العبيد الصالحون، لقد تاجرتم حسنا بالوزنات التي اعطيت لكم، فخذوا عشر وزنات في النعيم.»

وبينما كان الطوباوي شمعون يتكلم بهذا، دنا العظماء لكي يأخذوهم الى القتل. واذا بواحد من وسط المعترفين يرفع صوته بين اخوته ويقول لمار شمعون: «لقد ابهجتنا كثيرا بتعليمك يا ابانا الجاثليق، فلنتقدم الآن الى التحقيق الفعلي.» فدنا منه القديس شمعون وقبّله وقال: «تبارك فمك المقدس يا بنيّ، فالكلام المشجّع الذي خرج منه يشهد لصدق نفسك وثباتها.» ثم التفت الطوباوي شمعون مع جميع رفاقه نحو المشرق وجثوا على وجوههم ساجدين، وصلى شمعون قائلا: «يا رب يا رب، ايها الاله الاوحد، اننا نعترف بوحدانية طبيعتك وباقانيم ثالوثك، ونحمدك على انك خلقتنا بنعمتك ولم تتركنا في قبضة الشيطان، بل اعدتنا من الضلال بابنك الوحيد، وخلصتنا به من الموت وانقذتنا من الجحيم، وهيأت بقيامته انبعاثا للبشر قاطبة، ووعدت بملكوت السماء لجميع القديسين، واخترتنا من شعبك المؤمن لنكون مرشدين وكهنة ومدبرين ورؤساء في الكنيسة، وأهلتنا لكي نتألم في سبيل اسمك وان نموت لاجل انفسنا ولأجل كنيستك المفتداة بدم حبيبك ربنا يسوع المسيح. فتقبل يا رب ذبيحة اجسادنا، فتكون لك تقادم طاهرة ومقبولة، وأهلنا لميراث القديسين في النور. قوِّ ضعفاء شعبك، وثبّت الامناء ابان ضيقاتهم. واصنع معهم آية حسنة ليرى مبغضوهم فيخزوا لانك انت الرب مساعدنا ومعزينا، ولك يجب ان يؤدي الملائكة والبشر المجد والاكرام والتعظيم على كل تدبيرك الحكيم، الآن وكل اوان والى ابد الدهور.» فاجاب الحاضرون كلهم: «آمين.» ثم اضافوا وقالوا: «بارك يا سيد، بارك يا سيد.» فرفع شمعون يمينه وباركهم قائلا: «لتكن القوة

القاهرة في عوننا الى الابد: آمين».

بعد هذا دنا عشرة من العظماء وأخذوا يقدّمون عشرة عشرة من الشهداء للسيف. وكان القديسون يتقدمون فرحين مسبّحين الله. وكان المغادرون منهم يقبّلون الباقين. اما الطوباوي شمعون فكان لا يني يشجعهم ويقول: «دوسوا يا ابنائي شوكة الموت الذي حطّمه يسوعُ بموته.» وبعد ان استشهد مائة منهم، رفع شمعون صوته وقال، وقد رأى جثثهم ملقاة اكداسا اكداسا: «اين شوكتك يا موت، واين غلبتك يا جحيم؟ الشكر لله الذي اولانا النصر بيسوع المسيح ربنا.» واضاف قائلا: «ما احسن وما اجمل الاخوة الذين تكللوا معا! وما ابهى اكليل الشهادة الذي كمل في المائة!»

وبقي شمعون مع اثنين من الكهنة المسنّين، اسم احدهما حننيا والاخر عبد هيكلا. وحينما شرعوا يعرّون حننيا من ثيابه صار جسمه يرتجف، ولكنه ظل رابط الجأش. وكان ثمة رجل من العظماء اسمه فوسي، وهو رئيس المهنيين، وكان الملك قد رفع منزلته في تلك الايام. فهذا اذ رأى الكاهن الشيخ يرتعد، قال له: «يا حننيا، لا تخف، اغمضْ عينيك برهة فتشاهد نور المسيح». وهكذا استشهد ذاك الطوباوي. اما فوسي، فقد أُلقيَ القبض عليه بامر من رئيس الحكام الذي كان يمثّل امين الملك. فشدوا وثاقه، ريثما يُرفع امره الى الملك. وبعد حننيا جاء دور عبد هيكلا الذي نال اكليل الشهادة ايضا.

حينئذ تقدم شمعون الجبار وصلى قائلا: «ايها الرب يسوع، يا من صلى لأجل صالبيه وعلّمنا ان نصلي من اجل اعدائنا، وتقبّل روح اسطيفانس خادمه الذي صلى لاجل راجميه، تقبّل ارواح اخوتنا هؤلاء، وتقبّل معهم روحي ايضا مع جميع شهدائك الذين تكللوا في المغرب ومع الرسل القديسين والانبياء والطوباويين. ولا تحسب هذه الخطيئة على مضطهدي شعبك وقاتلي اجسادنا، بل هبْ لهم يا رب ان يرجعوا الى معرفتك. بارك يا رب المدن وجميع قرى ارض المشرق التي سلمتها اليّ، واحفظ مؤمنيها كحدقة العين. واسترهم بحمايتك الى ان يزول الاضطراب. وكن معهم الى منتهى العالم حسب وعدك. بارك يا رب هذه المدينة ايضا التي فيها استشهدنا، وليكن صليبك حافظا لها في الايمان الحق، الآن وكل اوان والى دهر

الـدهـور. آمين» وما ان انهى الطوباوي شمعون هذه الكلمات حتى حزّ السيف رأسه ونال اكليل الشهادة والظفر. وكانت الساعة التاسعة من يوم جمعة آلام الرب.

ولدى هذه الاحداث، ثارت عاصفة واظلمت الشمس بغتة واستحوذ الهلع على جميع الحـاضـرين. امـا جثث الجـاثليق مار شمعـون برصبـاعي ورفـاقـه الاساقفة والقـديسين فقـد اختطفهـا في تلك الليلة انـاس من الاسرى الروم القاطنين في كرخ ليـدان ودفنـوهـا باكـرام. وكـذلـك المؤمنـون الذين جلبهم الملك من شتى الامكنة لمشـاهـدة الحـدث التمسـوا بركة من اجساد القديسين. فاستجاب رغبتهم الاساقفة الذين كانوا في ذلك الزمان في المدينة والذين وحدهم من جميع سكان المشرق لم يتعرضوا للمضايقات والقتل. لان المدينة كانت قد شُيدت حديثا، وكان الملك يريد ان يخيّم السـلام فيهـا. وكـانت الشعـوب السـاكنـة فيها قد سباها حديثا من مختلف الاماكن واسكنها فيها، وكان يشفق عليهم لكونهم مسبيين.

(لقد وضعنـا قصـة مار شمعـون برصبـاعي جاثليق المشـرق ورفـاقـه الـذين استشهدوا معه، بعون نعمة الله، معتمدين الروايات التي نقلها الينا اناس مجدّون ممن سبقوا عهدنا، وكتبناها بايجاز).

* وجاء في كتاب الفرض الكلداني (الحوذرة ٣ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣):

الجمعة السادسة من الصيف ـ تذكار مار شمعون برصباعي الجاثليق البطريرك، تلميـذ مار فافـا الجـاثليق، والاباء الذين تكللوا معه. لقد استشهدوا في جمعة الآلام سنة ٦٥٥ يونـانيـة (والاصح سنة ٦٥٢) في كرخ ليدان في مقاطعة الاهواز، في عهد شابور الملك. وأرجىء تذكارهم الى جمعة المعترفين، وهي ذكرى الشهداء عامة. امـا التـذكـار الـذي يقـام في هذه الجمعة، فيشير الى يوم تكريس مذبح مار شمعون برصباعي في كرخ ليدان. ودُفن مار شمعون في شوشان في منطقة عيلام وهي تدعى شوش. ولمار شمعون برصباعي رسائل. ويقال انه هو الذي قال هذه التراتيل:

- ياعارف افكار البشر... ܝܕܥ ܡܚܫܒܬܐ ...
- وان نزعتم... ܐܦܢ ܬܬܚܫܒܘܢ ...
- بعين الفكر والحب... ܒܥܝܢܐ ܕܬܚܫܒܬܐ ...

ويقول ابن العبري انه هو الذي رتب بان تُتلى الصلوات على جوقتين في كنائس الشرق، كما كان قد نظمها في الغرب اغناطيوس النوراني تلميذ مار يوحنا الانجيلي (طالع التاريخ الكنسي ٢، ٣٢).

١١ استشهاد مار فوسي

كان فوسي يتحدر من الاسر المسبية التي اتى بها الملك شابور[1] من منطقة الروم واسكنها في مدينة «بيشابور» في منطقة فارس. وكان والد فوسي من جملة اولئك المسبيين، وكان مؤمنا بالمسيح ويعيش في الرخاء والامان في بيته. فسكن بامر الملك في مدينة بيشابور واستقر فيها وتزوج من امرأة فارسية من سكان تلك المدينة. فتلمذها ثم عمد اولاده ورباهم تربية مسيحية اصيلة.

ولما شيد شابور الملك مدينة «كرخ ليدان» واتى بمسبيين من مختلف الاماكن واسكنهم فيها، شاء ان ينقل اليها نحو ثلاثين عائلة من جميع المدن والبلدان الخاضعة له، لكي يمتزج المسبيون بهم ويرتبطوا بهم بروابط التزاوج والتآلف، لئلا يتيسر لهم الهرب شيئا فشيئا والعودة الى البلدان التي جُلبوا منها. هذا ما تمخض عنه دهاء شابور. اما الله برحمته فقد جعل الامر ينقلب الى الخير. فبامتزاج المسبيين مع الشعوب الوثنية، اعادها الى معرفة الحق والصراط المستقيم. فاقتضى امر شابور ان تُجلب اسر من مدينة بيشابور ايضا الى كرخ ليدان، اسوة بسائر المدن الاخرى. وكان من جملة الذين نُقلوا اليها من بيشابور الطوباوي فوسي وامرأته واولاده وسائر اقربائه. وكان فوسي صانعا ماهرا يتقن نسج الاقمشة وتطريزها بالذهب. وكان من بين الصناع المهرة الذين جمعهم شابور من المواطنين المسبيين واقام لهم مجمعا سكنيا ومصنعا بجانب بلاطه في كرخ ليدان. وأطرئت مهارة فوسي امام الملك،

(١) ـ هو شابور الأول (٢٤١ ـ ٢٧٢) الذي غزا منطقة الروم واتى منها باسرى كثيرين واسكنهم في البلاد الفارسية.

فاسبغ عليه هبات سخية وعظّم شأنه، ثم اقامه بعد وقت قصير رئيسا لصناعه، وكانت منزلته تعلو يوما فيوما ويرتفع شأنه.

وحدث انه في الوقت الذي فيه أُثير الاضطهاد على الكنائس وأُسرَ شمعون ورفاقه وجُلبوا امام الملك، كان شابور منذ بضعة ايام قد رفع منزلة فوسي اذ اقامه رئيسا للصناع في المملكة كلها. وبعد ايام، امره الملك بالذهاب الى صناع مدينة شادبور التي تدعى بالارامية «راما». ولدى مغادرته المدينة، رأى جماعة المعترفين المائة والثلاثة وهم يساقون الى القتل. فرافقهم فوسي ليرى خاتمة مطافهم وشهادتهم. وحينما وصلوا الى موضع تنفيذ الحكم فيهم، وسقط مائة منهم بحد السيف، جاء دور حننيا الكاهن الطاعن في السن. فاخذ جسمه يرتعد ليس من الخوف بل من جراء ضعف الشيخوخة. وكان حننيا كاهنا جليلا من كنيسة مدينة ساليق في بيت ارامايي. ولما رآه فوسي يرتعد، ظن ان ذلك آتٍ من الخوف. فصرخ بصوت عالٍ من بين الجمع وقال له: «تشجّع حننيا ولا تخف: اغمض عينيك برهة فتشاهد نور المسيح.»

ولما سمع الجمع هذا الصوت، دهشوا من شجاعة فوسي في تلك اللحظة الرهيبة، وكأني به في ذلك الحين قائد حكيم ما ان يرى احد جنوده متخاذلا في الحرب حتى يشجعه ويشدد عزيمته ويكلّمه عن ضعف الاعداء وعن بسالة الكتيبة التي ينتمي اليها، وعن قوة المملكة التي يخدمها، وعن الهدايا التي سيوزعها الملك على المقاتلين والشرف الذي ينتظر البواسل منهم. هذا ما فعله فوسي الحكيم حينما شجع حننيا الشيخ وحثه على اداء الشهادة برباطة جأش.

فاعترى الذهول رئيس الحكام والامناء الذين معه لدى مشاهدتهم ذلك الرجل الذي كانوا يظنونه من خيرة المجوس، وقد تلقى المزيد من الاكرام والهبات من الملك، واذا به الان زعيم لمعسكر المعترفين ومشجّع للمسيحيين. فاصدر على الفور امرا بالقاء القبض عليه وتقديمه للمحاكمة. ولما جيء به، سأله رئيس الحكام: «أأنت مسيحي؟» فاجابه فوسي الشجاع: «لا حاجة الى هذا السؤال، فان كلامي يشهد لكوني مسيحيا.» فقال له رئيس الحكام: «اانت بنفسك انضممت الى

هذا المذهب، ام انك تلقيته من آبائك؟» فاجابه فوسي: «معاذ الله ان انكر ايمان آبائي. اني لقد ولدت في المسيحية.» فامر رئيس الحكام بزجه في السجن ريثما يُرفع امره الى الملك.

وفي صبيحة السبت التالي لجمعة الآلام التي فيها استشهد مار شمعون ورفاقه، دخل رئيس الحكام على الملك واخبره بما تكلم به فوسي. فانذهل الملك لدى سماعه ذلك وقال: «بحظ الآلهة، اني لم اكن ادري ان هذا الرجل مسيحي والا لما ائتمنته يوما واحدا على شؤوني ولا رقيته الى هذا الاكرام. كنت احسبه فارسيا من بني مذهبنا. انها لجسارة فائقة. فهو لم يكتفِ بانتمائه الى هذا المذهب، بل اصبح مشجّعاً ومحرّضاً للآخرين. قسَماً بالآلهة انه اذا لم يرعوِ عن هذا الضلال ويندم على ما قاله، فاني لن اتيح له ان يرى نور الشمس يوما آخر.»

وامر الملك بان يمثل فوسي امامه. ولما دخل، سجد امام الملك.

م ـ كيف تجرأت ايها الشقي فاحتقرت شأني واهنت جلالتي ولم تقم وزنا لأمري الذي يرهب الامم والممالك ونطقت بما اخبرني به رئيس الحكام؟

ف ـ حاشا لعبد الله الحي ان يحتقرك ايها الملك العزيز.

م ـ كيف اصدّق ما تقوله وقد تجاسرت واقسمت امامي بالاله وليس بالآلهة؟

ف ـ اقسمت بالله لاني مسيحي، ولا اقسم بالآلهة لاني لست وثنيا.

م ـ وكيف تعتبرني ملك الملوك العزيز القوي وقد تجاسرت وقلت امامي إنك مسيحي؟

ف ـ ايها الملك الفاضل، اني قد ولدت مسيحيا وتربيت في المسيحية. فأنى لي ان انكرها مع علمي انها حياتي؟

م ـ لا تقل امامي بعد انك مسيحي.

ف ـ مهما سألتني في هذا الشأن، فساقول لك اني مسيحي.

م ـ ايها الشقي، الست واقفا امام ملك الارض كلها؟ فكيف تخاطبني مخاطبة الند للند؟

ف ـ لا يقولن سيدي الملك هذا عن احقر عبيده. فاني لست اخاطبك كالند، بل

كعبد الله وعبد ملك الملوك .

م ـ وكيف تقول امامي انك مسيحي ؟ الا تخجل من ان تعترف امامي بالمذهب الذي امقته؟

ف ـ أرعِني سمعك ايها الملك الفاضل : اني اعترف امام جلالتك بالديانة المسيحية ولا اخجل . فان احد عبيد الله يقول : «انطق بشهاداتك امام الملوك ولا اخزى»[٢] . وقال المسيح الذي اعترف به : «من يستحي بي وبكلامي ، يستحي به ابن الانسان ايضا»[٣] . اما قول الملك انه يبغض الديانة المسيحية ، فان كنت تبغضها ايها الملك ، فهناك من يحبها ، وهو الله الذي تدوم عبادته الى الابد .

م ـ ايها التعس ، اني اقول لك الا تصرح امامي بكونك مسيحيا ، وانت الآن تستشهد امامي بكتب النصارى .

ف ـ وحياة المسيح الذي انا اعبده ، ان تأملي وتفكيري الدائم هو في ما سمعته من كتب النصارى .

فاحتدم الملك غيظا لدى سماعه هذا الكلام وقال للملوك والعظماء الجالسين عنده : «ماذا يستحق هذا الرجل الذي ينطق بهذا الكلام امامي ؟» فاجابوه : «انه يستحق اشنع الميتات . » ثم قال لهم : «فماذا نقول اذن عن السحرة الذين يُدعَون اساقفة وكهنة والذين يعترفون بالديانة المسيحية ويعلمونها للاخرين ، اذا كان هذا الذي نال مني ارفع المناصب يعترف الآن امامي علنا بكونه مسيحيا ، وهذا الذي تجرأ فحرّض احد المحكومين عليهم بالموت على الثبات ونبذ الخوف امام السيف؟ فترى كم موتا يستوجب هذا الرجل؟» فاجابوه : «انه يستحق الف موت وموت . »

فقال الطوباوي فوسي : «وما الذي قلته ، ياسيدي الملك ، مما يستحق الموت؟» فقال له الملك : «ما تحدثتَ به مع ذلك المسيحي المحكوم عليه بالموت الذي خاف وهمّ بالرضوخ لارادتي ، كما قال لي رئيس المجوس . » فقال الطوباوي فوسي :

---

(٢) ـ مزمور ١١٨/٤٦ .

(٣) ـ لوقا ٩/٢٦

«لتأمر سيادتك، ايها الملك الصالح، بان يردد المجوسي امامي ما قاله فاسمعه.»
فأوعز الملك الى رئيس المجوس في اعادة ما قاله قبل قليل بشأن فوسي. فقام وقال:
«ايها الملك الصالح، عشت الى الابد ودام ملكك الى الدهر: حينما كنا البارحة، انا والامناء وعدد غفير من المجوس، واقفين في الموضع الذي فيه نُفِّذ حكم الاعدام باولئك السحرة الذين يدعون مسيحيين، لكي نرى لعلهم يتخاذلون ويطيعون امر الملك، كان بينهم رجل شيخ شرع يرتعد حينما عرّوه واوثقوه، ولعله كان يعمل بارادة الملك لو لم يلقَ تشجيعا من هذا الذي قام بغتة في وسط الازدحام وقال له: تشجّع ولا تخف: اغمض عينيك برهة فتشاهد نور المسيح. اما انا فحينما سمعت ذلك، تمنيت لو فغرت الارض فاهَها وابتلعتني ولا اسمع هذا الكلام المشين لبلاد الجبابرة هذه ولشيعة المجوس. فما من احد كان يظنه مسيحيا، بل كان الجميع يتخذونه مجوسيا.»

فسأل الملك فوسي عن صحة هذه الاقوال، فاجاب:

ف ـ هكذا كان الامر ايها الملك. انما كذب المجوسي حينما ادّعى ان الشيخ كان يريد ان ينجز امر الملك. فمعاذ الله ان يحدث ذلك لدى المسيحيين الحقيقيين. فكان جسده ضعيفا وليس فكره.

م ـ ايها الشقي المستحق الموت، لماذا تكلمني عن ارادة الرجل؟ انت الذي قلت له تلك الكلمات.»

ف ـ اجل لقد قلت لذلك البار هذه الكلمات، لانه شريك معي في الايمان، وسافعل ذلك ما دمت حيا تجاه كل من يُقتل في سبيل المسيحية.

م ـ ان ابقيتُك في الحياة، فقل اكثر من ذلك.

ف ـ اني ساكون لك شاكرا، ايها الملك، اذا اسديت لي هذه النعمة وأهلتني لهذه الموهبة. وسترنُّ اقوالي بعد موتي رنينا اشد واوسع في مسامع جميع المؤمنين.

م ـ أجب ايها الشقي على ما سألتك عنه: الم ارفع شأنك اذ ارسلتك في شؤون تعود الى مملكتنا؟

ف ـ بلى، ايها الملك، ان جلالتك رفعت شأني الى درجة لم اكن استحقها انا

احقر عبيـدك . وخرجت لاذهب في ما كلّفتني به سيادتك . فرأيت في طريقي منظرا عجيبا استوقفني ، ومنعني الله من التقدم الى ابعد .

م ـ وما المنظر العجيب الذي رأيته؟

ف ـ واي منظر اعجب من هذا وهو ان زمرة من اناس ابرار لم يأتوا بأية جريمة وهم يُقتلون في سبيـل رجـائهم بالله؟ انهم ازدروا العـالم وافراحه ، ولم يخافوا منك ايها الملك العزيز الذي ترتجف امامك جميع الشعوب ، ولم يفزعوا من امرك الـذي يلقي الهلع في قلوب الممـالـك الجبـارة ، واحتقـروا السيف المستلّ والموت الرهب ، واحبوا الواحد الاحد الذي هو الاله الحقيقي الاوحد .

م ـ ايها الغبي ، اهذا منظر عجيب يستوقف المرء ليرى اناسا كسالى يموتون؟

ف ـ يا سيـد الملوك ، لا تفتـرِ على عبيـد الله . فلو كانوا كسالى ، لما ماتوا في سبيل الههم . ولانهم مـاتــوا في سبيـل ايمـانهم بالله فمن الظـاهـر انهم احتملوا في حياتهم ايضا كل عناء وضيق في سبيل محبتهم لألههم .

فغضب الملك لدى سماعه هذه الاقوال ، وقال للملوك والاعيان الجالسين في حضرته :

م ـ انه الآن لم يكتفِ بالتكلم عن نفسه ، بل يتكلم عن رفاقه السحرة ايضا . فاني لأقضينَّ على جسارته بأشنع موت .

ف ـ انـا مستعـد لكـل انواع الموت في سبيل الله ، يا خيرة الملوك ، لذا فاني اعلن عقيدة المظفرين بكل جرأة .

م ـ لماذا ازدريت باكرامي ايها اللئيم؟

ف ـ اني لم ازدر باكرامك ، ولكني اشتاق غاية الشوق الى الاكرام الذي اناله من الهي .

م ـ الا تعلم ان كل مسيحي انما يستخف بجلالتي ؟

ف ـ معاذ الله ان يستخف المسيحيون بجلالة الملك اذا هو تركهم يكرمون الله كاله والمـلك كمـلك . امـا اذا منعهم الملك من اكـرام الله ، فعليهم اذ ذاك ان

يستخفوا بالاكرام الزمني الذي يأتيهم من الملك ويختاروا اكرام الله .

م ـ كل مسيحي انما هو عدو لي .

ف ـ لا يقولَنَّ الملك الصالح هذا الكلام ، فان كل مسيحي انما يحب الملك .

م ـ الا يكون كل مسيحي عدوا لي حينما لا يكمل ارادتي ولا يسجد للشمس والنار؟

ف ـ ان المسيحيين يكملون ارادتك في كل شيء ان كانت مطابقة لارادة الله . اما اذا كانت ارادتك مخالفة لارادة الله ، فلا يحق لهم ان ينجزوا ارادتك قط .

م ـ ايها المنافق ، كيف تكون ارادتي مضادة لله وانا آمر بالسجود للشمس والنار والماء وهي ابناء هرمزد؟

ف ـ ايها الملك الصالح ، اتسمح لي بان اقول الحقيقة؟

م ـ لا مناص لك من الموت في كل الاحوال ، فقل مهما شئت .

ف ـ وانا ايضا اشتاق الى الموت ، واصلي لكي اموت في سبيل الحق ولا احيا في سبيل الباطل . فان ارادتك لا تطابق ارادة الله حينما تأمر بان يؤدى للخلائق السجود الواجب للخالق وحده . ومن الواضح ان الله خالق السماء والارض وكل ما فيهما يامر الناس بالاّ يسجدوا لكل تمثال او صورة مما في السماء وعلى الارض وتحت الارض . وقد قال لهم ايضا الا يرفعوا انظارهم الى السماء فيروا الشمس والقمر والكواكب ويؤدوا لها السجود والعبادة . فكيف يتسنى لهم ان يتجاسروا ويخالفوا امر الله؟ اما ما قلته من ان الشمس والقمر والنار والماء هي ابناء هرمزد . فان كنا لا نسجد لأخي الشيطان فكيف نعترف بابنائه؟

اضطرب الملك لدى سماعه هذه الكلمات القاسية ، وقال للملوك والاعيان الجالسين في حضرته :

م ـ لم يكتفِ هذا الاثيم بعدم السجود للآلهة ، بل احتقرها ايضا .

ف ـ اني لم احتقر احدا ، ايها الملك الصالح . واذا كان ما قلته سخرية ، فانما تعليم المجوس هو الذي يسخر بالآلهة ولست انا .

م ـ لقد اصابك مس من الجنون ، وانا على يقين من ان هؤلاء السحرة هم الذين سلبوك عقلك ، فانقلبتَ بغتة ضد اوامري وصرت عدوا لمملكتي واحتقرت

آلهتي . لقد احتملتك طويلا . والان انصحك بالكف عن هذا التفكير السخيف والتخلي عن هذا المذهب الاثيم . واخشَ بطش شابور ملك الملوك الذي هو من طبيعة الآلهة . وتذكر ما غمرتك به من الاجلال وارعوِ عمّا نطقت به ، واعترف بذنبك امام رئيس المجوس واقبل التأديب الذي تستحقه ، فأعظّم شأنك ثانية واغمرك بالهبات . اما اذا لم تطع ، فاني قد عزمت على ان اميتك شر ميتة ، لتصبح عبرة لجميع الذين يتبعون ضلالك .

ف - ايها الملك الصالح ، عشت الى الابد ودام ملكك مدى الدهر . ارعِني سمعك : انني لم أُصَب بجنون قط ، ولم يغوِني السحرة . بل انا مسيحي منذ نشأتي ، والمسيحيون يطردون الشياطين ويناوئون السحرة ويأمرون بقتلهم . واني لم اعتنق مذهبا اثيما قط ، بل انا على مذهب صالح يليق بعبد الله . واني اذ اتذكر ما نلته منك من الاكرام ، لا انسى اكرام الٰهي الذي يفوق كل اكرام ، بل اتوق واتلهف اليه . واني اقسم بالٰهي خالق السماء والارض وكل فيهما ، وهو ملك الملوك ، باني لن اخضع لامرك هذا ولن آكفر بالٰهي ، ولن اقدّم للشمس والقمر والنار والماء ، ولا لاية من الخلائق السجود الواجب لله وحده . ونفسي وجسدي مستعدان لخوض غمار الموت . فافعل ما بدا لك ، فلك السلطة على حياتي الجسدية ، وبامكانك ان تنتزعها مني حسب رغبتك .

م - انظر ما تجلبه على ذاتك ، وفكّر في اني امهلتك اكثر من شمعون الذي كان صديقي . فكّر في ما حدث لشمعون الذي عصا امري فسقط مع كثيرين بحد السيف . وبعد ان رأيتَ ما حدث له ، ابديتَ جسارة تفوق جسارته ، وما زلتَ مصرًّا على عنادك . فانا انصحك ولكنك لا تسمع لي . وها اني اقسم بالآلهة باني لن امهلك اكثر من هذه المرة . فامّا ان تطيع ارادتي في نهاية هذا السؤال ، والا فساقضي عليك بموت رهيب .

ف - انك صبرت عليّ صبرا يليق بجلالتك . اما الآن فألتمسُ من سيادتك الا تجهد نفسك فتتصرف بالكلمات معي انا احقر عبيدك ، بل نفّذْ فيّ بالفعل ذلك الموت الذي اعددتَه لي . لان كلامنا نحن المسيحيين واحد ، وقد تعلمناه من ربنا ، وهو : نعم نعم ، ولا لا . فاذا أهلتني انت يا ملك الملوك

لاموت في سبيل الهي ، فان لساني سيكون عاجزا عن اداء الشكر لرحمتك ، اذ ليس بين جميع العطايا التي تلقيتها من سيادتك ما يوازي هذه العطية . وستعلم الآن انه ليس ما هو قادر على ان يفصلني عن محبة الاله الحقيقي ، لا انت يا ملك الملوك ، ولا ملوك الارض قاطبة ، ولا جميع ملائكة الله ، ولا العلى ولا العمق وما فيهما . . .

حينئذ اصدر الملك امره وقال : «اذهبوا به خارج المدينة ، واضربوا عنقه في الموضع الذي فيه شجّع المسيحيين ، واستأصلوا لسانه ، وليتعذب بموت اليم ، لانه تكلم بجسارة دون ان يهابنا نحن الآلهة . »

وما ان سمع فوسي الشجاع هذه الاقوال ، حتى سجد امام الملك وقال : «عشت ايها الملك ، اذ انعمت عليّ بان يُقطع في سبيل الله لساني الذي نطق من اجل الله . » وعلى الفور اقتاده المنفّذون بسرعة واخرجوه من عند الملك الى ظاهر المدينة في الوقت الذي خرجت فيه في الامس فرقة شمعون العظيم ، واخذوه الى الموضع نفسه حيث استشهد القديسون . اما الملك ، فاوعز الى رئيس الحكام قائلا : «سِرْ عاجلا في اثر ذلك الشقي ، وحاول ان تنصحه لكي يكمل ارادتنا فيحيا ولا يموت ، لانه رجل نافع لمملكتنا . اما انا فقد اقسمت الا اعود فأحدّثه في هذا الشأن . فاذهب انت وابذل قُصارى جهدك لكي يسجد ولو مرة واحدة للشمس فيحيا . »

فخرج رئيس الحكام مسرعا وراءه واستوقفه واجلسه امامه وشرع يقول له : «لا تسبّب الخزي لبلاد الجبابرة . ولا تكدّر ملك الملوك وتحزن احباءك . اسمع نصيحتي واسجد مرة واحدة للشمس وأرضِ الملك فتَحيَ ولن تموت . » فاجابه فوسي : «لِمَ تتعب نفسك وتجهد فكرك؟ فقد تنازل ملك الملوك من الساعة الثالثة حتى السادسة وخاطبني بلطف ولم انزل عند رغبته . افتظن اني اقبل نصيحتك؟ معاذ الله . فلا تجهد نفسك ، بل نفّذ فيّ امر الملك دون تأخير . » فقال له رئيس الحكام : «اني لم اكن لاقول لك هذا ، لولم اعرف فكرة الملك وارتياحه بطاعتك لي . فان الملك لن يغضب لكونك سمعتني ولم تسمعه ، بل يفرح بذلك ويبتهج ، لاني لست افعل هذا دون رضاه . »

فاجابه فوسي: «لقد سمعتني انت وجميع الملوك والاعيان الماثلين امام الملك اني لن انفصل عن محبة الله في ربنا يسوع المسيح حتى اذا ناشدني في ذلك جميع ملائكة الله.» فقال له رئيس الحكام: «انك يا فوسي لست اعمى ولا كليل البصر لكي لا ترى ان الشمس التي تنير الخليقة كلها هي اله.»

اذ ذاك قال فوسي الصنديد: «ان كنا نخوض غمار الجدال، فلن تكفينا ايام عديدة لذلك. ولئلا افحمك ويتأخر تنفيذ حكم الملك فيّ، اسمع باختصار ما اقوله لك: ان كل ما يرى ليس الٰهـا بل خليقة خاضعة للتغيير. وايماننا الصحيح والقويم يتجلى في كوننا نسجد لذاك الذي لا يُدرَك ولا يُحَدّ، وننتظر تلقّي الخيرات اللامنظورة... اما انتم، فلكونكم من هذا العالم، فانما تنتظرون الامور المنظورة ليس الا. اما نحن فنترجى الامور الخفية. وقولك ان الشمس تغمر الخليقة بنورها، فان هذا النور ليس مُلكاً للشمس التي لا وعيَ لها بما تمتلكه. فهذه المزايا تعود الى الخالق الذي ابدع الشمس واولاها هذا البهاء. لذا فاننا نحن المسيحيين لا نتعجب من الشمس بل من خالقها، ومن خلال اشعتها نرفعُ الحمد لمبدعها...» حينما سمع رئيس الحكام هذه الكلمات، قال: «ويحك، يا فوسي، وا أسفاه لجمالك الذي يفسد ولحكمتك واقوالك العذبة. فامضِ اذن ومتْ موتا شنيعا حسب امر الملك».

حينئذ نهض فوسي البطل ومضى مسرعا الى الموضع المعد له، ونزع ثيابه واعطاها لاحد ذويه. فتزاحم عليه الوف المؤمنين المجتمعين هناك واختطفوا ثيابه ومزّقوها وتقاسموها فيما بينهم للبركة. فانذهل رئيس الحكام والمجوس الذين معه كيف ان المسيحيين ينتزعون هذه الثياب ويعتبرونها اثمن المواهب. وبينما ساد الاضطراب، جثا الطوباوي وشرع يصلي ويقول: «احمدك يا اله الحق الذي تلقيتُ معرفتك من آبائي وتربيت بمقتضاها واعتمدت بالعماد المقدس باسم ثالوثك المجيد، الآب والابن والروح القدس، عربون التبنّي. فاصبحنا به ورثة وشركاء جسد المسيح الذي تألم لاجلنا ومات وبعث وقام، وبه تجلت لنا قيامة الاموات، وبصعوده انفتح لنا ملكوت السموات. والآن أهّلتنا برحمتك لنكون وسطاء الحق امام اعدائك، فنشهد امام الملوك والعظماء لكونك انت اله الحق وحدك مع مخلصنا

يسوع المسيح الذي به خلصتنا وأعدتنا وقرّبتنا وقدستنا وجدّدتنا. امنحني يا رب ان افرح بالنور الذي ناديت به على مسامع حننيا امام اعداء الحق، في ذلك الميراث الذي هيأتَه لقديسيك في نورك الابدي، فأفرح وابتهج واشيد باسمك العلي. وليكن الوعد الذي قطعته لبطرس حارسا لكنيستك لئلا تضطرب من اهوال الجحيم، ولكي تعترف بك اعتراف بطرس وتقول: انت المسيح ابن الله الحي. ولك وله وللروح القدس المجد والاجلال والتعظيم، الآن وكل اوان والى ابد الدهور. آمين.»

ولما انتهى قال للسياف: «اقترب الآن وأنجز ما أُمرتَ به.» فدنا السياف وطرحه على الارض على وجهه وجلس على كتفيه، واخذ سكينا وشرع يشق رقبته حتى قمة رأسه. ودام هذا العذاب نحو ساعة كاملة. واخذ عجيج بكاء الحاضرين يرتفع الى عنان السماء والقديس صابر امام هذا العذاب الهائل. ثم قطع السياف لسانه واقتلعه من قفا رقبته. وللحال فاضت روحه. وكان ذلك في الساعة عينها التي تكلم فيها بالامس مع حننيا. وجرى استشهاده يوم السبت عشية احد القيامة المجيدة.

واذ لاحظ الاعداء انه لم يبقَ شيء من جثث المائة والثلاثة الذين قُتلوا في اليوم السابق، بل أُخذت جميعها ووويت الثرى، وحتى الاماكن التي فيها سفكت دماؤهم باتت لا تعرف لان المسيحيين اخذوا التراب الملطخ بالدم تبركا، امروا باقامة الحراس على جثة الشهيد. وشاء الله القدير، فانهال برد شديد على الحراس، دون ان يصيب المؤمنين الكامنين هناك بأي اذى. فولى الحراس الادبار ودخلوا المدينة وهم يصرخون ويولولون من الالم. اذ ذاك قام واحد من المؤمنين المختبئين هناك، ودنا مع ابنه من جثمان الشهيد، ووضعاه في كيس وحمّلاه على حمار واتيا به بسرعة الى المدينة. ولدى دخولهما الى المدينة خيّم على المدينة ظلام دامس حتى باتا لا يميزان طريقهما الى منزلهما. اما الحمار فسار الى الامام دون ان يتوجه الى منزل صاحبه، بل سار في طريق آخر حتى جاء ووقف على باب امرأة من المسبيين كانت مترهبة تقضي حياتها في النسك والاعمال الصالحة دون ان تغادر منزلها. وكانت كئيبة باكية لكونها لم تستطع الخروج لتوديع شمعون والذين استشهدوا معه ومن بعدهم فوسي، ولا ان تنال منهم اية بركة. الا ان الرب استجاب رغبتها. فبينما

كان الحمار الحامل جثمان فوسي واقفا على باب دارها، فتحت خادمتها الباب عند الفجر، فدخل الحمار الى فناء الدار وظل واقفا. فاوعزت الطوباوية الى خادمتها في اخراجه. وحاولت ان تفعل ذلك دون ان تفلح. وجاءت الطوباوية لمساعدتها، ولكن دون جدوى. فقد ابى الحمار مغادرة الدار. فاستدعت الراهبة اخاها الساكن بجوارها ليأتي ويخرج الحمار. فجاء وتناول قضيبا وضرب به الحمار ضربا شديدا، ولكنه لم يخرج ولم يتحرك من موضعه. فدنا الاخ ولمس الحمل واذا فيه جثة يقطر منها الدم. فقال لاخته: «ايتيني بسراج لنرى، فلعل الله ارسل لنا عطية.» ولما جاؤوا بالسراج وانزلوا الحمل وفتحوا الكيس، فاذا فيه جثة. ولما امعنوا النظر فيها، الفوها جثة فوسي، وكانوا يعرفونه جيدا لانه من مدينتهم. وكان جرح رقبته حيث استُلَّ منه لسانه يشهد عليه شهادة واضحة. وما ان انزلوا الحمل، حتى ركض الحمار وخرج من الدار وتوجه الى منزل صاحبه. اما صاحبه، فلم يبحث عن الجثة، خوفا من الفرس. فقامت تلك الطوباوية مع اخيها وحنطا جسد فوسي باعتناء كبير، ثم دفناه باكرام ليكون بركة لاهل المدينة.

١٢ استشهاد الراهبة مرتا ابنة فوسي

كان للشهيد فوسي ابنة راهبة اسمها مرتا. فوُشي بها، وأُلقي القبض عليها في الساعة الثالثة (التاسعة) من احد القيامة. وجُلبت امام رئيس الحكام. فدخل هذا على الملك واخبره بشأنها. فامره الملك بان يستنطقها لتختار بين امور ثلاثة: اما ان تتخلى عن مذهبها وتجحد المسيحية، او ان تتزوج، او ان تُسلم الى القتل. فخرج رئيس الحكام وسأل مرتا وقال: «ماذا انتِ؟» فاجابته الطوباوية مرتا بتهكم: «انني امرأة، كما ترى.» ولما سمع الحاضرون سؤال رئيس الحكام وجواب مرتا الحكيمة عليه، طأطأوا رؤوسهم خجلا. اما الحاكم، فاصفرّ وجهه من الغضب والخجل، ولكنه سيطر على ذاته وقال لها: «اجيبيني عما سألتك عنه.» فقالت له مرتا: «لقد اجبت عما سُئلتُ. فانك سألتني: ماذا انت، فقلت انني امرأة، كما ترى.»

ح - اني سألتك من اي مذهب انت؟

م - انني مسيحية وثيابي تشهد لذلك.

ح - أطلعيني على الحقيقة: هل انت ابنة فوسي الذي اعتراه الجنون فناهض امر الملك ومات شر ميتة.

م - انني ابنته بحسب الجسد. وانني بالايمان ابنة فوسي الحكيم الذي اكتسب في الامس الحياة اللامتناهية بالموت في سبيل الهه. وليتني اكون ابنة فوسي الطوباوي الذي ينعم الآن بصحبة القديسين في النور والراحة، وانا ما زلت مع الخطأة في عالم الشقاء هذا.

ح - أصغي اليّ فانصحك بما يجديك نفعا: ان ملك الملوك رحيم لا يسرّ بموت الناس، بل يريد ان ينضمّ الجميع الى مذهبه وينالوا منه الاكرام. وقد اكرم اباك ايضا ورفع شأنه. الا ان اباك اذنب اذ نطق امامه بما لا ينبغي قوله. وناشده ملك الملوك ان يعود عن غيّه ولم يرضخ، فمات ميتة شنيعة. فانت الآن لا تصرّي مثل ابيك على رأيك الفاسد، بل انجزي ارادة ملك الملوك سيد الاقطار كلها، واسجدي للشمس، واجحدي مذهبَ المسيحيين، فتنالي الاكرام ويحقق الملك كل ما يرضيك.

م - ليعِشْ شابور الملك، ولتدم نعمته ورحمته فيه وفي اولاده، ولتكن له ولاخوته واصدقائه هذه الحياة التي يحبها. وليحل الموت الشنيع الذي قلت ان ابي مات فيه بجميع الذين يحذون حذوه. اما انا الامة الوضيعة واحقر اماء الله والملك، فماذا ينفعني المجد الزائل؟ لقد قرّ رأيي على ان أُهان مثل ابي في سبيل الله وان اموت مثله في سبيل الايمان.

ح - انا عالم بقساوة قلبك ايها الشعب الشقي. فلا يمكن لرجل متمرد ان ينجب اولادا مطيعين. غير اني اجهد نفسي لأعيد بك الى عبادة الآلهة الصالحين المهتمين بخير المسكونة، لئلا اكون مذنبا امام الآلهة لعدم اسداء النصح اليك.

م - قلتَ كلامك وأنا قلتُ كلامي. ولو لم يكن مجد هذا العالم الفاني قد اعمى بصيرتك، لأدركتَ الحقيقة التي انطق بها، ولسمعت وميّزت النصيحة المجدية

من المضـرة، وتلك المؤديـة الى ملكوت السماء من المفضية الى جهنم النار، وتلك التي تهب الحياة من التي تذيق الموت.

ح - اسمعيني الآن ولا تعـانـدي وتصـرّي على رأيـك في كل شيء. وبمـا انك لا تريـدين ان تتخلي عن مذهبـك، فافعلي ما شئت. ولكن اعملي، فقـط ما اقوله الآن لك ولن تمـوتي. فانت الآن شابـة رائعـة الجمال، فتزوّجي وانجبي اولادا وتخلّي عن اسم الراهبة الدنس.

م - ايأذن الشرع الطبيعي بان تُعطى الفتاة المخطوبة لغير خطيبها؟

ح - كلا.

م - فكيف تأمرني انا المخطوبة لآخر بان اتزوج برجل ليس خطيبي؟

ح - احقا انك مخطوبة؟

م - حقا انني مخطوبة.

ح - ولمن انت مخطوبة؟

م - الا تعرفه سيادتك؟

ح - اين هو؟

م - لقد سافر في شؤون تجارية الى موضع بعيد، ولكنه عائد عما قريب.

ح - وما اسمه؟

م - اسمه يسوع.

ح - الى اي موضع ذهب؟ وفي اية مدينة هو الآن؟

م - انه سافر الى السماء وهو الآن في اورشليم العليا.

ح - (وقـد ادرك معنى قولهـا) الم اقل انهم شعب قاس ومتمـرد؟ ها اني اخضّب جسمك بالدم، فليأت خطيبك ويجدك ترابا وهباء ويتزوجك.

م - انه حقا سيأتي بمجد على السحاب ويواكبه الملائكة وقوات السماء ومعه كل ما ينبغي للعرس. ويبعث اجساد خطيباته من التراب، ويغسلها بالندى السماوي، ويـدهنهـا بدهن الفرح، ويوشحها بثوب البرارة الناصع، ويلبسهن خواتم الحق ويضـع على رؤوسهن اكليلا بهيـا من المجـد الذي لا يحول، ويجلسهن على مركبته المجيدة، ويرتفع بهن في الفضاء، ويدخلهن الى الخدر السماوي وهو

المنزل الذي لم تصنعه الايدي والمشيّد في اورشليم العليا.

فلما سمع رئيس الحكام هذه الاقوال، تركها في موضعها ودخل على الملك واخبره بكل شيء. فامر الملك بان يخرجوا تلك الوقحة خارج المدينة فتقتل في الموضع الذي فيه قُتل والدها في الامس.

فاقتادوا مرتا البتول الطاهرة في ظهر يوم احد القيامة. وبينما كانوا يهيئون لها موضع الاعدام، جثث امام الله متجهة نحو المشرق وصلّت قائلة: «اشكرك يا يسوع المسيح ربي وملكي وعريسي على انك حفظت بتوليتي مصانة حسب وعودك، وحفظت ايماني بالثالوث المجيد الذي عليه نشأت وفيه رباني والدي وبه اعتمدت، وفي الديانة التي في سبيلها استشهد ابي فوسي ايضا. اشكرك يا يسوع، يا حمل الله الحامل خطيئة العالم، فمن اجل اسمك استشهد الاساقفة الرعاة والكهنة والشمامسة والرهبان، وقُتل اشخاص امتازوا بالنعمة امثال كوشتازاد وفوسي والدي. والآن أُذبح انا الشاة الفتية ايضا امامك وقد سمنت في مروج اقوالك وارتويت من ينابيع مواعيدك. فاقدّم لك ذاتي ضحية طاهرة مقدسة ومرضية امام الثالوث المجيد والخفي الذي علمتنا ان نتتلمذ ونعتمد باسمه. افتقد يا رب شعبك المضطهَد، واحفظهم في الايمان الحق وسط اعدائهم، ليصيروا كالذهب الصافي في بوتقة الاضطهادات التي اثيرت على شعبك، ويتقووا بالسجود لسيادتك، ويسجدوا دون خوف، ويعترفوا بالآب والابن والروح القدس، الآن وكل اوان والى ابد الدهور آمين.»

وما ان أنهت صلاتها، حتى اسرعت من تلقاء نفسها وذهبت وانحنت فوق الحفرة التي اعدوها لذبحها. ولما دنا منها السياف ليربطها، قالت له: «لا حاجة الى ربطي، فاني اتقبّل الذبح بفرح في سبيل الهي.» ولما رأت السياف يسنّ السكين، ضحكت وقالت: «الآن لست اقول مثل اسحق: ها هي ذي النار والحطب، فاين الخروف للذبيحة؟ بل اقول: هوذا الخروف والسكين، فاين الحطب والنار؟ لكن لي حطبا ونارا: فالحطب هو صليب يسوع ربي، والنار هي تلك التي اضرمها يسوع في الارض حين قال: «اني اتيت لأضرم نارا في الارض، وما ابغي سوى

اضطرامها . »[١] وكان ألوف المشاهدين الواقفين هناك يتعجبون من جرأة مرتا ويؤيدون المجد لله الذي عباده مثل هذه الشجاعة .

واقترب السياف وذبحها كما تُذبح الشاة ، واستودعت نفسها للمسيح . ومكث الحراس عند جثتها طوال يومين . وفي ليلة الثلاثاء ، وبعد ان ازداد عدد المقتولين عوض المسيح في ذلك الموضع ، جاء اخو تلك الراهبة الذي كان قد سبق ودفن فوسي ، ورشا الحراس ، واخذ جثة مرتا وحنّطها ودفنها مع ابيها .

وكان استشهاد الطوباوية مرتا في يوم احد القيامة المجيدة (١٦ نيسان ٣٤١) .

وكانت الراهبة التي قامت بدفن فوسي وابنته مرتا تقيم لهما ذكرى في بيتها كل سنة طوال ايام حياتها . وبعد وفاتها ، ورث ابن اخيها منزلها ، وكان هو ايضا مهتما باقامة ذكراهما ، شأن ماكانت تفعله عمته الراهبة . وبعد موته ، وقع خلاف بين ولديه بشأن ذخائر القديسين الشهيدين . وكان الذي ورث البيت يريد اقتسام الذخائر بينه وبين اخيه . ولما علم بذلك صوماي اسقف المدينة ، إقنعهما واخذ الذخائر منهما واعطاها لكنيسة المدينة لتبقى ذكرى صالحة وكنزا نفيسا في كنيسة المسيح . وفعل الاسقف صوماي هذا في السنة الثامنة لملك وهران بن يزدجرد[٢] ، وذلك بعد تسع وثمانين سنة من استشهادهما .

١٣

مجزرة الاهواز الرهيبة
(استشهاد ازاد والاسقفين امريا ومقيما والكاهن هرمزد وآخرين كثيرين لا يُحصى عددهم)

في يوم الاثنين بعد عيد القيامة ، جلب الحكام من شتى المناطق الواقعة تحت ادارتهم جموعا غفيرة من الكهنة والشمامسة والرهبان والمكرسين ، ومن النساء

(١) ـ لوقا ١٢ / ٤٩ .

(٢) ـ هو الملك الفارسي بهرام الخامس ابن يزدجرد (٤٢١ ـ ٤٣٨) . وقد اضطهد المسيحيين بقساوة بربرية ادت الى تدخل الروم البيزنطيين .

القديسات والراهبات، بقوافل عديدة، بعد ان عانوا مختلف ضروب المضايقات والشدائد من الحكام في بلدانهم. كما ان المضطهدين قبضوا على علمانيين كثيرين من مختلف القرى. واتوا بجميعهم الى كرخ ليدان مقر اقامة الملك. فدخل رئيس الحكام على الملك واخبره بشأنهم. فامره الملك قائلا: «اخرج واسألهم. فاذا هم اطاعوا ارادتنا وسجدوا للشمس، أطلق سراحهم ليعودوا الى منازلهم. والا فليكن مصيرهم مصير رفاقهم الذين قُتلوا في الامس.»

فخرج رئيس الحكام، ومرّ بين صفوفهم، ونادى بأعلى صوته قائلا: «لقد عفا عنكم ملك الملوك.» فلما سمعوا ذلك سجدوا وقالوا: «ليعش ملك الملوك» واذ ذاك قال لهم رئيس الحكام: «هكذا يقول ملك الملوك: لاتموتوا عبثا، ولا تهلكوا باطلا. أطيعوني واسجدوا للشمس التي تنير الارض قاطبة، فاني انا شابور ملك الملوك الذي اشارك طبيعة الآلهة اسجد لها. وان فعلتم، فستحيون ولن تموتوا.» فاجاب جميعهم بصوت عالٍ وقالوا: «ليعش الملك الصالح، فنحن لا نموت عبثا ولا نهلك باطلا، بل نحيا ولا نموت لاننا لا نسجد للشمس ولا نولي الخلائق المجد الواجب للخالق. فاننا نموت في سبيل الٰهنا، ولا ننكر السجود لجلاله.» فقال لهم رئيس الحكام ايضا: «افأجمعتم على عدم السجود للشمس؟» فاجابوه هاتفين: «اجل، وليسمع الجميع اننا مسيحيون ولا نسجد للشمس.» فقال لهم رئيس الحكام: «انكم والحالة هذه تتعرضون للسيف والموت.» فصرخوا كلهم: «اننا لن نموت، بل نحيا، لان الموت في سبيل الله حياة.»

حينئذ امر رئيس الحكام باخراجهم الى الموضع الذي فيه قُتل رفاقهم قبل يوم فخرج معهم الوف من الناس، من الجنود ومن سكان المدينة، وازداد الازدحام لمشاهدة تلك القوافل من الشهداء الذين لا حصر لعددهم. ولدى خروجهم، رنّت اسواق المدينة وطرقاتها باصوات التراتيل والمزامير الصاعدة من افواه الجموع الغفيرة من الرجال والنساء. واخرج المجوس من السجن مجرمين كثيرين ليقوموا بقتل المسيحيين. ولكنهم لم يتمكنوا في ذلك النهار من قتل الجميع، بل بقي عدد منهم مقيدين بالسلاسل عند جثث القتلى، تحت مراقبة الحراس.

وقبل ان ينتهوا من قتل الاولين، جاءهم الحكام في اليوم التالي بمسيحيين آخرين يفوقون الاولين عددا. وسُئل الآخرون مثلما سُئل الاولون، واعترفوا هم ايضا مثل الاولين، واصدر الحكم عليهم مثل الاولين. وتصارى القول، لقد عجز القاتلون ولم تكفِ السيوف للقتل، واشتدت المجزرة وكثر عدد القتلى، وتعب السيافون، وازداد تهافت المسيحيين على الموت وهم يسترخصون الحياة في سبيل الحقيقة والايمان، وتفاقم اندفاعهم نحو الموت، وازداد عددهم يوما فيوما . . .

وكان كثيرون من المسيحيين عابري السبيل من مختلف البلدان، وبعض من الجنود الذين حضروا لمشاهدة قتل الشهداء، ينزعون ثيابهم ويختلطون بصفوف الشهداء ويعلنون عن كونهم مسيحيين فيُقتلون هم ايضا معهم. فسادت الفوضى وعمّ الاضطراب حتى اضحى القتلة يعملون السيف دون تمييز. وفي الخميس التالي لعيد القيامة، بينما كان السيف يحصد العديد من المسيحيين خارج مدينة ليدان، كان ثمة احد امناء الملك اسمه ازاد، وهو رفيق الشهيد كوشتازاد، وكان من بين اخصّ الامناء لدى الملك واكرمهم عنده. وكان ازاد مسيحيا ويشتاق الى نيل اكليل الشهادة، ويحاول الحصول عليه دون التعرض للضغوط البشرية ولمكائد الشيطان وحيله. فاذ لاحظ تلك الفوضى السائدة، غيّر ثيابه ولبس زيّ الرهبان، ووضع على رأسه قبعة سوداء، ثم ذهب ووقف بين المعترفين. واعترف معهم هو ايضا بكونه مسيحيا، ونال اكليل الشهادة. وفي يوم السبت، سأل شابور الملك عن ازاد، فخرجوا يفتشون عنه بين الامناء ولم يجدوه. وذهبوا الى بيته، ولم يجدوه هناك ايضا. ونادى المنادي في المعسكر طوال يومين بحثا عنه، ولكن دون جدوى. وكان الجميع منذهلين لعدم وجود ازاد.

ولم يشأ الله ان يبقى امر ازاد العجيب مكتوما. فحضر احد المجوس ممن يعرفون ازاد حق المعرفة وقال: «ان راهبا من المسيحيين الذين قُتلوا يوم الخميس كان وجهه شبيها بوجه ازاد، وكذلك قامته. وظننته ازاد، ولكني ترددت اذ رأيته لابسا ثياب الرهبان، واردت ان اراه واكلّمه، ولكني خفت اذ لعله ليس ازاد فأجلب بذلك الظن عليّ حينما يراني الناس مخاطبا مسيحيا في ذلك الوقت الرهيب.» وانتشر الخبر،

وساد القلق في المعسكر، ووصل النبأ الى العظماء وبلغ الى الملك نفسه. فامر بفحص الجثث على الفور. فخرجوا يفحصون الجثث التي كانت ما تزال تملأ المكان تحت مراقبة الحراس. فوجدوا بينها جثة ازاد مع رأسه، واخبروا الملك بالامر. ولما سمع الملك، اغتم كثيرا واندهل. ولما عادَ الى نفسه قال: «لا يكن قتل المسيحيين فيما بعد بهذا التسرع. فكل من يُقبض عليه بسبب مسيحيته، يجب ان يُسأل عن اسمه واسم ابيه وامه وعشيرته ومدينته او قريته، وتسجّل اجوبته في كتاب، ثم يُسأل عن مذهبه، وتسجّل كذلك اجوبته، ويسأل مرات كثيرة ويُضرَب ويُضايَق. فان لم ينبذ ديانته، فليرفع امره الينا نحن الآلهة، فنصدر عليه ما بدا لنا من الحكم.» ووضعت هذه السُنّة في الاحد التالي لعيد القيامة (اي في الاحد الجديد). واذ ذاك خفّت حدة الاضطهاد بعض الشيء وساد هدوءٌ نسبي.

اما اسماء الذين قُتلوا في تلك الايام، فلم يستطع احد ان يجمعها ويسجّلها، لان معظمهم كانوا من الغرباء، وبسبب الفوضى التي سادت هناك، ثم لاجل عددهم الغفير، ولان الفرس لم يدوّنوا اسماءهم واسماء آبائهم وبلدانهم ومدنهم وقراهم، لان سيفهم حصدهم بصورة عشوائية وهمجية. ولكننا عرفنا اسماء امريا ومقيما اللذين كانا من اساقفة بيث لافاط الاولين، وكذلك اسم الكاهن هرمزد الذي كان من مدينة شوشتر، لانهم كانوا من البلاد وفيها قُتلوا.

ان هؤلاء جميعهم استشهدوا في سبيل المسيح في اضطهاد ضارٍ دام من خميس الفصح حتى الاحد التالي للقيامة، اي مدة عشرة ايام مستمرة، وقُتلوا عند تل يقع جنوبي مدينة كرخ ليدان. وتحتفل هذه المدينة بتذكارهم ثلاثة ايام: الجمعة والسبت والاحد التالية لعيد القيامة. وكان استشهادهم في السنة الحادية والثلاثين لحكم شابور الملك[1].

١٤

استشهاد تربو واختها وخادمتها

في ذلك الزمان، داهم المرض الملكة التي كانت ميّالة الى اليهود. فقال لها

(١) ـ انها بالاحرى السنة الثانية والثلاثون لحكم شابور، اي سنة ٣٤١م.

هؤلاء مفترين: «انما اختا شمعون قد سحرتاكِ انتقاما لموت اخيهما.» وما ان بلغت هذه الاخبار مسامع الملك، حتى امر بالقبض على الراهبة تربو واختها القديسة وخادمتها الراهبة التي كانت تربيها على التعليم المسيحي. وأُتي بهن الى باب قصر الملكة للاستنطاق. فأُرسل رئيس الحكام واثنان من الاعيان لمحاكمتهن. وما ان مثلن امامهم حتى بهرهم جمال تربو الرائع واستهوى قلوبهم، فجالت فيهم افكار فاسدة دون ان يُطلعَ احدُهم الآخر على ما يضمره لها في قلبه. فوجهوا اليهن كلاما قاسيا قائلين لهن: «انكن تستوجبن الموت لانكن سحرتن الملكة سيدة المشرق.» فاجابت تربو وقالت لهم: «ما هذه الذرائع الكاذبة التي تتهموننا بها وهي غريبة عن مذهبنا؟ وبمَ اخطأنا اليكم حتى تتهمونا بما هو بعيد عن حقيقتنا؟ واذا كنتم عطاشا الى دمائنا، فمن يمنعكم من شربها؟ واذا كنتم تائقين الى قتلنا، فان ايديكم ملوّثة به كل يوم. اما نحن فاننا نُقتل كمسيحيات ولا نجحد. فانه مكتوب ان نعبد الاله الواحد والا نشرك معه آخر. ومكتوب ايضا ان على الشعب ان يبيد كل ساحر على وجه الارض. فكيف اذن نجري السحر، في حين ان السحر وجحود الله امران يستحقان الموت؟ وكان القضاة يسمعونها بصبر ومرارة، وهم ساكتون ومنذهلون من جمالها الرائع وحكمتها الغزيرة، معلّلين النفس بالاماني الكاذبة فيها، وكان كل منهم يفكر في نفسه ويقول انه سيحاول انقاذها ليتخذها امرأة له.

فقال لهن رئيس الحكام: «انكن انتقاما لموت اخيكن خالفتن شريعتكن وسحرتن الملكة، رغم ان هذا الامر غير جائز لكن حسب قولكن». فقالت له تربو: «واي اذى اصاب اخي شمعون حتى يدفعنا الى فقدان حياة الله؟ وان كنتم قد قتلتموه بدافع البغض والحسد، الا انه حي في الملكوت السماوي الذي يزيل مملكتكم الارضية ويحل سلطانكم وينقض كرامتكم الفانية.»

بعد ذلك ارسلوهن الى السجن. وفي اليوم التالي، ارسل رئيس الحكام يقول لتربو: «اني سألتمس من الملك وانقذكن من الموت، على ان تصبحي لي زوجة.» وما ان سمعت تربو هذا الكلام، حتى اغتاظت وقالت: «اسددْ فاك ايها الاثيم عدو الله، ولا تضف كلاما آخر، لان صوتكم الدنس لا يجد منفذا الى

مسامعي ، ولا كلامكم البذيء سبيلا الى فكري الطاهر فاني خطيبة للمسيح ، واحافظ على بتوليتي لاجله ، واعلّق رجائي به ، واستودعه حياتي . فهو قادر على انقاذي من ايديكم الدنسة ومن الافكار السيئة التي تضمرونها لي . فانا لا اخاف من الموت ولا افزع من القتل ، لانكم بذلك تمهّدون لي السبيل لاذهب وارى اخي الحبيب الاسقف شمعون ، فاتعزى عن جميع ضيقاتي واحزاني عليه . »

كذلك ارسل كل من العينين اليها ، يعرض كل منهما عليها العرض نفسه سرا . وكان جوابها ردعا حاسما ورفضا عنيفا قاطعا . واذ ذاك اتفق الثلاثة وشهدوا زورا قائلين : «انهن حقا ساحرات . » وبالرغم من ذلك ارسل الملك امره بالا يُقتلن اذا سجدن للشمس ، اذ لعلهن لا يعرفن السحر . ولما سمعت المعترفات هذا الكلام ، قلن : «اننا لا نستبدل الٰهنا بخليقته ، ولا نؤدي السجود الواجب لخالقنا للشمس التي هي صنع يديه ، ولا نتخلى عن يسوع مخلصنا خوفا من تهديداتكم . » فعلا ضجيج المجوس لدى سمعاعهم هذه الكلمات وقالوا : «لتبدْ هؤلاء اللواتي سحرن الملكة وسبّبن في مرضها . » فأُذن للمجوس بقتلهن حسبما شاؤوا . فامروا بان تُقطع اجسادهن وتعبر الملكة فوق اشلائهن فتشفى . وبينما كانوا يقتادونهن الى الموت ، ارسل رئيس الحكام الى تربو وقال لها : «اذا اذعنت لي ، فلن تموتي انت ولا رفيقاتك . » فزجرته القديسة بصوت عالٍ وقالت له : «ايها الدنس الشبق ، لماذا تتكالب بجنونك على ما لا يحل لك؟ فاني لأموت ببسالة لكي احيا ، ولا اريد ان احيا لكي اموت . »

فاخرجوا القديسات الثلاث الى ظاهر المدينة ، وضربوا لكل منهن وتدين وشدوهن برؤوسهن وارجلهن على تلك الاوتاد ، كالنعاج التي تُجَزّ ، ثم نشروا اجسادهن من وسطها فصارت ست قطع ، ووضعوا القطع في ست قفف وعلّقوها على ستة اخشاب ذات اغصان ، وفرشوا ثلاثا منها على هذا الجانب من الطريق والثلاث الاخرى على الجانب الاخر . . يا له من منظر اليم ! أنصاف صلبان تحمل أنصاف اجساد ! انه لمنظر تشمئز منه النفوس وتخجل منه العيون وتتقزز منه الابدان !

ثم اتوا بالملكة وطافوا بها وسط تلك الاجساد، وتبعها موكب الجنود. . . استشهدت هؤلاء القديسات في الخامس من ايار سنة ٣٤١ .

١٥ استشهاد مار ميلس اسقف سوس وابورسام الكاهن وسيناي الشماس

كان ميلس من مقاطعة رازيق[١]، ونشأ منذ صغره في خدمة الملك الارضي. الا ان النعمة لم تدع هذا الاناء المصطفى ان يكون ارضيا شأن سائر الناس، بل اقتادته الى خدمة الملك السماوي مثل ملاك. فاقتبل العماد، والهمَه الله ان يسير على خطى المسيح في البتولية. وكان يمارس التقشف ويعكف على الصوم والسهر، ويهذب نفسه بالتعليم الالهي. فنمت في قلبه كلمة الله، وانفتحت امامه آفاق معرفة الرب، واضطرمت فيه نار محبته، حتى انه لم يستطع البقاء في الموضع الذي نشأ فيه، اذ كان مدعوا ليصبح مفيدا لكثيرين. فغادر مدينة بيث لافاط ونزل الى مدينة عيلام، وفيها تقع قصبة شوشان (سوس) حيث دُفن شمعون برصباعي. واخذ يبشر هناك بكلمة الحق كل يوم ويجهد نفسه طوال ثلاث سنين. ونمت في قلبه محبة الكنيسة، وتدرَّجَ في الرتب الكنسية حتى وصل الى الاسقفية التي اقتبلها من يد كدياب اسقف مدينة بيث لافاط الذي استشهد هو ايضا في سبيل المسيح. وطوال السنين التي امضاها ميلس في تلك المقاطعة، لم تستجب المدينة الى رغبته في ما يرضي الله. وتعرض هناك لمضايقات عديدة، حتى ان الوثنيين رجموه وسحلوه واخرجوه من المدينة. وكان كل يوم يعاني من العذابات صابرا. ولما رأى ان المدينة شديدة التمسك بالوثنية والمجوسية، غادرها ولعنها قائلا: «لانك لم ترضي بان تُشادي بالسلام، فسينقضّ عليك الدمار بغتة وسيحل بك الخراب عاجلا، فتتهدم مبانيك الشامخة ويتبدد سكانك المتعجرفون.»

---

(١) ـ رازيق او بيث رازيقايي هي مقاطعة ري الواقعة في بلاد الماديين العليا. وتوجد اطلالها على بعد ٤٥ كم في الجنوب الشرقي من طهران.

ولم تمضِ ثلاثة اشهر على خروج القديس منها، حتى صدر عن عظمائها أمرٌ اغاظ الملك. فارسل هذا جيشا ومعهم ثلاثمائة فيل، فهدموا منازل المدينة وقتلوا جميع سكانها وتركوها قاعاً صفصفا.

اما القديس فحجّ الى القدس لا يحمل في مزودته سوى الانجيل. ومن هناك انحدر الى مدينة الاسكندرية قاصدا الطوباوي امونيس تلميذ انطونيوس ابي الرهبان. ومكث هناك سنتين وهو يتفقد الاخوة واديرتَهم المنتشرة في البرية. وبينما كان في طريق العودة الى بلاده، وجد راهبا كان يسكن وحده في كهف. واذ عكفا معا على صلاة الصبح، اذا بحية كبيرة قبيحة المنظر طولها اثنتان وثلاثون ذراعا شرعت بالدخول الى المغارة حسب عادتها، اذ كانت تسكن هناك. ولما رآها ميلس، لم يخفْ ولم يفزع، بل تشجّع ومدَّ يدَه نحوها وقال لها: «لِمَ تتجاسرين ايتها الحية الرقطاء عدوة البَشرية فتخرجينا لتدخلي انت الى المغارة؟ فها ان حربة الرب تشقك الى شطرين.» واذا بالحية تنتفخ وتنفجر من رأسها الى ذنبها. فسأل ميلس ذلك الاخ وقال له: «هل سبق لك ان رأيت هذه الحية ههنا؟» فاجابه: «انها كانت تسكن هذه المغارة دوما. وانا ايضا اسكنها منذ مدة، ولم تلحق بي اي اذى.» فأنحى ميلس عليه باللائمة وقال له: «بما ان الله قد جعل عداوة بين البشر والحية، فلماذا كنت تصدّق عدوك وتسكن معه في موضع واحد؟» ثم نقل ذلك الاخ من هناك الى موضع آخر.

وواصل الطوباوي سفره وجاء الى مدينة نصيبين حيث كان الاسقف مار يعقوب يبني الكنيسة. فمكث هناك زمانا يسيرا ينعم بصحبة ذلك القديس الكبير، ثم انحدر الى حدياب. ومن هناك ارسل الى القديس يعقوب بمقدار كبير من النسيج الحريري لتغطية نفقات الكنيسة.

ومن هناك نزل الى منطقة بيث ارامايي حيث وجد أحوال المسيحيين تسودها الفوضى والخصام بسبب فافا بن عجي اسقف ساليق وقطيسفون وسلف مار شمعون برصباعي. فلاحظ انه يتكبر ويتطاول على اساقفة البلدان المجتمعين هناك لمحاكمته، ويتعجرف على كهنة مدينته وشمامستها. فعلم ان سقوط هذا الرجل المتكبر وشيك. فقام في الوسط وقال له: «لماذا تتجاسر وتتكبر على اخوتك

واعضائك فتحسدهم وتحتقرهم كمن لا اله له؟ الم يقل الكتاب: من اراد ان يكون فيكم كبيراً، فليكن لكم عبدا»؟[٢] فقال له فافا: «أوَ تعلّمني هذه الامور، يا جاهل؟ الستُ اعرفها انا ايضا؟» فدنا ميلس، واخرج الانجيل من حقيبته ووضعه على وسادة امامه وقال له: «اذا كنتَ لا تريد التعلم مني انا الانسان، فليحكم عليك انجيل ربنا الموضوع الآن نصب عينيك، لانك لا ترى امره بعينك الروحية الخفية.» فرفع فافا يده بغضب شديد وضرب الانجيل وقال: «تكلم ايها الانجيل، تكلم.» فثار ثائر القديس ميلس واسرع وتناول الانجيل وقبّله ووضعه على عينيه وصرخ باعلى صوته امام ذلك الجمع كله وقال: «لانك تجاسرت بغطرستك على كلمات الرب الحية، فهوذا قد اتى ملاكه فيضربك في نصفك ويشلّه، فتصبح آية الخوف والهلع لكثيرين. ولن تموت على الفور، بل تبقى آية للعجب.» وعلى الفور نزل شيء مثل برق من السماء وضرب فافا وشل نصفه. ومنذئذ صار فافا طريح الفراش يقاسي مر العذاب طوال اثنتي عشرة سنة، حتى مات وسط ذلك العذاب. واستحوذ الخوف والرعب على ذلك الجمع كله.

ومن هناك ذهب ميلس الى مقاطعة ميشان، وحل عند رجل ناسك كان يسكن في البرية. وكان رئيس تلك المقاطعة مصابا بمرض عضال منذ سنتين. فما ان سمع بقدوم ميلس الى هناك، حتى أرسل يلتمس منه ان يتوجه اليه. فقال ميلس للرسول: «اذهب، ولدى دخولك، قل بصوت عال: ان ميلس قال: باسم يسوع الناصري اشفَ وقمْ وامشِ.» وما ان فعل الرسول ذلك، حتى شفي مولاه شفاء تاما وقام واتى عند ميلس وهو يؤدي الحمد لله مع سكان المنطقة الذين آمن منهم خلق كثير بسبب تلك الاعجوبة.

واتوه يوما بشاب مصاب بداء الصرع منذ صغره. فصلى عليه القديس ووَسَمه بعلامة الصليب فزال عنه الداء ولم يعاوده بعد ذلك قط. وآيات اخرى كثيرة جرت على يد القديس في تلك المنطقة تمجيدا لله العلي القدير.

---

(٢) ـ متى ٢٠/٢٦.

ومن هناك توجه الى وطنه رازيق . ودخل قرية كانت فيها امرأة نبيلة قد اصابها الشلل في جميع اعضائها منذ تسع سنين . فلما عرفوا موضع اقامته ، حملها عبيدها وجاؤوا بها اليه . فنظر اليها ورآها تتعذب كثيرا وتتوسل اليه بالحاح . فقال لها : «اتؤمنين بالاله الواحد الذي وحده يقدر ان يشفيك؟» فاجابته : «اجل ، اني اؤمن يا سيدي انه وحده الاله الاوحد ولا اله سواه .» اذ ذاك قام وصلى وامسك بيدها وقال لها : «باسم الله الذي آمنتِ به ، قومي وامشي وليزَلْ عنك مرضُك .» وفي الحال برئت تلك المرأة من دائها ، وقامت وانطلقت الى بيتها ، وعمّ الفرح تلك القرية بأسرها .

وفي هذه القرية ذاتها ، جاء رجلان ، يريد كل منهما ان يستحلف الاخر بشأن سرقة . فقال ميلس للذي همّ بالقَسَم : «يا بنيّ ، لا تحلف كذبا فتظلم رفيقك في هذا الامر .» ولكنه لم يصغِ اليه ، بل تجاسر واقسم . فرشقه الطوباوي بنظرته وقال له : «اذا كنت قد اقسمت صادقا ، فاذهب الى دارك سالما صحيحا ، والا فليصبك البرص الذي حلّ بجحزي ، فتخرج من هنا ملتحفا بالخزي والعار .» وفي الحال ، حلّ البرص بذلك الرجل ، واستحوذ الخوف على القرية . وكثير من سكانها نبذوا الوثنية واعتنقوا الديانة المسيحية .

وغادر المكان قاصدا موضعا آخر ، ورافقه في الطريق رجلان مسيحيان . فصادفوا في سبيلهم نهرا كبيرا اوقف مسيرتهم يوما كاملا دون ان يستطيعوا اجتيازه . حينئذ طلب من الرجلين ان يعودا ادراجهما ، وعكف هو على الصلاة . اما هما فابتعدا عنه قليلا واختفيا في مكان يتسنى لهما ملاحظته ليريا ماذا عساه يفعل وكيف يعبر . اما هو فبعد ان فرغ من الصلاة ، سار فوق النهر واجتاز دون ان ينزع حتى حذاءه .

وجاء الى قرية اخرى فيها شماس يُتّهم بالزنى والفجور . فدعاه القديس وعاتبه في الكنيسة وقال له : «اعترف بالامر يا بنيّ اذا كان ما يُقال عنك صحيحا ، وتب الى الله ، لأن الله رحيم غفور ، ولا تتجاسر» وقال له : «آه ، يا سيدي لا تخطىء بحقي زورا ، فانما قد افترى عليّ بهذا الامر ظلما .» ولم يكتف بهذا القول ، بل تجرأ وتناول كتاب المزامير ووقف على المنصة لكي يرتل . واذا بشيء يشبه راحة اليد تخرج من المقدس وتلطمه على وجهه ، فسقط للحال ومات . وساد المنطقة كلها خوف كبير .

وفي تلك القرية ذاتها ، اتوه بشاب مخلّع منذ الولادة . فلما رآه القديس ، صلى عليه ثم امسكه بيده وقال له : «باسم يسوع الناصري قم وامش . » وفي الحال شفي وشرع يمشي ، وكان له من العمر عشرون سنة .

ان الآيات والعجائب التي اجراها الله على يد هذا القديس كثيرة لم نستطع تدوينها جميعها. فلنأتِ الآن الى آية دمه العظمى والى ذكر آلامه واستشهاده المجيد .

كان صاحب تلك المنطقة رجلا اثيما متكبرا ومتعجرفا يدعى هرمزد كوفريز. فما ان بلغه امر تنصر ميلس الذي كان في صباه وثنيا ، حتى ارسل جنده واتوا به الى «مهلدكرد» مدينة الرازيقيين ، مع تلميذيه ابورسام وسيناي ، والقاهم في السجن ، وعاملهم بالضرب والعذابات مرتين محاولا دفعهم الى السجود للشمس . اما هم فكانوا يسخرون منه ويحتقرون كبرياءه وعجرفته ثابتين في الحقيقة ورافعين المجد لله بايمان وعزم .

وبعد مرور سنة عليهم في السجن ، شاء هذا الحاكم الاثيم ان يخرج الى الصيد في الجبل . وكان في غاية الاعجاب بنفسه . فامر باخراج القديسين الثلاثة وهم مقيّدون بالسلاسل . ولما مثلوا بين يديه ، وجّه السؤال متهكما الى ميلس وقال له : «من انت؟ أإلٰه ام انسان؟ وما ايمانك؟ وما تعليمك؟ أطلعنا على حقيقتك فنتتلمذ لك . واذا لم تشأ ان تكشف لنا عن معتقدكَ ، فاني ساقطع رأسك كواحد من هذه الحيوانات . »

فعرف القديس ما في قلب هذا الرجل من المكر والنفاق ، فقال له : «انا انسان ولست الٰها . اما ايماني فلا اكشفه لمكرك الخداع ، ولا القي تعليمي الطاهر على مسامعك الدنسة . ولكني اقول لك قولا عادلا : الويل لك ، الويل لك ايها الاثيم الشرير ، ولجميع الذين على غرارك لا اله لهم . فان الله سيدينكم بعذالته في العالم العتيد ويحكم عليكم بجهنم والظلام ، ويجازي كبرياءكم بالبكاء وصريف الأسنان الى الابد . لانكم لم تعرفوا انه هو الذي وهبكم هذه الخيرات التي انتم بها اليوم متمتعون . » وكان الاثيم جالسا على كرسي يحيط به اناس كثيرون . فلما سمع هذه الاقوال ، ثار ثائره وقام غاضبا واستلّ سيفه وضرب به كتف القديس ميلس فاخترقها من

الامام الى الوراء. وقام اخو الاثيم ايضا، واسمه نرساي، واستل سيفه وضرب جنب القديس واخترقه. ومع ان القديس اشرف على الموت، وكان يستعجل الوصول الى وليمة السماء، فقد تنبأ بموته عن موتهما الرهيب، وقال لكلا الاخوين: «من حيث انكما اتفقتما على اخوتكما الشريرة وارتبطتما بصحبتكما الاثيمة على قتل البريء وسفك الدم عبثا، فها انكما غداً في مثل هذا الوقت سيسفك احدُكما دمَ الآخر في هذا الموضع نفسه، وستلعق الكلابُ دمكما وتأكل الطيورُ لحمكما، فتثكلكما امكما وتترمل زوجاتكما في يوم واحد». واذ قال القديس هذه الكلمات، فاضت روحه وانتقل الى ربه.

اما الاثيم، فامر جنده بأن يذهبوا بابورسام وسيناي ويصعدوهما على اكمتين متقابلتين وان يرجموهما هناك. ونفذوا امره في الساعة التي فيها استشهد مار ميلس.

وامضى كوفريز ليلته في الموضع ذاته. وفي الصباح جاؤوه بصيد وفير، وفي عجرفته نسي ما قاله له الطوباوي ميلس وما انذره به من قصاص الله الذي سيحل بكلا الاخوين الماهرين بالرماية والصيد. واذا بغزالة اخترقت الشبكة التي كانت تضم الحيوانات المصطادة وافلتت بسرعة. فلاحقها الاخوان على فرسيهما وحاصراها فيما بينهما، وصوّب كل منهما سهمه نحوها ورمياها به. واذا بسهم كوفريز يصيب ويخترق بطن نرساي، وسهم نرساي ينفذ ويخترق صدر كوفريز. فخرّا صريعَين في الموضع الذي قُتل فيه ميلس. وصارا منظرا عجيبا وخبرا رهيبا للبلاد كلها، واكلت الوحوش والطيور جسديهما، لان الفرس لا يدفنون موتاهم الى ان يتناثر اللحم من العظام، فيدفنون العظام وحدها.

اما اجساد القديسين الثلاثة فقد سرقها ابناء البلدة ليلا وذهبوا بها ودفنوها في قرية اسمها «ملقين». وقد اظهر القديسون اعجوبة كبيرة حتى بعد موتهم. اذ كان اللصوص والسباة ياتون دوما الى تلك المنطقة ويعيثون فيها فسادا. وكلما بلغوا حدود تلك القرية صُدّوا عن الدخول اليها وعن الحاق الاذى بها. فآمن سكان القرية ان عظام القديسين الموجودة فيها هي التي تصدهم عن الدخول اليها.

وكان استشهاد هؤلاء القديسين في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (سنة ٣٤١م).

١٦ استشهاد مار شاهدوست اسقف وجاثليق ساليق وقطيسفون، ورفاقه الشهداء المائة والثمانية والعشرين

كان شاهدوست من مقاطعة بيث جرماي (كركوك). وكان في عهد مار شمعون بر صباعي قد أقيم رئيس الكهنة في المداين. وبعد استشهاد مار شمعون، اقيم جاثليقا خلفا له. وكان يعيش متخفيا مثل سائر رؤساء الكنيسة، بالنظر الى الاضطهاد الضاري الذي اثير على المسيحيين. وفي ذات يوم رأى رؤيا مذهلة. فدعا الكهنة والشمامسة الذين في المخابىء وقال لهم: «لقد شاهدت هذه الليلة في الرؤيا سلّماً منيرة ترتفع من الارض الى السماء، وكان شمعون واقفا في اعلاها ملتحفا بالمجد، وكنت انا واقفا عند الأسفل على الارض. فدعاني شمعون مبتهجا وقال لي: «اصعد يا شاهدوست، اصعدْ اليّ ولا تخفْ. فاني قد صعدت البارحة، وانت تصعد اليوم.» ومنذ استيقاظي، اعتقدت بل تأكدت اني سرعان ما سالتحق به بالشهادة. اما قوله: اني قد صعدت البارحة وانت تصعد اليوم، فيعني انه قد قُتل في السنة الماضية، وانا أُقتَل في هذه السنة.» وشرع شاهدوست يشجعهم مذكرا اياهم بكلام الرسول القائل: «تقووا في الرب وبقدرته العزيزة، وتسلحوا بسلاح الله كله...»[1]، فانكم بهذه الاعمال تظهرون للانام كالانوار وتبرهنون لهم عن تمسككم بكلمة الحياة. فلا نخافنّ اذن من الموت الزاحف علينا، بل على الذي يموت ان يجاهد كالصنديد، وعلى الذي يحيا ان يكون شجاعا. لاننا انما نُقتل في سبيل المسيح والحقيقة. فلنجاهد ما دام السيف مستلا، ولنكافح ما دامت الحربة متلألئة، ولنسر ما دامت الشمس مشعّة في الليل، لنصل الى المنازل السماوية، لاننا بذلك نكتسب مجدا ابديا، ونخلّف ذكرى المآثر الجليلة للاجيال القادمة.» ثم قال لهم: «صلوا لكي يتحقق سريعا مغزى هذه الرؤيا.»

---

(١) ـ افس ٦/١٠ ـ ١١.

وفي السنة الثانية من «اضطهادنا»[٢]، بينما كان الملك في ساليق، بلغه امر شاهدوست. فامر بالقبض عليه. واسم شاهدوست يعني صديق الملك او محب الملك[٣]. اجل، لقد احبَّ الملكَ السماوي حقا بكل نفسه وبكل قوته. فكان طاهرا نزيها وقديسا. وحذا حذو سلفه القديس مار شمعون بر صباعي. وأُلقي القبض معه على عديد من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات من المداين ومن القرى والارياف المجاورة، حتى بلغ عددهم مائة وثمانية وعشرين. فكبّلوهم جميعا بالسلاسل واودعوهم سجنا رهيبا قاسوا فيه الامرَّين طوال خمسة اشهر. وفي هذه المدة انزلوا بهم عذابات شتى ليدفعوهم الى السجود للشمس، مرددين عليهم كلام الملك: «انكم لن تموتوا اذا امتثلتم امري.» فاجابهم شاهدوست عن الجميع وقال: «قولوا لمن ارسلكم: اننا ثابتون على قوة واحدة وحقيقة واحدة وعزم واحد، نبشر بالايمان بالاله الواحد الذي نعبده من صميم نفوسنا. واننا لا نسجد للشمس التي هي خليقته، ولا نكرم النار التي جعلها لخدمتنا، ولا نخضع لامرك الشرير خوفا من تهديداتك فنتنكر لشريعتنا. فلك السيف ولنا الاعناق، لك الموت ولنا الحياة. فلا

(٢) - انها في الواقع سنة ٣٤٢، اذ ان الكاتب يعتبر بدء هذا الاضطهاد سنة ٣٤٠.

(٣) - كتب ابن العبري في تاريخه الكنسي (٢، ١٧ من النص السرياني) ما يلي:
«جاء بعد شمعون بر صباعي شاهدوست. وهو اسم فارسي يعني صديق الملك، وكان الروم يدعونه صادوق. وكان اركذياقونا لشمعون بر صباعي وابن اخته ومن مقاطعة بيث جرماي. اختير جاثليقا ورُسم سرا في ساليق بعد ثلاثة اشهر من مقتل معلمه. وبعد سنتين رأى رؤيا فيها شاهد ناراً ترتفع من الارض الى السماء، وشمعون بر صباعي يدعوه ويقول له: ارتفع يا اخي شاهدوست الى فرح ربك. ونُقل هذا الخبر شابور الاثيم، فأُلقي القبض على الجاثليق ومعه ١٢٨ آخرين من كهنة ومؤمنين ورهبان واختين لشاهدوست. وقُتلوا كلهم في سبيل الايمان بالمسيح. ويقال انهم ادخلوا اولا شاهدوست امام الملك شابور الذي قال له «انا قتلت شمعون رئيس المسيحيين وكذا اساقفة معه، فلماذا انت صرت رئيسا لشعب اكرهه؟» فاجاب القديس: «ان رئيس المسيحيين هو الله، وهو الذي يقيم عليهم من يشاء. وكما مياه البحر لا تنضب، كذلك لن تزول المسيحية من الارض.» فاغتاظ شابور وامر بقتله مع جميع الذين معه.»

تؤجّل قتلنا يوما واحدا، ولا تشفق في اراقة دمنا ساعة واحدة. لان طول اناتك مميت لمن يسمعك.»

ولما ابلغ الملك هذا الجواب، ارسل اليهم ايضا كلاما اشد عنفا قائلا: «اذا لم تمتثلوا ارادتي وتطيعوا امري، فان ساعة هلاككم قد بلغت الآن.» فاجابه جميع القديسين بصوت واحد وقالوا: «انتا لا نفقد الهنا، ولا ننبذ المسيح. فان الله مزمع ان يبعثنا لحياة جديدة وان يجددنا في ملكوت السماء. فاجلبوا علينا اي موت تشاؤون، فاننا مستعدون لنموت في سبيل الهنا. فنحن لن نسجد للشمس ولا نطيع امركم الذي يقتل النفوس الضعيفة.»

فتهيأ القديسون للقتل واستعدوا للموت، لان حكم الموت بالسيف صدر على جميعهم. فاخرجهم الاعيان وامناء الملك مقيدين الى ظاهر المدينة، بينما اخذوا هم ينشدون باصوات عذبة هذا المزمور: «اللهم احكم لنا وخاصم لدعوانا مع امة غير صفية ونجّنا من صاحب الكيد والاثم...»(٤). وحينما وصلوا الى موضع تنفيذ الحكم فيهم قالوا: «تبارك الله الذي منّ علينا بهذا الاكليل الذي كنا ننتظره ولم يحرمنا من هذا الحظ الذي كنا نتمناه. تبارك المسيح الذي لم يتركنا في هذا العالم، بل دعانا للمثول امامه بسفك دمنا.» ولم يكفّوا عن اداء الحمد لله الى ان قضي على آخرهم.

استشهد هؤلاء المظفرون في العشرين من شباط (سنة ٣٤٣؟).

اما شاهدوست فاقتادوه مكبّلا بالقيود الى منطقة بيث هوزايي الى مدينة بيث لافاط وهناك قطعوا رأسه بالسيف وبذل حياته في سبيل المسيح.

١٧ استشهاد برشبيا رئيس الدير ورهبانه العشرة وأحد المجوس

كان في ذلك العهد رئيس دير في منطقة فارس يدعى برشبيا يعكف على عبادة الله

(٤) ـ مزمور ٤٢.

مع رهبانـه العشرة. فوشى به قوم من الاشـرار امـام حاكم مدينة «اصطخر»[١] وقالوا عنـه: «انـه يفسـد عقـول انـاس كثيـرين، ويعلّم السحر في بلادنا، ويدحض تعليم المجوس.» فامر الحاكم بالقبض عليه وعلى الاخوة الذين معه. فجاؤوا بهم مقيّدين الى الحـاكم الـذي اذاقهم عذابـات رهيبـة، حتى هُشّمت ركبهم بالمطارق وكُسرت سيقانهم واذرعهم واضلاعهم بالفؤوس، وشوّهت انوفهم وآذانهم واعينهم ايما تشويه.

ولمـا رأى الحـاكم الاثيم ان تلك العـذابـات كلها لم تثنهم عن عزمهم او تزعزع ايمـانهم ولم ينحـرفـوا عن الههم، امر باخراجهم الى ظاهر المدينة ليُعدَموا هناك. فخرجوا وهم يرتلون المزامير ويسبّحون الله. وكان جمع غفير يحيط بهم.

وحينمـا شرعـوا بقتلهم، حدث ان احد المجوس كان خارجا من المدينة ومجتازا في تلك الطـريق، مع امـرأتـه الممتطية بغلة واثنين من اولاده وعدد من خدمه. ورفع بصـره فرأى جمعـا غفيـرا في ذلك الموضع. فقال للذين معه: «واصلوا سيركم ريثما اذهب لارى ما شأن هذا التجمـع.» فرأى كيف كان رئيس الـديـر يأخـذ بيـد تلاميذه الواحد تلو الاخر ويقدّمهم لحد السيف، وهو يشجعهم مرتلا لهم المداريش بصوت عذب. اذ ذاك فتح الرب عيني هذا المجوسي فرأى لساناً من نار على شكل صليب يتلألأ ويشع فوق اجساد المقتـولين. فاضطـرب وخـاف ونـزل على الفـور من ظهر جواده، واستبدل ثيابه بثياب خادمه، ودنا من برشبيا وهمس في أذنـه: «لقد رأيت رؤيا غريبـة، فاختـارني الهك حقا لاموت معكم. فانه هو وحده الاله الاوحد، وانا اعترف به من كل قلبي. ولكن يجب الا يعلم احـد اني لست منكم. فأمسكني كواحـد من تلاميذك وسلّمني للقتل، لاني مشتاق غاية الشوق الى ان اموت معكم انتم شعب الله المقدس والمؤمن.» فصدّقه الطوباوي بعد ان اطلعه المجوسي على رؤياه. فأمسكه وقـدّمـه للقتـل بعد التاسع، دون ان يعلم به احد. وبعده قُتل الحادي عشر. وفي

(١) ـ اصطخر مدينة كانت تقع جنوبي غربي ايران. بنيت من انقاض برسيبوليس واصبحت المركز الديني للساسانيين واحدى عواصمهم. قضى عليها تأسيس شيراز بالقرب منها سنة ٦٨٤ م.

الاخير قتل رئيس الدير ايضا . وبهذا المجوسي بلغ عددهم اثني عشر شهيدا . واخذت رؤوس الشهداء الى المدينة ، وعُلقت في هيكل «اناهيد» آلهة الفرس ، لتكون مبعث هلع ورعب لكثيرين . اما اجسادهم فصارت مرتعا للوحوش وطير السماء .

وبعد ذلك عُرف امر هذا المجوسي ، فصار موضوع الحديث والدهشة في البلاد كلها ، وبسببه انضم كثيرون الى الايمان المسيحي . وكان من بين الذين تنصروا امرأته واولاده وخدمه ، وعاشوا في البر والتقوى طوال ايام حياتهم .

استشهد هؤلاء القديسون في السابع عشر من حزيران (سنة ٣٤٣؟) .

١٨ استشهاد نرسا اسقف شهرقرد وتلميذه يوسف

في السنة الرابعة من «اضطهادنا» ، أُلقي القبض على نرسا اسقف شهرقرد وعلى تلميذه يوسف . بينما كان الملك في هذه المنطقة . فلما مثلا امام الملك ، نظر اليهما وقال للطوباوي نرسا : «ما ابهى شيخوختك واكرمها! وما اجمل شباب تلميذك! واني لمشفق على جمالكما ولا اريد ان يتلوث بالدم فينزل الى القبر بموت عنيف . فامتثلا الآن ارادتي واسجدا للشمس ، فأجزل لكما الاكرام والهبات . فان منظركما اعجبني كثيرا وسررت بمكارمكما الحميدة . »

فاجاب القديس نرسا وقال له : «ان كلماتك المعسولة مرة جدا ، وان اقوالك المغرية لماكرة وخادعة . فانك تحاول ان تحطنا من كرامتنا الحقيقية وتنحدر بنا الى هوان هذا العالم الباطل والزائل الذي انت به فخور ، وكأنه قد اعطي لك كله وانت مالكه . الا تدرك انه سيزول منك مثل حلم الليل العابر وانه سيضمحل ويتلاشى كالخيال؟ اما انا فاني شيخ قد ناهزت الثمانين من عمري ، وقد خدمت الله الحق في جميع ايام حياتي . والآن ايضا معاذ الله ان اقطع صلتي بالحق وان استبدل ايماني فاسجد للشمس خليقته واعبدها . »

حينئذ قال لهما الملك : «اظن ان دخولكما عليّ هو ساعة شؤم لكما . واذا لم تطيعا امري ، فاني لن اتأخر في القضاء عليكما . » فقال له نرسا : «ايها الملك ، لو كنت قادرا على قتلنا واحيائنا واعادة قتلنا سبع مرات متتالية . لما تخلّينا عن الهنا او رضخنا لأمرك . »

وعلى الفور صدر الحكم بقطع رأسيهما بحد السيف . فاخرجوهما بين جمهور من الناس المتفرجين . ولما وصلا الى موضع التنفيذ ، رفع نرسا بصره ونظر الى الجمع المحيط بهما ، فقال له يوسف : «ايها الشيخ الجليل ، ما بالك تنظر الى الجمع؟ فان الشعب كله ينظر اليك وينتظر ان تطلقه وتذهب انت في طريقك . فنظر الشيخ ببشاشة الى يوسف ، ثم دنا منه وقبّله وقال له : «طوباك يا يوسف الطاهر ، فان العالم لم يشغلك بمكائده ، فدخلت فرحا وبوجه مشرق في الباب الضيق المؤدي الى الملكوت . » ثم قُتل يوسف اولا ، وبعده قُتل هذا الشيخ الجليل .

استشهد هذان القديسان في العاشر من تشرين الثاني (سنة ٣٤٤؟) .

١٩ لائحة شهداء كرخ سلوخ واماكن اخرى

١ ـ **يوحنان** : اسقف كرخ سلوخ . قُتل في قرية «حصين» بامر اردشير امير حدياب .

٢ ـ **شابور** : اسقف كرخ سلوخ . قضى شهيدا في السجن على اثر التعذيب . وقد قال امير حدياب : «اقطعوا رأسه واتوني به لأراه . » اذ لم يصدّق انه مات . فقطعوا رأسه واتوا به الى الامير .

٣ ـ **اسحق** : اسقف كرخ سلوخ . رُجم بالحجارة في نيقاطور[1] على ايدي نبلاء المدينة الذين كانوا يُدعَون مسيحيين بالاسم ، وقد ارغمهم امير حدياب على ذلك .

---

(١) ـ نيقاطور او بيث نيقاطور هي نفس بلدة اوانا في طيرهان بيث جرماي ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، تحاذي عكبرا .

٤ ـ **اسحق**: كاهن قرية «حولاسار». رُجم بالحجارة خارج مدينة بيث سلوخ بأمر الحاكم اذركوشنسف.

٥ ـ **فافا**: كاهن قرية «حلمين». قُتل في قرية «كلال» بامر امير حدياب.

٦ ـ **اوهنام**: راهب شاب. رُجم بالحجارة في قرية «كنزك»[٢] على ايدي نبيلات كرخ سلوخ اللواتي كن يدعين مسيحيات بالاسم. وقد ارغمهن امير حدياب على ذلك. وكان هذا الشاب الشهيد من المدينة ذاتها.

٧ ـ **كوشتازاد**: امين من كرخ سلوخ. كان يعيش في بلاط امير حدياب. وكان هناك سجين اسمه ورتاران، وكان بالاسم يدعى كاهنا وهو من قرية «سلوقانا». وحينما ضُغط عليه نبذ الحق وجحد الايمان. فأمره امير حدياب بان يقتل كوشتازاد لكونه لم يمتثل امر الملك بالسجود للشمس. ولما همّ ورتاران بقتله، انذهل كوشتازاد وقال له: «اانت تقتلني، ايها الكاهن؟» ثم ندم وقال له: «لقد اخطأت لاني دعوتك كاهنا. ولكن هلم ونفّذ ارادتك. فانت لم تفلح في كهنوتك، شأن يهوذا في رسالته. اعرف ان الشيطان قد خدعك لتعمل ما يرضيه.» فقتله بكل جسارة دون خجل.

٨ ـ ١١ ـ **ساسان، زرون، نوح، طيماي**: علمانيون من بلدة لاشوم[٣]. قُيّدوا بالسلاسل واقتيدوا الى بيث هوزايي، وهناك قُتلوا بامر شابور الملك، في سبيل الايمان بيسوع المسيح.

١٢ ـ **باعوثا**: امرأة علمانية نبيلة من كرخ سلوخ. قُتلت امام قصرها بامر الحاكم اذركوشنسف.

١٣ ـ ١٤ ـ **تقلا ودناق**: راهبتان من كرخ سلوخ. قُتلتا بامر الحاكم اذركوشنسف.

---

(٢) ـ قد تكون «كنزك» تلك البلدة الواقعة في اذربيجان الشهيرة بمعبد نارها، وهي تدعى الآن تختي سلمان وتقع في الجنوب الغربي من مدينة مراغا. وقد تكون قرية «كزنخ» الواقعة في الجبال التركية على مسيرة ثلاثة ايام من قصبة زاخو شمالا.

(٣) ـ لاشوم وتسمى الان لاشين وهي بلدة تقع على بعد ١٢ كم في الجنوب الغربي من طاوق (داقوق القديمة) في منطقة بيث جرماي.

١٥ ـ ١٨ ـ **طاطون، ماما، مزكيا، أنة**: راهبات من كرخ سلوخ. قُتلن خارج المدينة في موضع يدعى «حورا» بامر حاكم المدينة. ونمت بدمهن تينة صارت سبب التبرك والشفاء سنين عديدة. الا ان المانويين اقتلعوها حسدا، فاصيبوا بداء الجرب الذي فتك بهم. واعترفوا بالعلة التي لأجلها ظهرت فيهم تلك الآية الخارقة.

١٩ ـ ٢١ ـ **أبيت، حاتاي، مزكيا**: راهبات من مقاطعة بيث جرماي. قُتلن بامر شابور الملك لدى حضوره في المقاطعة.

٢٠ استشهاد دانيال الكاهن والراهبة وردة

بعد مرور سنتين على استشهاد الطوباوي ميلس، أُلقي القبض على الكاهن دانيال والراهبة وردة من بلد رازيق، وذلك بأمر حاكم المنطقة. فأتي بهما اليه. واستنطقهما وسط عذابات قاسية، وسألهما ان يتخليا عن الههما الحقيقي. الا ان المجاهدين الصنديدين ظلا صامدين في ايمانهما ومتمسكين برجائهما. فعذّبهما هذا الحاكم العاتي مدة ثلاثة اشهر، حتى انه ثقب مفاصلهما بالمثاقب، وربطهما في الجليد طوال خمسة ايام دون ان يجني فائدة من ذلك.

ولما رأى انهما ما يزالان ثابتين في الحقيقة بعد هذه التعذيبات كلها، امر بقطع رأسيهما.

استشهد هذان البطلان في الخامس والعشرين من شباط (سنة ٣٤٥؟).

٢١ استشهاد المائة والعشرين شهيدا

في السنة الخامسة من «اضطهادنا»، بينما كان الملك شابور في مدينة ساليق، أُلقي القبض على ١٢٠ شخصا من كهنة وشمامسة ورهبان وراهبات من مختلف

البلدان ومن المداين ذاتها، وزجّ بهم في غياهب السجن مدة ستة اشهر، اي طوال الشتاء كله. وكانت ثمة امرأة نبيلة اسمها يزداندوخت ـ ومعناه ابنة الاله يزدان ـ من منطقة حدياب ومن مدينة اربيل، قامت بسد احتياجات هؤلاء الشهداء طوال مكوثهم في السجن، وانفقت عليهم من مالها الخاص[1].

وكان المضطهدون يخرجونهم بين الفينة والفينة للاستنطاق والتعذيب، فينكّل بهم المجوس حسب هواهم، ويقولون لهم بأمر الملك: «اسجدوا للشمس الاله، والا فستموتون كلكم شر ميتة.» اما هؤلاء القديسون فكانوا ثابتين على رأي واحد وارادة واحدة ويجاوبون: «حاشانا نحن العبيد الامناء للاله الحق خالق السماء والارض وكل ما فيهما ان نجحده ونتخلى عنه ونحيد عن طريقه ونتحول عن السجود له ونستبدله بالسجود للشمس التي هي خليقته وصنع يديه. فأسرعوا اذن في قتلنا لكي يتم فرحنا، ونفّذوا الموت فينا لكي نستريح وننجو من تجديفكم وتعييراتكم التي تكتنفنا كل يوم.»

ولما حان يوم رحيل الملك، جاء صديق ليزداندوخت من امناء الملك واخبرها سرا بأن الشهداء سيُقتلون في اليوم التالي. اذ ذاك اعدّت لهم هذه الشريفة مأدبة فاخرة وتولت هي نفسها خدمتهم، واخذت تبذل قصارى جهدها في اراحتهم، وغسلت ارجل جميعهم، ونزعت ثياب السجناء منهم والبستهم جميعا ثيابا جديدة ناصعة البياض، وكأنها هيأتهم للزفاف، وقالت لهم: «تشجعوا بالرب وتقووا بما وعدنا به في انجيله. فانه تألم بجسده وفتح بذلك لنا باب الشهادة لكي نقتدي به. فلا نفزعنّ من الموت حينما يأتينا من اعداء البر. والان اجتهدوا وواظبوا على الصلاة الليلة كلها، ولا تكفّوا عن تلاوة المزامير وتأدية الحمد والمجد لله، لكي تؤهّلوا للنصيب الافضل، وهو الاستشهاد في سبيل يسوع الذي احببتموه.» ولكنها لم تطلعهم مساء على الموت الذي ينتظرهم في الصباح التالي. الا انهم تعجبوا من

---

(١) ـ لقد وضع القس سليمان الصائغ (مطران الموصل الاسبق) هذه القصة على شكل رواية اسماها «يزداندوخت، الشريفة الاربيلية» وطبعها مرتين في الموصل (سنة ١٩٣٦ و ١٩٥٣). وهي رواية نسجها حول هذه النواة التاريخية، وذلك باسلوب جميل ممتع.

تصرفها المتميز وقالوا لها: «ما هذا الامتياز الذي خصصتِنا به اليوم؟ وما هذا التحريض الملح الذي توجهينه الينا؟» فاجابتهم: «انما كان هذا نذراً قد نذرتُه، فوفيتُه الان.» ثم عادت الى منزلها وامضت ليلتها. وعند الفجر، قامت وتوجهت اليهم وقالت لهم: «صلوا الآن بقلب طاهر يطفح فرحا وبنيّة صافية خالصة. فانكم اليوم تنالون اكليل النصر، اليوم تصعدون السلّم المؤدية الى الملكوت السماوي، اليوم تخلّفون في المسكونة ذكرى عطرة، اليوم تتركون جهادكم الباسل في الدنيا، اذ تهيئون النصر بقتلكم وتختمونه بدمكم. ولكني اسألكم امرا واحدا وهو ان تلتمسوا لي من ربكم الذي احببتموه ولاجله تُقتَلون ان يمنّ عليّ بان اراكم في ذلك اليوم وادخل الى بلادكم واحلّ بالقرب من مقركم. فانا اعلم انني امرأة خاطئة، ولكني اومن بان الرب سيغفر لي اذا سألتموه ذلك.»

فاجابها الشيوخ الاجلاء منهم وقالوا لها: «اننا واثقون بان الهنا برحمته الغزيرة سيسمعنا ويكافئك على ما بذلته من المكارم لاجل اسمه في سبيل مساعدتنا طوال هذا الزمان العسر الذي اجتزنا به، وانه سيستجيب كل ما تسألينه بايمان.»

ولما كانت الساعة الواحدة من النهار، صدر الامر باقتيادهم الى الموت. فوقفت الشريفة يزدانـدوخت على باب السجن، وشرعت تقبّل يدي ورجلي كل من يخرج منهم من السجن مقيدا، حتى آخرهم. فاخذوهم الى ظاهر المدينة، وكُلّف رئيس الحكام بالاشراف على استنطاقهم وعلى قتلهم. فقال لهم بأمر الملك: «اسجدوا للشمس فتحيوا.» فصرخ القديسون كلهم بصوت عال وقالوا: «الا ترون ايها العميان والجبناء ان الذين يساقون الى الموت يكونون متوشحين بثياب الحداد وقد امتُقعت وجوههم من هلع الموت، في حين اننا لابسون ثياب الفرح ووجوهنا متهللة ومتفتحة مثل زهر الصباح؟ فافعلوا بنا ما شئتم ايها المنافقون الاثمة. فحاشا ان نتخلى عن الهنا لنسجد لخليقته. ولكننا نحتقر مملكتكم هذه ولا نطيع اوامرها، لكي نرفع بدمنا شأن ذلك الملكوت اللامنظور الذين تسرعون في ارسالنا اليه بقساوتكم. ففيه نجد الحياة والراحة الابدية، وفيه تجدون العذاب وصريف الأسنان مدى الابد.»

واذ ذاك صدر عليهم امر صارم بان يُقتلوا جميعهم بحد السيف. فقُتلوا كلهم في سبيل المسيح الههم. وفي تلك الليلة استأجرت الشريفة يزداندوخت رجالا من السوق، رجلين لكل جثة، وهيأت ثيابا من كتّان فاخر لدفنهم. فحملوهم الى بعيد وحفروا لهم مواضع بسرعة، ووضعوا كل خمسة منهم في حفرة، خوفا من المجوس.

استشهد هؤلاء المظفرون في السادس من نيسان (سنة ٣٤٦)، وكانوا مائة واحد عشر رجلا وتسع نساء.

٢٢ استشهاد الجاثليق بر بعشمين ورفاقه الشهداء الستة عشر

في السنة السادسة لاضطهادنا، وُشيَ باسقف ساليق وقطيسفون «بر بعشمين»[١] لدى الملك شابور. فنقل المجوس الى الملك: «ان ثمة رجلا قاسيا يناهض تعليمنا، ويعيد اناسا كثيرين عن ديننا، ويشغلهم عن خدمة الملك، ويحتقر الشمس والنار والماء.» فسأل الملك عن هوية هذا الرجل، فقالوا له انه ابن اخت شمعون بر صباعي وخلفه في رئاسة المسيحيين. فاغتاظ الملك لدى سماعه هذه الاقوال وامر

(١) ـ يقول ابن العبري في تاريخه الكنسي (٢، ٣٩): «انه اسم كلداني يعني ذا الاسماء الاربعة. وكان من بيث جرماي، وهو ابن اخت مار شمعون بر صباعي. انتُخب ورُسمَ سراً في ساليق في منزل احد المؤمنين. وكان دوما يحرّض الاقليروس والرهبان والاساقفة على تغيير زيهم والتوشح بثياب بيض شأن العلمانيين لعلهم بذلك ينجون من الاضطهاد الضاري الذي اثاره شابور الاثيم... وبعد ان خدم بر بعشمين سبع سنين متخفيا، بلغ خبره الى شابور الملك. فأُلقي القبض عليه بصحبة ستة عشر من الكهنة والمؤمنين، وزُجَّ بهم في السجن مدة احد عشر شهرا. وحاول شابور بشتى الوسائل ان يقنعهم باعتناق الديانة المجوسية. ولكنهم رفضوا جميع العروض. فقتلهم في كرخ ليدان في منطقة الاهواز في التاسع من كانون الثاني. واذ ذاك تخلى الاساقفة عن اقامة رئيس لهم، لانه كلما اقيم عليهم واحد، كان مصيره القتل.»

بان ياتـوه به. فأُلقي القبض على الاسقف بر بعشمين وعلى ستـة عشـر شخصـا من الكهنـة والشمـامسـة والـرهبـان من شتى الامـاكن ومن المـداين ذاتهـا. ولما ادخلوا الطـوبـاوي بر بعشمين عند الملك، قال له هذا: «ايها الشقي التعس، لماذا تجرأتم على مخالفة امري، واصبحتَ رئيسا لهذا الشعب الذي ابغضتُه لكونه يحتقر آلهتي، وبسببه قتلت شمعون الذي كنت احبه؟»

فاجابه بر بعشمين قائلا: «اذا اطعنا امرك، ترتّب علينا نبذ ايماننا كله. ولكننا لا نتخلى امتثالا لامرك عن اصغر ما في ديانتنا، فكيف بنا ان نمتثل امرك في شأن نعتبره من اكبر ما في الديانة؟» فقال له الملك: «اراك مخاصما وجاهلا وعطشانا الى الموت نظير خالك الذي باد وأباد الكثيرين معه.» فاجابه الطوباوي بر بعشمين: «اني لست عطشـانـا الى المـوت ولا تواقـا اليـه اذا تركتني اتبـع طريقتي الحقة واواصل تعليمي المستقيم. اما اذا ارغمتني بسلطتك على اعتناق الضلال، فاني لأفضّل الموت لانه حيـاة لي، واني عطشـان الى الاستشهـاد لانـه فرح لي. فمعـاذ الله ان اتخلى عن الايمان الحقيقي بالاله الواحد، كما استودَعَه اياي مار شمعون الذي هذّبني.»

فاحتدم الملك غيظا واقسم بالشمس الهه وقال: «اني سأقضي على تعليمكم في الارض وسـازيـل ديـانتكم من المسكونة.» فضحك بر بعشمين وقال للملك: «لماذا لم تأتِ بآلهيك الآخرين النار والماء وتشركهما في القَسَم مع الشمس. فلعل الثلاثة مجتمعين يسـاعـدونـك على ابادتنا من على وجه الارض، حسبما اقسمت؟» فتفاقم غضب الملك وقـال له: «انـك تتكلم هكـذا لانـك عازم على الموت، فتدفعني الى قتلك على الفور. ولكني سابقيك لاجعلك آية للرهبة والهلع، فيكون عذابك وموتك رادعا يفزع كل من يتبع تعليمك. ثم امر بزجّ الجميع في السجن وبربطهم بسلاسل ثقيلة وتكبيـدهم مرّ العـذابـات. وكان المجوس يذيقونهم اصناف العذابات من شهر شبـاط حتى التـاسع من كانون (الثاني)، متناوبين عليهم بضربات العصي والمطارق ومعـذّبين ايـاهم بالجـوع والعطش، حتى التصق جلدهم بعظمـاهم واستحـال لون وجوههم الى لون الرماد والفحمِ، وصار منظرهم قبيحا من جراء العذابات التي تكبدوها.

وفي مطلع السنة التالية، بينما كان الملك شابور في مدينة ليدان في منطقة الاهواز، أمر باحضار الاسقف بر بعشمين ورفاقه الستة عشر. فجاؤوا بهم وهم مكبّلون بالسلاسل واوقفوهم امام الملك فقال لهم الملك: «ايها الشعب الجاهل الغبي، انكم تموتون بارادتكم. فها انكم قد فنيتم وبدتم، افلا ترجعون عن غيكم؟ فاين هم الاولون الذين قُتلوا من قبلكم؟ فهل انهم عاشوا وحكموا حسب ادّعائهم، لكي تقتفوا آثارهم فتموتوا انتم ايضا كما ماتوا ولم يحيوا حسبما ظنوا؟ فأصغوا اليّ الآن ولا تحتقروا اوامري فتحيوا، وساكرمكم جميعا بالعطايا والهبات، واخصك باكرامي انت يا بر بعشمين اذا سمعتني وسجدت معي للاله الشمس.» وامر الملك على الفور فاتوه بكأس ذهبية فيها الف قطعة ذهب، وقال له: «خذْ هذه الآن لتكون مثار مجد لك امام الحاضرين، واني سازيد اكرامك وارفع منزلتك.» فقال له الطوباوي: «لماذا تحاول اغرائي مثل ولد صغير، وانت تحتقر ذاتك كطفل صغير فتستميلني بتراب يزول وبزهر يتناثر لكي اتخلى عن الهي الذي لا يزول والذي بكلمته خُلقت هذه الاشياء كلها، وبأمره تزول وتفنى جميعها. فلو اعطيتني ليس هذا حسب، بل مملكتك باسرها، لما رضيتُ بالتخلّي عن ايماني القويم.» فقال له الملك: «لا تحتقرني باعادة هذه الهبة التي اكرمتك بها، اذا كنت تريد ان تحيا انت والذين معك. واذا تجاسرت وقاومتني، فاني سانجز فيك رغبتي واشفي غليلي بشعبكم العنيد والمتمرد.» فاجابه القديس: «ان اطعت امرك هذا، فسيقول لي الله في ذلك اليوم الذي فيه تقف جميع الشعوب والامم برعدة امامه للدينونة: ايها الغبي، لماذا استبدلتني بالذهب الذي انا وهبته لشابور الملك، وضللت وراء العدم؟ فاعلم ايها الملك: اني ثابت في ايماني بثقة، ومتمسك بحقيقتي بوعي. فأنجزنّ فيّ ارادتك الشريرة القاتلة بالفعل وليس بالاقوال.» فقال له الملك: «اني حتى الآن احترمتك كحكيم بالقول والفعل. ولكني عرفت الان انك جاهل، وانك تنتمي الى ذلك الشعب الغبي. انكم لا ترضخون بالنصح واللين، ولهذا فاني ساعاملكم بالعنف والقنكم بالتأديب كيف يُساس العالم وتتم السيطرة على الدنيا.» فاجابه القديس بر بعشمين: «اننا شعب حكيم وامين قدّمنا ذاتنا للموت في سبيل الهنا الحقيقي، واحتقرنا كبرياءك بجرأتنا المتواضعة تارة والعنيدة طورا، وبها اعلنّا ان

العالم زائل، وعلّمناك انك لست باقيا فيه الى الابد. فانت تحاول اغراءنا لنبيع حياتنا الكريمة بهباتك المسكينة، ونستبدل كنوزنا المجيدة بعطاياك البخسة والزائلة مثل الهتك.» فثار ثائر الملك وقال: «اني من الان فصاعدا ساكتب الى عساكري المنتشرة في كل مكان وآمرهم بان يبيدوا من وجه الارض كل من يُدعى بالاسم المسيحي.» فاجابه بر بعشمين: «ان البسالة التي نستمدها من الرب في جهادنا في سبيله لهي اشد بأسا من جهاد عساكرك في سبيلك. واذا ظننت انك ستفنينا بالقتل وتبيدنا بالموت، فان حربتك تزيد من عددنا وسيفك يكثرنا ويقوينا. فانك لعاجز عن مقاومة امتنا. وبعد ان تلوّث يديك بدمائنا، لن يسعك بعد ذلك ان تغسلهما منها. فها ان اصدقاءنا الذين قتلتهم ينعمون الآن في العلى، واحباءنا الذين قضيت عليهم يفرحون الان ويتنعمون في الملكوت. اما انت، فازاء فرحهم وتنعمهم، ينتظرك عذاب ابدي وبكاء وصريف اسنان لا نهاية له.»

فازداد غضب الملك لدى سماعه هذه الكلمات وثار ثائره، واصدر امرا صارما بضرب اعناقهم بحد السيف. وكتب الى جميع عملائه في شتى ارجاء المملكة وقال لهم: «على كل من يحبني ويهتم بمملكتي ان يتصرف هكذا: يجب الا يوجد في ارجاء مملكتي من يُدعى مسيحيا. بل عليهم ان يسجدوا للشمس والنار والماء، وان ياكلوا دم الحيوانات. وكل من يخالف هذه الاوامر، يُقبض عليه ويُسلم الى حكام المناطق لينزلوا به ما شاؤوا من العذابات والموت.»

استشهد القديس بر بعشمين ورفاقه الستة عشر في التاسع من كانون الثاني (سنة ٣٤٧؟).

..... وظلت الرئاسة شاغرة في ساليق وقطيسفون نحو عشرين سنة، خوفا من هذا الامر العاتي[٢].

(٢) ـ في الواقع، ظلت الكنيسة الشرقية بدون رئاسة بعد موت بر بعشمين نحو اربعين سنة.

٢٣ استشهاد يعقوب الكاهن واختـه مريـم الراهبـة

في السنة السابعة من اضطهادنا ، القي القبض على يعقوب كاهن قرية «تلا شليلا» وعلى اخته مريم الراهبة ، بامر نرساي طمشابور . وكبّدهم ضربات اليمة وعذابات قاسية خالية من الرحمة بغية دفعهما الى اكل الدم ، ولكنهما ثبتا في ثقتهما بالرب ، وكانا ينظران اليه بقلب طاهر مستقيم ويدعوانه الى عونهما ويستمدان منه القوة والمساعدة .

ولما رأى الطاغية ثباتهما في الحقيقة ، امر رجلا من الاشراف اسمه مهداد ـ وكان مسيحيا بالاسم وليس بالاعمال ـ بان يخرج ويقطع رأسيهما . وفي سبيل ارضائه ، فضّل هذا البائس الموت على الحياة ، وخرج فقطع رأسيهما في قرية «تل درا» الواقعة على الزاب الكبير .

استشهد القديسان في السابع عشر من ايار (سنة ٣٤٧ ؟)

٢٤ استشهاد الراهبة تقلا ورفيقاتها الراهبات الاربع

في هذا الزمان نفسه ، وشي لدى نرساي طمشابور برجل منافق يدعى بولا (بولس) في قرية «كشنا» ، وكان بالاسم يدعى كاهنا . فقيل للحاكم ان لهذا الرجل مالا كثيرا وثروة طائلة . فارسل الحاكم جنوده على الفور واحاطوا ببيت الرجل وقبضوا عليه ونهبوا بيته واستولوا على امواله . وبسببه قبضوا ايضا على الراهبات اللواتي في قريته وهن : تقلا ومزيم ومرتا ومريم وايمه . واتوا بهم جميعا مقيدين بالسلاسل الى قرية حزة[1] . وادخلوا الرجل اولا امام الطاغية طمشابور . فقال له : «اذا امتثلت

(١) ـ كانت حزة بلدة تقع بالقرب من اربيل الحالية .

ارادة الملك وسجدت للشمس واكلت الدم ، فاني اعيد اليك اموالك . » واذ كان هذا الاثيم المنافق جائعا الى غناه وتواقا الى ثروته ليحترق بها ، امتثل امر الحاكم في كل شيء .

وحينما رأى طمشابور انه لا يجد علة لقتله ، نكّر في ان يقول له ان يقتل اولئك الراهبات ، فلعله يخجل ولا يقدم على هذا الفعل الشنيع ، فيستحوذ على امواله ولا يعيدها اليه . واذ ذاك امر بادخال الراهبات امامه . فقال لهن بصرامة : «امتثلن ارادة الملك واسجدن للشمس وتزوّجن فتخلصن من العذابات وتنجون من الموت بحد السيف . واذا لم تطعن ، فاني سانفذ فيكن ما أُمرت به ولن يخلصكن احد من يديّ . » فرفعت القديسات اصواتهن قائلات : «ايها المتكبر المتعجرف ، لا تفزعنا وتخدعنا بكلماتك المضلّة ، بل انجز سريعا ما أُمرتَ به . فمعاذ الله ان نحيد عن الهنا ونفعل ما تقوله لنا . »

حينئذ امر باخراجهن من الموضع الذي كان جالسا فيه . ثم جلدوا كلا منهن مائة جلدة . اما هن فكن يعترفن باعلى اصواتهن ويقلن : «اننا لا نستبدل الله بالشمس ، عليهن ولن نكون جاهلات وغبيات مثلكم انتم الذين تركتم الخالق وسجدتم لخليقته . » وعلى الفور صدر عليهن الحكم بالموت . وقيل لبولا المنافق : «ان تقتلْ هؤلاء الراهبات ، تستعدْ كلَّ ما أُخذ منك . » فدخل فيه الشيطان الذي دخل في يهوذا ، وخدعه ذاك الذي وسوس للاسخريوطي ، واغراه الذهب واغواه المال ، فاهلك نفسه بطمعه مثل ذاك الخائن ، فاصابه في الاخير النصيب الذي اصاب ذاك ، وجنى حبل المشنقة نظيره . ولعلّ هذا ايضا مثل ذاك انشقّ من وسطه واندلقت امعاؤه كلها[٢] . ولعل ذاك السارق ترك ارثه لهذا : فذاك قتل يسوع ، وهذا قتل المسيح في شخص العذارى . فان الذين اعتمدوا بالمسيح قد لبسوا المسيح . فاية دينونة ونقمة تصدر على كليهما . فان العدالة تكيل لهما العقاب دون قياس ، لانهما اذنبا بغير قياس .

---

(٢) - اعمال الرسل ١/١٨ .

اما بولا الجشع ، فبدافع محبة ماله الذي لم يُستَردّ اليه بامتثاله امر الحاكم الاثيم ، صلب وجهه وامسى قلبه كالجُلمود ، وتناول السيف وتجرأ فتقدم نحو البتولات . وحينما رأته الراهبات قادما نحوهن ، صرخن بصوت واحد وقلن له : «ايها الراعي الجبان ، أوَبدأتَ بذبح نعاج قطيعك ؟ اهذا هو الجسد المقدس الغافر الذي كنا نتناوله من يدك ؟ اهذا هو الدم المحيي الذي كنت تقدمه لافواهنا ؟ والآن ايضا فانما السيف الذي تمسكه سيكون سبب حياتنا وخلاصنا . اما نحن فاننا ماضيات الى يسوع الذي هو مالنا وميراثنا الابدي . واما المال الذي احببته انت ، فانك لن تكتسبه . فها نحن نسبقك الى المحكمة الالهية ، ولن تتأخر مرافعتنا عليك ، وسرعان ما يدركك عدل الله . والسبب الذي يدفعك الى قتلنا ، لن يبقى في حوزتك في الحياة . فنحن انما نموت من اجل المسيح . ولكن الويل للرجل الذي على يده نموت . فاقترب اذن ، ايها الجشع ، وكمّل بنا لائحة اخطائك ، فتبدأ منا بداية دينونتك الصارمة . هلُمَّ ايها الوقح وحلّ قيودنا سريعا وأنقذْنا من منظرك قبل ان نراك معذبا بحبل المشنقة فتتمزق اوصالك وتنذهل في ضيقك وتفيض روحك في صلبك الاليم . »

لكن الوقح لم يبالِ بهذه الاقوال ، بل اقترب ورفع السيف وضرب الراهبات الخمس وقطع رؤوسهن كسيّاف ماهر .

استشهدت هؤلاء الراهبات في السادس من حزيران (سنة ٣٤٧ ؟) .

. . . . . الم يكن هذا الغبي قد قرأ او سمع ما جاء في الانجيل عن الغني الذي درّت عليه ارضه غلّات وافرة فقال : «يا نفسي ، كلي واشربي وتنعّمي ؟» وما ان انهى كلامه هذا حتى قيل له : ايها الجاهل ، في هذه الليلة تُطلب نفسُك منك ، فالذي اعددتَه لمن سيكون ؟[٣] . فحدث لهذا الكاهن المنافق ما حدث لذاك الغني الجاهل . فحينما ظن انهم سيعيدون اليه امواله التي في سبيلها هلك نفسه ، اذا به يُقتَل في تلك الليلة نفسها . فقد خاف الحاكم من ان تؤدي جسارة هذا الرجل الى

(٣) - لوقا ١٢/١٧ - ٢١ .

رفع الامر الى الملك ، فيؤخذ ما كان قد سلبه منه . فارسل الى السجن بعضا من اعوانه ، ووضعوا حبلا في عنق الرجل وعلّقوه مشنوقا ، ولم يُكشف أمرُ قتله لاحد . . .

فما اشبه موته بموت يهوذا ، وما اشبه جسعهما ! ولعل يهوذا معذور اكثر من هذا . فان ذاك قد ندم فشنق نفسه ، اما هذا فلم يخجل فشنقه آخرون . ولان عينه نظرت الى الدم البريء الذي سفكه ، فان كل حكم او عذاب يأتيه هو اقل من النقمة التي يستحقها .

٢٥ جهاد الشهيدين :

مار بهنام واخته سارة والشهداء رفاقه

حينما توفي قسطنطين الثاني (سنة ٣٤٠) ابن الملك قسطنطين الكبير، خلفه على عرش مملكة الروم يوليانس المسمى بالجاحد . وما ان استوى هذا على العرش ، حتى شرع يضايق المسيحيين . فكتب رسائل الى مقاطعات مملكته كلها تقضي بارغام المسيحيين على السجود للاصنام وتقديم القرابين للآلهة ، وبقتل كل من يرفض ذلك . ووصلت هذه الرسائل الى آمد (دياربكر) ايضا . وهناك مَن أثَّر فيهم الخوف فجحدوا المسيح ، وغيرهم ازدروا العذابات والضيقات وفضلوا الموت في سبيل المسيح على عبادة الاصنام . وكان في مدينة آمد في ذلك العهد اديرة كثيرة وشهيرة مزدحمة برهبان ذوي سيرة فاضلة وعزيمة لا تلين . فلما رأوا ان سيف الملك الاثيم مستلّ على المسيحيين ، استاؤوا وامتلأوا غيرة الهية . فاجتمعوا من جميع الاديرة الى دير زوقنين[1] ، وشجعوا بعضهم بعضا قائلين : «خير لنا ان نموت من اجل المسيح الذي بذل ذاته واحتمل الالم والموت لاجلنا . فاذا كنا ، ايها الاخوة ، نتألم

(١) ـ كان دير زوقنين ديرا عظيما وشهيرا في تاريخ الكنيسة السريانية ، وكان يقع بظاهر مدينة دياربكر .

مع المسيح ، فاننا ستتمجد معه ايضا ، كما قال الرسول»[٢] .

وسمع حاكم المنطقة ان ثمة اجتماعا يعقد بين الرهبان ، وظن انهم ينوون مقاومة امر الملك . فارسل يستدعي بعضا منهم وبدأ يخاطبهم بلطف ويقول لهم : «تعلمون ، ايها الرهبان ، ان الملك قد اصدر امرا يقضي بقتل كل من لا يقرب الذبائح للآلهة . ولكونكم رؤساء المسيحيين ، فلا اريد ان تموتوا بحد السيف ، بل انكم اذا خضعتم لي وانجزتم امر الملك ، فستنالون اكراما وهبات كثيرة . اما اذا تمسكتم بمذهبكم ، فاعلموا ان حياتكم ستفنى وسط عذابات متنوعة . » الا ان خدام المسيح اجابوه بصوت واحد وقالوا : «اننا لن نرضخ لاغراءاتك ولن ننجز امر الملك الاثيم . » ولما رأى الحاكم ثبات عزيمتهم ، اطلق سبيلهم ريثما يخبر الملك بشأنهم . فكتب الى الملك رسالة يقول فيها : «الى مولانا الملك القابض على زمام العالم ، دمتَ الى الابد . لقد حكمتْ جلالتكم بالموت بحد السيف على كل من لا يقرب الذبائح للآلهة . وفي مدينة آمد الآن جماعة كبيرة من الرهبان يبدولي انهم مستعدون للموت في سبيل ديانتهم . فاذا لا تساندونا بقوة من عندكم ، فنحن عاجزون عن مجابهتهم بالنظر الى كثرة عددهم . واذا لا يموت هؤلاء الرجال سريعا ، فانهم سيجتذبون اناسا كثيرين الى ضلالهم . فمُرْ يا سيدي بارسال جنود من الرومان لكي نبيدهم من هذه الولاية . »

حينما سمع الملك الاثيم هذا الخبر ، احتدم غيظا ، وارسل على الفور جنودا كثيرين من الروم للقضاء على عبيد المسيح . وما ان وصل خبر مجيء الجنود الى المنطقة ، حتى فر اولئك الرهبان ، عملا بكلام الرب الذي قال : «حينما يضطهدونكم في هذه المدينة ، فاهربوا الى اخرى»[٣] ، و«لا تقاوموا الشرير»[٤] . ولما وصل جنود الملك الاثيم ودخلوا الى المقاطعة التي كان الرهبان فيها ، شرعوا يطوفون البلاد كلها ويقتلون بغير رحمة كل من يجدونه فيها . فاستشهد كثيرون في سبيل

(٢) ـ روم ٨/ ١٧ .

(٣) ـ متى ١٠/ ٢٣ .

(٤) ـ متى ٥/ ٣٨ .

المسيح : هذا هو سبب تشتت الرهبان الذين كانوا هناك .

وكـان في تلك البـلاد ناسـك اسمـه متى ، وكـان معروفا وشهيرا في المنطقة كلها بالعجائب والآيات الكثيرة التي كان الرب يجريها على يده . فلما رأى ان الاضطهاد آخذ في التفاقم ، غادر الموضع ، وصحبه بعض من الاخوة الساكنين معه في الدير. وجـاؤوا الى منطقـة نينـوى التي كانت خاضعـة لمملكـة الفـرس . وكان المسيحيون المضطهدون ينعمون آنذاك بشيء من الهدوء والراحة . ولهذا فقد اراد متى ورفاقه ان يأتوا ويسكنوا هناك . وكان في المنطقة جبل كبير لا تسكنه سوى البهائم والوحوش . . فصعـد القـديس الى هذا الجبـل مع رفـاقـه الـذين كانوا هم ايضا من المتوغلين في النسك . وما ان استقروا هناك زمانا يسيرا ، حتى ذاع خبر متى في البلاد كلها . وشرع جميـع المصابين بمختلف الامـراض يقصـدونـه فينـالـون الشفاء منه . وكان الرهبان يعيشـون بالحسنـات التي تأتيهم من المسيحيين القادمين الى زيارتهم . فتحقق فيهم كلام الـرب الـذي قال : «لا يمكن ان تخفى مدينـة وهي مبنيـة على جبـل ، ولا يوقد سراجٌ فيوضع تحت المكيال»[٥] . ومنذئذ ازداد عدد المرضى المتوافدين عليه ، وكان جميعهم ينالون الشفاء بصلوات القديس متى .

وبلغ خبر عجـائب القـديس الى مسـامـع سنحـاريب امير منطقـة آثـور ، وكان مجـوسيـا . ومـا ان سمـع بذلـك ، حتى شرع يبحث عنـه ، اذ كان له ابنة مصابة بداء البـرص منـذ سنـوات . وقـد بذل الاطبـاء قصـارى جهودهم في معالجتها ، ولكن دون جدوى ، فان داءها كان يزداد تفاقما . لذا فما ان سمع الامير بوجود الناسك حتى سأل بعض المسيحيين عن صحة الاخبار التي وصلته وعن موضع سكنى القديس . فخاف المسيحيون وظنوا انه يريد الايقاع به ، لذلك اجابوه وقالوا له انهم لا يعلمون شيئا عن هذا الرجل . وكان هذا تدبير النعمة الالهية التي كانت مزمعة ان تكشف عن القديس للعالم بوساطة ابن الامير ذاته الذي كان عتيدا ان يؤمن بالمسيح على يد القديس متى .

---

(٥) - متى ٥/١٥ .

كان لسنحاريب ابن شاب يدعى بهنام ـ ومعناه بالفارسية الاسم الحسن ـ . فاراد الشاب الخروج يوما الى الصيد، كعادة ابناء الامراء. فترك قصر والده يصحبه كثير من الجنود والخدم، من الشباب امثاله. وبعد أن امضوا يومين في صيد الوحوش، ظهر امامهم بغتة ايل كبير. فاخذوا يطاردونه حتى وصلوا الى لحف الجبل الذي يسكنه القديس متى. ولم يستطيعوا ادراك الايل لانه فر وارتقى قمة الجبل، وظلوا هم عند اللحف خائبين. ولما حلّ الظلام، اضطروا الى المبيت في ذلك الموضع، وكانت بركة ماء على مقربة منه. وبعد ان استراحوا قليلا، استسلموا الى الرقاد فناموا نوما عميقا. وعند منتصف الليل، ظهر بغتة ملاك لبهنام وقال له: «انهض يا بهنام.» فافاق الفتى من نومه مذعورا وهو لا يدري من الذي خاطبه. فشجعه الملاك وقال له: «لا تخف يا بهنام». فاجابه الشاب: «من انت يا سيدي؟» قال له الملاك: «انا ملاك الرب، وقد ارسلني الله لأخاطبك، لانك مزمع ان تكون لله اناء مصطفى، وهو مزمع ان يُظهِر بواسطتك آيات وخوارق لا تُحصى.» فقال له الشاب: «وكيف اتحقق مما تقوله؟» فاجابه الملاك: «ها ان في الجبل الذي تراه امامك رجلا عجيبا قديرا يجري الله على يده آيات وعجائب. فاذهب اليه وهو يهديك الى الصراط المستقيم الذي يؤدي بالسالكين فيه الى الحياة الابدية.» قال له الملاك هذه الكلمات، ثم اختفى.

وكان الشاب مترددا في شأن ما قاله له ملاك الرب. وفي الصباح، دعا بعضا من مرافقيه وروى لهم ما رآه وسمعه من الملاك الذي ظهر له، وقصّ عليهم كيف اطلعه على الرجل الساكن في الجبل والذي على يده تجري الخوارق والمعجزات. وكان بين مرافقيه رجل مطلع بعض الشيء على شؤون المسيحيين، فقال له: «ان ما قاله الملاك لك بشأن هذا الرجل لأمر اكيد، ياسيدي. فقد سمعت ذلك من بعض المسيحيين الذين نالوا الشفاء منه.» فعادت الطمأنينة الى نفس بهنام، وتحقق من صحة ما قيل له، وشرع بالصعود الى الجبل دونما ابطاء، برفقة بعض من اصحابه. وساعدتهم النعمة الالهية لكي يجدوا بيسر تلك المغارة التي كان القديس يسكنها. ولما رآهم القديس قادمين اليه من بعيد، ألهمه الروح ليخرج الى ملاقاتهم. فدنوا منه وسلموا عليه، فاستقبلهم بفرح، وعلم بقوة الله ان الرب قد دعاهم ليكونوا آنيةً مختارة تصلح لخدمته. ولما جلسوا، شرع القديس يتحدث اليهم ويسألهم عن

سبب مجيئهم الى هذا الجبل الوعر الذي اتعبهم وارهق قوتهم، وقال لهم: «يبدو لي انكم جنود مكلّفون بخدمة ملك ارضي.» ففتح الشاب بهنام فاه واخذ يتكلم قائلا: «يا سيدي، انا ابن الملك سنحاريب الذي يسيطر على مملكة الفرس. وهؤلاء الذين تراهم هم عبيدي.» ثم روى له قصة الصيد والايل والملاك الذي ظهر له في الليل واطلعه على امور مستقبله وهداه في المجيء اليه...

ولما سمع القديس ما قاله الشاب، تعجب من كلام النعمة الذي يخرج من فمه، وشرع يكلّمه من الكتب المقدسة عن كل ما صنعه الله للبشر، وكيف كلّمهم جيلا فجيلا وبمختلف الوسائل، بواسطة الابرار والصدّيقين والانبياء والقديسين، سعيا وراء خلاصهم. وحينما تمرد البشر ورفضوا عبادة الخالق وانجرفوا نحو عبادة الاصنام، ارسل الله ابنه الوحيد الحبيب، وولد من امرأة وظهر للعالم، وعاش كانسان، وصنع قوات كثيرة: طهّر البرص، وفتح عيون العميان، واقام الموتى، وشفى المخلّعين، وسار على امواج البحر، واشبع الالوف من خبز قليل... الا ان اليهود الاشرار، حينما عاينوا عجائبه الكثيرة، حسدوه وحاولوا قتله وافلحوا في صلبه على خشبة، ثم دُفن. ولكونه الها، فقد قام من القبر في اليوم الثالث. ولدى صعوده الى السماء، ارسل رسله القديسين واولاهم سلطة صنع العجائب مثله واوصاهم قائلا: اذهبوا الى العالم كله، وتلمذوا وعمّدوا جميع الامم باسم الآب والابن والروح القدس، وكل من يؤمن ويعتمد يخلص... وبعد ان اوصى تلاميذه بهذه الامور، صعد الى السماء، وهو الآن جالس على عرش مجده في اعلى السموات، وله يسجد الملائكة والبشر. وهو الذي ارسل ملاكه وكلّمك، وسيتحقق كل ما قاله لك.»

وكان بهنام يصغي بلذة الى ما يقوله الناسك. ثم قال للقديس: «اريد ان اتحقق من هذه الامور بالخبرة. فان لي اختا برصاء. فاذا ابرأها الله الذي تعبده، علمتُ حقا انه الاله الحقيقي ولا اله سواه.» فقال له القديس: «ان آمنتم حقا، فكل شيء مستطاع لمن يؤمن.» ثم كلّمه الناسك وارشده وشرح له امورا كثيرة عن الديانة المسيحية. فقال له بهنام: «اسألك يا سيدي ان تأتي معي الى هناك.» فقال له القديس: «بل اذهب واجلب الصبية الى ههنا.» فاجابه بهنام: «كيف يمكن للصبية ان تأتي الى ههنا. انها لا تستطيع ان تفعل ذلك خوفا من والدي ونظرا الى ما تعانيه

من الالام الشديدة . فاتوسل اليك ان تصنع هذا المعروف الى عبيدك فتنزل معنا ، واني لمؤمن بان الصبية ستنال الشفاء والراحة بقدرة الله الذي تعبده . » فلما سمع القديس كلام بهنام ، لبى رغبته وهمّ بالذهاب معه بفرح ، امتثالا لكلام الرب الذي قال : كل من سألك فأعطه ، ومن طلب منك فلا تمنعه[٦] .

واخذ القديس متى واحدا من الاخوة معه وانحدر من الجبل مع بهنام واصحابه . وبعد مسيرة يوم واحد ، وصلوا الى سهل قريب من مدينة آثور . وفضّل القديس المكوث هناك وامتنع من الدخول الى المدينة . ولم يشأ بهنام ان يضغط عليه ، بل امر بعضا من جنوده بالبقاء لدى القديس ، ريثما يصل هو الى بيت والده ويحاول اخراج اخته ، ليأتي بها الى هذا الطبيب الكبير الذي يشفي النفوس والاجساد . ولما دخل بهنام وجنوده الى المدينة ، اوصاهم بالا يكشفوا السر لاحد . ولما مثل امام والده ، فرح هذا به فرحا عظيما واخذ يقبّله ويلاطفه وكأنه لم يره منذ زمان طويل ، ولم يدعه يغيب عن انظاره طوال ذلك النهار لفرط حبه له . اما بهنام فكان على عجل من امره ويريد العودة الى القديس في اسرع ما امكن . ولما حل المساء ، استأذن الملكَ أباه في الذهاب لزيارة والدته واخته . فأذن له الملك . فذهب بهنام الى والدته التي غمرته بالحنان والقبلات .

وفكر بهنام انه من الخير ان يكشف الامر لوالدته حتى يتسنى له اخذ اخته والخروج من المدينة خفية والوصول الى القديس . فدنا من والدته بحرص وروية وقال لها : «اسمعيني يا امي الحبيبة ، فان لي كلاما افضي به اليك . » فقالت له امه : «تكلم يا ابني الحبيب . » فقال لها : «لقد صادفت رجلا من المسيحيين الساجدين لاله السموات ، وهو طبيب يشفي جميع الامراض دون دواء . وبينما كنت نائما ، ظهر لي رجل نوراني قال انه عبد اله المسيحيين ، واطلعني على ذلك الرجل الذي ذكرته لك ، وهو قد وعدني بان يشفي اختي . » وحينما سمعت الام كلام ابنها هذا ، تعجبت وتحيرت . واذ كان عزيزا عليها جدا ، لم تشأ ان تقاوم رغبته ، ولا سيما انها سمعت عن شفاء ابنتها . فسعت في تسهيل الامر بفرح .

(٦) ـ متى ٥/٤٢ .

وفي الصباح الباكر، خرج بهنام من المدينة مع اخته والجنود الذين كانوا قد رافقوه سابقا، وساروا حثيثا حتى بلغوا القديس الذي كان عاكفا على الصلاة آنذاك. ولما انهى صلاته، دنا منه بهنام وسجد امامه وقال له: «هوذا قد اتينا بأمتك، فاسمح يا سيدي بان تمثل امامك.» فاتوا بها واوقفوها امامه. وركع القديس وصلى الى الله قائلا: «ايها الرب الاله القوي الجبار، الرهيب والمجيد وصانع المعجزات، الذي خلقت السماء والذي تطيعك عناصر الكون كلها . . . نتضرع الى رحمة نعمتك ان تعطينا الآن مساعدة مواهبك الالهية، فتشفي امتك هذه من مرضها، لكي يعرف جميع الناس انك انت الاله الحق وحدك ولا اله اخر سواك . . .».

ولما انهى الطوباوي صلاته، رفع عينيه الى السماء وقال: «ايها الرب الاله، اسمع صلاة عبدك الخاطىء.» ثم غرز عصاه في الارض وقال: «لكِ اقول ايتها الطبيعة الصماء، بقوة ذاك الذي بسطك على المياه السائلة، ان تفجّري لنا ماء في هذه الساعة.» واذا بالارض تنشق وتتدفق منها المياه. فامسك القديس بيد الفتاة وقال لها: «اكفري بالشيطان وآمني بالمسيح، لكي يتم الشفاء لجسدك والتطهير لنفسك.» فقالت الفتاة: «اني اكفر بالشيطان وبكل من يخدمه، واكفر بالآلهة الكاذبة وبجميع الذين يسجدون لها، واعترف واومن بيسوع المسيح الذي تبشّر به، وبأبيه وبروحه القدوس.» فوضع القديس يده اليمنى على رأسها وقال: «اعتمدت سارة باسم الآب والابن والروح القدس»، وغطسها في الماء ثلاث مرات. وما ان صعدت من الماء حتى زال برصها بقوة الله التي نالتها من مياه العماد، وكأن جسمها لم يُصَبْ بالبرص ابدا. وشرع جميع المشاهدين يرفعون المجد الى الله ويقولون: «ما اعظمَ اله المسيحيين الذي يصنع مثل هذه العظائم على يد عبده متى! انه حقا اله السماء والارض، وهو الذي يضرب ويشفي ويميت ويحيي.»

اما القديس فقال لهم: «اذا آمنتم من كل قلبكم، فاقتبلوا رسم العماد المقدس، لتصبحوا من قطيع المسيح وورثة وابناء في ملكوته.» فاجابه بهنام ورفاقه بصوت واحد وقالوا: «اننا نؤمن ونعتمد باسم الآب والابن والروح القدس، الاله الواحد الحق صانع العجائب.» واذ ذاك شرع القديس يمنحهم العماد المقدس واحداً فواحدا. وبعد ان اعتمدوا، علّمهم الصلاة الربية وحرّضهم على التمسك بالديانة

المسيحية، وحذّرهم من العودة الى عادات المجوس ومن تقديم الذبائح للشياطين. فقبلوا بفرح كل ما قاله لهم القديس. وأنبأهم القديس ايضا بما سيحتملونه من الآلام في سبيل المسيح وقال لهم: «يا اولادي، احرصوا على ما قد نلتموه، فانكم بعد زمان يسير ستنتقلون الى المسيح الذي آمنتم به.» وكان يشير بذلك الى الاستشهاد الذي سينالونه بحد السيف. واجاب بهنام وقال للطوباوي: «لو اضطررنا الى احتمال الف موت من اجل المسيح، لما انكرناه.» وكذلك قال جميع الذين اعتمدوا معه. فاستودعهم القديس نعمة الله واطلقهم من عنده. فعادوا الى مدينتهم والفرح يغمر قلوبهم، وهم يمجدون الله على جميع النعم التي منّ بها عليهم.

ولما سمع الملك ان ابنته قد شفيت من مرضها، فرح فرحا عظيما وامر باحضارها. وحينما مثلت بين يديه ورآها، انذهل من هذا الامر العجيب. واخذ يسألها ويقول لها: «كيف شفيت يا ابنتي؟ ومن الذي شفاك؟» فاجابته: «ان الله خالق السماء والارض هو الذي منح الصّحة لجسدي والشفاء لنفسي على يد عبده القديس متى.» فتساءل الملك بشيء من الاسى عن معنى تلك الكلمات. فاردفت الفتاة وقالت لابيها بحكمة: «يا سيدي، لقد آمنا انا واخي بذاك الاله الذي شفاني، واعتمدنا باسمه، واياه نعبد من الآن.. اما الاصنام الصماء فاننا نزدري بها ونحتقرها.» فاثارت تلك الكلمات غضب الاب على ابنته وامر باخراجها من عنده.

وفي صباح اليوم التالي، جمع الملكُ كل عظمائه وعرض الامر امامهم واستطلع رأيهم. فقالوا بضرورة احضار الولدين بهنام واخته سارة، لكي يحاولوا ردّهما عن فكرهما. فاستحسن الملك هذا الرأي، وامر باحضارهما. ولما مثل الولدان امام الملك وعظمائه، شرع الملك يخاطبهما ويقول: «الا تعلمان يا ولديّ الحبيبين انه لا اله الا الآلهة التي نحن نسجد لها، وهي التي خلقت السماء والارض. لذا ينبغي السجود لها وليس لانسان مصلوب يتبعه المسيحيون بغباوة.» فاجابه بهنام بدافع من الروح القدس وقال له: «اننا لا نسجد لآلهة صماء مائتة صنعتها ايدي البشر، ولها عيون ولا تبصر، وآذان ولا تسمع، ومثلها يكون صانعوها وجميع المتكلين عليها»[٧].

(٧) ـ مزمور ١١٤/٤ ـ ٨.

ولما سمع الملك كلمات ابنه هذه قال: «اراك يا بهنام قد ضللت بسحر النصارى. فبحق كيوان الاله العظيم وبيل وبيلتي، هؤلاء الآلهة الذين خلقوا العالم، انكما ان لم تعودا عن رأيكما الفاسد هذا الى السجود للآلهة وتقديم الذبائح لها كعادتكما، فاني سابيد حياتكمَا عن وجه الارض شر ابادة. ولا تظنا اني مشفق عليكما لكونكما ولديّ، فانكما لستما أحبَّ اليّ من آلهة الارض كلها.» حينئذ اجابت سارة بحكمة وقوة وغيرة الهية وقالت للملك: «الا ترى التغيير الذي طرأ على جسمي بالشفاء الذي نلته؟ اذن حقا انت اقلُّ عقلا من آلهتك. فهذه انما هي حجارة واخشاب، اما انت فبارادتك حرمت ذاتك من معرفة الناطقين. فنحن اذن نكفر بك وبآلهتك.» فاحتدم الملك غيظا وامر باخراجهما من امامه ريثما يفكر في طريقة القضاء عليهما.

ولما خرجا من عند الملك، دخلا على امهما الملكة التي كانت منذ مدة قد ايقنت من حقيقة الله، ولكنها كانت تخفي ذلك خوفا من الملك. فشرعت الوالدة تخاطب ولديها وتقول لهما: «يا ولديّ الحبيبين، أشفقا على جمال شبابكما، لئلا يقضي عليكما الملكُ ابوكما بسورة غضبه.» فأجاباها قائلين: «لقد كفرنا بالاب وبالام، لان المسيح الذي آمنا به قال: «من لم يبغض اباه وامه واخوته واخواته وحتى نفسه، لا يستطيع ان يكون لي تلميذا»[٨]. لذا فاننا نزدري بجميع العذابات في سبيله، ولا يفصلنا عن محبته لا السيف ولا النار ولا العلى ولا العمق[٩]. وكانت والدتهما منذهلة بهذه الكلمات، والالم يحزُّ نفسها خوفا على فقدانهما، عالمة ان قصاص الموت ينتظرهما ان لم يذعنا لارادة الملك ويسجدا للآلهة.

وفي اليوم التالي، استوى الملك على عرشه واستدعى جميع عظمائه ومستشاريه وقال لهم: «ماذا نصنع بهذين الولدين؟» فقالوا له: «لا تسرع ايها الملك في ابادتهما، بل نرى ان تدعو جلالتكم الى اقامة عيد فيه تُقرَّبُ التقادم للآلهة، ويدعى الولدان ايضا للاشتراك في هذه العبادة، واذا رفضا، اكملتَ فيهما ارادتك.» فاستحسن الملك هذا الرأي. وفي الغد، اقام الملك احتفالا للآلهة، وقرّب لها

(٨) ـ لوقا ١٤/٢٦.

(٩) ـ طالع روم ٨/٣٨ـ٣٩.

الذبائح والقرابين، واجتمعت المدينة كلها للاشتراك في هذا الاحتفال. ودُعي الولدان ايضا الى الاحتفال، وشرع الملك يخاطبهما قائلا: «الا تريان ان المدينة باسرها تكرم الآلهة وتسجد لها؟ افتكونان وحدكما غريبين عن هذا؟ وكان من الاجدر بكما ان تكونا السبّاقين في ذلك بصفتكما رؤساء الشعب وولدي جلالتنا. فاقتربا اذن وقدّما القرابين للآلهة ولا تكونا سبب عار لنا امام هذا الحشد كله وامام عظماء مملكتنا.» فاجابه الولدان: «لقد قلنا لك اننا لا نسجد لآلهتك ولا نرضخ لمشورتك، فانه مكتوب: ان الآلهة التي لم تصنع السماء والارض يجب ان تُبادَ من على وجه الارض. اما نحن، فالهنا هو رب السماء والارض، وله يجب ان تخضع كل الكائنات لانه هو الذي خلقها.» فاحتدم الملك غيظا لدى سماعه اهانة الآلهة، وامر بقطع رأسيهما. وبالجهد الجهيد توصل العظماء الى صده عن تنفيذ الامر قائلين له: «لا تغضب عليهما ايها الملك، فانهما صبيان لا يعرفان ماذا يقولان. فاصبر عليهما لعلهما يرعويان.»

وما ان خرج الطوباوي من امام الملك، حتى اجتمع هو واخته برفاقهما الذين اقتبلوا العماد معهما. وكانوا هم ايضا مستعدين لبذل حياتهم في سبيل المسيح دون السجود للآلهة. فحرّضهم بهنام على الثبات في عبادة الاله الاوحد وقال لهم: «تعلمون، يا احبائي، ان والدي الملك مزمع ان يقتلنا. بيد انه ينبغي لنا ان نصل الى ابينا ومرشدنا مار متى لكي يزوّدنا بصلواته وببركاته.» فوافق الجميع على اقتراح بهنام، وهيأوا الخيل ولوازم السفر، وخرجوا من المدينة خفية، وساروا الى ان وصلوا الى تل قريب من المدينة وحلّوا هناك للاستراحة. فقيل للملك ان ابنه وابنته اخذا معهما زمرة من العبيد المسلحين وخرجوا من المدينة. فظن الملك ان في الامر تمردا وعصيانا مسلحا. فغضب جدا وأمرَ بتجنيد فرسان كثيرين مدججين بالسلاح لملاحقتهم، واوصاهم بالا يعودوا الا بعد القضاء عليهم. واقسم بآلهته انهم اذا عادوا دون ابادتهم على بكرة ابيهم، فانما ذلك سيدل على خيانتهم ومن شأنه ان يجلب عليهم الموت الزؤام.

فامتثل الجنود أمرَ الملك وساروا مسرعين في اثر بهنام وصحبه الذين لم يكونوا بعد قد غادروا التل الذي استراحُوا فيه. وما ان لحقوا بهم حتى انقضّوا عليهم

كالذئاب المفترسة، وذبحوهم بلا رحمة. غير انهم لم يتجاسروا على قتل بهنام واخته سارة، بل استبقوهما راجين ان الملك سيندم على قتلهما فيصدر امرا بالعفوا عنهما.

اما بهنام البطل الصنديد فقال للقتلة: «الا عجِّلوا في تنفيذ امر الملك لئلا ينالكم عقاب الموت.» فانذهل القتلة من عزيمة بهنام التي لم ترتخ ولم تلنْ ازاء مقتل اصحابه اجمعين، بل كان يزداد فرحا وبهجة امام فكرة الموت. اذ ذاك امر القائد احدَ جنوده قائلا: «اسرع واقطع رأسه ورأس اخته، لئلا يغضب الملك علينا فيعاقبنا بالموت على عدم امتثالنا اوامره.» وعلى الفور همّ الجلاد بقطع رأسيهما. فالتمس بهنام منهم ان يمهلوه بعض الوقت ليصلي. فأمهلوه. فعكف بهنام مع اخته سارة على الصلاة وشرع يقول: «ايها الرب الاله القدير، يا خالق الكائنات كلها، يا من تخضع لسيادتك جميع قوات السماء وربوات الملائكة، يا من تقبل بمحبتك للبشر الهدايا الصغيرة التي يقدمها لك الناس، وتغفر خطايا العائدين اليك من كل قلبهم، وتزيل وتمحو بجودتك نقائص التائبين اليك وزلاتهم، كما قلت في الانجيل انه سيكون فرح عظيم بخاطىء واحد يتوب[١٠]. ايها الرب محب البشر، ها نحن عبيدك الضعفاء قد عدنا من عبادة الاصنام الى معرفة الوهيتك السامية، واقتبلنا رسم المعمودية المقدسة على رجاء الحياة العتيدة. وعلى هذا الرجاء، قد ازدرينا بالحياة الزائلة واحتقرنا المملكة الزمنية في سبيل الملكوت السماوي. فنسألك يارب، الا ترذلنا نحن عبيدك، بل تقبّل دمنا كذبيحة طاهرة وقربان ذي عرف زكي. ونبتهل اليك يا رب ونتضرع الى نعمتك ان تبعد جميع الآفات والكوارث عن البلاد التي تكرم اسمك واسم عبيدك الضعفاء، وان تمنح سكانها جميع النعم والبركات، وتنجّيهم من كل الاضرار الجسدية والروحية...».

وسُمع صوت من السماء يقول: «لقد سُمعتْ صلاتك ايها العبد الصالح بهنام، واني امنحك اكثر مما سألت. ولانك تخليت عن المملكة الارضية واحببت اسمي، هلمّ ادخل ورث الملكوت السماوي الذي لا يزول ولا يحول». فغمر قلبَ القديس فرحٌ عظيم، ورسم اشارة الصليب على جبينه، وفعلت سارة مثله، ثم جثيا على

(١٠) ـ لوقا ١٥/٧.

ركبهما ومدا عنقيهما للسيف وشخصا بانظارهما الى السماء قائلين: «يا ربنا يسوع المسيح، تقبّل ارواحنا، ولا تحسب على والدينا هذه الخطيئة، بل ارجعهما الى معرفتك والى الايمان بك.» واذ ذاك قطع السيف رأسيهما وضمهما الى رفاقهما المقتولين. . .

وبعد ان نفّذ الجنود مهمتهم الدموية، تركوا اجساد الشهداء مثل كومة حجارة نفيسة على ذلك التل وعادوا مسرعين الى المدينة، واخبروا الملك بما فعلوا. ولم يندم الملك على مقتل ولديه الحبيبين، بل على النقيض من ذلك ازداد قلبه قساوة، وامر الجنود الذين قتلوهم بان يأخذوا نفطا وكبريتا ونارا وحطبا وان يذهبوا ويحرقوا اجساد الشهداء لكي لا يبقى منهم شيء في العالم. ولما وصل الجنود الى موضع المجزرة، شاهدوا اجساد القديسين تتلألأ مثل اشعة الشمس من خلال السحب الممطرة. وحينما جمعوا الحطب وهمّوا باضرام النار، ارتجت الارض وحدث زلزال شديد واستحوذ الهلع على جميع الحاضرين هناك، وانفتحت بغتة تحت موضع جثث القديسين هوة واحتوت الارض تلك الذخائر لئلا يحرقها الاثمة. فاستولى الرعب على قلوب الجنود وهربوا مرتاعين، ودخلوا المدينة ورووا للملك كل ما حدث. فصرخ الملك صرخة عالية وقال: «ما اعظم انتصار آلهتنا! فانهم لم يؤهلوا اجساد هؤلاء المتمردين لان تحترق بالنار، بل اخفوها في اعماق الارض المظلمة، لئلا يراها البشر.»

وكان استشهاد هؤلاء القديسين في العاشر من كانون الاول (سنة ٣٥٢).

وما ان مضت ايام قلائل، حتى انزل الله بالملك سنحاريب عقابا شديدا اذ سمح بان تعتريه روح شريرة. فكان يولول ويصرف اسنانه ويمزّق ويعضّ جسمه. واستمر على تلك الحال اياما عديدة. الا ان الله الرحيم ارسل ملاكه فتراءى لزوجة الملك في الحلم وقال لها: «لا تخافي، فان زوجك الملك سينال الشفاء.» وكانت الملكة مع الحاشية واهل البلاط في حزن واسى عميقين على الملك، فقالت للملاك: «من انت؟» فقال لها: «انا عبد الله العلي العظيم، وقد أرسلتُ سابقا الى ابنك بهنام وأرجعتُه من ضلال عبادة الاصنام الى معرفة الاله الحق الاوحد. وهو الآن عند الله وعلى رأسه تاج المجد. وعظامه عتيدة ان تصبح ينبوع خيرات لجميع المرضى

والمتضايقين . فاذا شئتم ان تؤمنوا بالله وتنبذوا عبادة الاصنام ، فسيكون خلاص لكم ايضا وشفاء للملك من هذه العلة التي اصابته . » فقالت له : «وماذا علينا ان نفعل؟» فاجابها الملاك : «ان تأخذي زوجك الملك الى المكان الذي فيه قُتلَ الشهداء القديسون ، وهناك يُقال لكم ما يجب فعله لخلاص حياتكم . » وعند الصباح ، اخذت الملكة زوجها في عربة يحرسها جنود كثيرون . ولدى وصولهم الى الموضع ، نزلوا عند ثغرة تلك الهوة وظلوا هناك حتى المساء . ولما حلّ الظلام ، شرعت الملكة تناجي ابنها سرا وتقول له : «يا ابني الحبيب ، اغفرْ لنا ما اخطأنا به اليك ، وساعد اباك المعذب بهذا الداء ، حتى اذا ما زال عنه الالم ، نؤمن نحن ايضا بالله ونحظى معكم بميراث السماء . » وما ان قالت هذا ، حتى استحوذ عليها نوم عميق ، وتراءى لها الفارس المغوار بهنام وهو متوشح بالنور ، وعلى رأسه اكليل المجد ، وقال لها في الحلم : «اذا شئتم ان تنالوا الشفاء ، استدعوا رجل الله مارمتى الساكن في الجبل الذي تجاهكم ، وعلى يده سيكون اهتداؤكم الى الله وتنالون شفاء النفس والجسد وتتحررون من عبودية الشيطان : وسيتحقق لكم هذا حينما تعودون الى الله وتنبذون عبادة الاصنام . »

وفي الصباح ، استيقظت الملكة وقد اعتراها الذهول من كل ما قيل لها في الحلم . واذ كانت قد اختبرت قوة صلاة القديس متى حينما شفى ابنتها ، لم تساورها الشكوك في هذا الامر ، فدعت احد الامناء وروت له كل ما ظهر لها في الحلم وقالت له : «خذ معك عاجلا عددا من الجنود ، واذهب واتِني بالقديس متى ، وهو سيشفي الملك من دائه . » فنفّذ امرها على جناح السرعة وتوجه مع الجنود الى الجبل ، وافلحوا في العثور على مغارة القديس ، فوجدوه هناك مع رهبانه . وبعد ان حيّوه ، اخبروه بامر استشهاد القديسين وبمرض الملك . فأدى القديس الحمد لله على عظيم نعمته . ثم اطلعوه على رغبة الملكة في ذهابه اليها . فقام حالا وذهب معهم فرحا ، لانه سبق وعرف انهم سيعودون الى الله . واخذ معه خمسة رهبان وسار شطر مدينة آثور . ولما وصلوا الى موضوع استشهاد القديسين ، توقفوا قليلا للصلاة ، ثم استأنفوا السير الى المدينة . وحينما اخبروا الملكة بوصول القديس ، اوعزت على الفور في ان يمثل امامها . وما ان دخل ، حتى قامت الملكة

من عرشها وسجدت امامه وسلمت عليه باحترام ، ثم روت له كل ما جرى وهو يصغي اليها بارتياح . ثم فتح القديس فاه وشرع يكلمها من الكتب المقدسة . فافعم قلبها رجاء وانار عقلها بالكلمات الالهية . فقالت له : «اننا سنفعل كل ما تأمرنا به ، انما نلتمس منك ان تشفي الملك من مرضه .» فامر القديس باحضار الملك امامه . فلما اتوه به ، تنهد القديس اذ رآه على تلك الحالة البائسة ، وجثا مصليا وقال : «ايها الرب يسوع المسيح ، يا طبيب المرضى ، التمس من نعمتك ان يأتي حنانك الى عوننا في هذا الوقت ، فيشفى عبدك من هذا المرض الذي المّ به ، لكي يعظّم جميع المشاهدين اسمك القدوس ويؤمنوا بانك انت الاله الحق ولا اله آخر سواك .» وفي الحال ولول الشيطان وخرج من الملك على شكل حبشي وهو يصرخ ويقول : «تبا لكم يا عبيد يسوع الناصري ، فقد جعلتموني سخرية في الارض كلها .» الا ان القديس زجره وطرده ولم يظهر بعدَ ذلك . فاخذ جميع الحاضرين يؤدون المجد لله على تلك الآية الباهرة .

وحينما عاد الملك الى ذاته ، وعاين التغيير الذي طرأ عليه بصلاة القديس متى ، جثا على قدمي الطوباوي واخذ يطلب منه قائلا : «يا عبد الله العلي ، التمس منك ان تغفر لنا كل ما فعلناه بجهلنا ، وان تحررنا من الضلال الذي نحن فيه .» واذ رأى القديس استعدادهم الحسن ، امر باحضار ماء وشرع يعمدهم باسم الآب والابن والروح القدس . فاعتمد في ذلك اليوم اناس كثيرون ، وشفي كثيرون من امراضهم بصلاة القديس . فعمّ الفرح جميع القلوب . ودنا الملك وجثا امام القديس وقال له : «اسأل ما شئت فأعطك ، حتى اذا كان نصف مملكتي .» فاجابه القديس : «لتزدهرْ مملكتك ، وليزدَدْ اكرامك . انما اسألك امرا يؤول الى ذكرى صالحة لك في هذا العالم والى المكافأة الابدية في العالم العتيد ، وهو أن تبني لنا كنيسة في موضع اقامتنا . لان الله سيجمع هناك عددا لا يُحصى من الرهبان ، فتكون هذه الكنيسة موضع اجتماعهم ، وفيها يؤدون الصلوات ويقدّمون قرابين الشكر للثالوث المجيد .» فسُرَّ الملك بما قاله الطوباوي ، وامر باعداد كل ما يلزم لبناية الهيكل ، واوعز الى المهندسين والبنائين قائلا : «نأمركم ببناء كنيسة كبيرة وجميلة ، بارشاد ابينا الروحي وهادي نفوسنا الى معرفة الحق .» واوعز الى وكيله في تهيئة النفقات

اللازمة . ثم بارك الطوباوي الملك والملكة وبلادهم واستودعهم نعمة الله .

ولدى خروج القديس رافقه الملك مع جنوده الى الموضع الذي فيه استشهد بهنام ورفاقه . فنزلوا هناك وصلوا . وقال له القديس : «علينا ، يا سيدي الملك ، ان نهتم باجساد القديسين ونقيم لهم مرقدا يصبح مزارا وينبوعا للخيرات لجميع قاصديه . » فاجابه الملك : «لا تهتم بهذا الامر ، فانا بنفسي ساتولى تحقيقه . اما انت فاهتم بالعمل الذي تريد القيام به . » وفي اليوم التالي ، صعد القديس الى الجبل مع رهبانه وجميع الفعلة ، وشرعوا يبنون الكنيسة . وكان الله يساعدهم دوما ، فتأتيهم النفقات من البلاط ، ويقبل المؤمنون من كل جهة للمشاركة في العمل او لتقديم الهدايا والنذور له . وقد انخرط كثيرون منهم في سلك الرهبانية . فاجتمع اليه رهبان عديدون وقدموا من اماكن بعيدة وسكنوا في ذلك الجبل ، وازداد عددهم حتى بلغ ٧٠٠٠ راهب : منهم سكنوا في المغاور وغيرهم في الكهوف وآخرون اقاموا لهم اديرة صغيرة . لذا فقد دُعي هذا الجبل «جبل الفاف» أي جبل الالوف ، ويُدعى اليوم جبل مقلوب وفيه يقع دير مار متى الشهير .

اما القديس ، فبعد ان انجز بناء الكنيسة والسور ، حفر حولها صهاريج واسعة لخزن المياه لحاجة الرهبان والزائرين . ولما لاحظ اقبال الناس الشديد على الموضع ووعورة الطريق المؤدي اليه ، طلب من الملك ان يساعده في تمهيد هذا الطريق . فلبى الملك حالا رغبته في تسوية الطريق .

وحينما شاء الملك ان يبني مزارا للشهداء في الموضع الذي فيه قُتلوا ، التمست منه الملكة وقالت : «اطلب منك يا سيدي الملك ان تأذن لي بان اهتم انا بنفسي بهذا الامر ، لتكون لي حصة في هذا العمل الجليل ، كما قمتَ انت ببناء الكنيسة الكبيرة لابينا مار متى . » فأذن لها الملك . ولما ارادت بناء المزار ، قال لها مار بهنام في الحلم : «ارسلي الى الجبل الذي فيه يسكن القديسون ، وأحضري من هناك رجالا يستحقون ان يلمسوا بقايا اجسادنا النفيسة . » وفي الصباح ، دعت نفرا من عبيدها وارسلتهمَ الى الجبل بهذا الشأن . وكان القديس قد انتقل الى ربه منذ مدة ، وخلفه مار زكا في رئاسة الدير . فلما وصل رسل الملكة ، استقبلهم بفرح . وما ان اطلع على سبب مجيئهم ، حتى سرّ كثيرا ، ولكنه لم يستطع هو ذاته ان يذهب معهم

لكونه مشغولا بادارة الرهبانية فدعا مساعده الطوباوي مار ابراهيم وقال له : «انه لمن الضروري ان تذهب مع رسل الملكة بصحبة نفر من الاخوة ، فتقوموا بهذا العمل حسب ارادة الله . »

فذهب الطوباوي ابراهيم بصحبة راهبين يضارعانه فضلاً وفضيلة وجاؤوا الى الملكة . فاستقبلتهم مثل ملائكة الله ، واطلعتهم على ما قيل لها في الحلم . فقال لها ابراهيم ان تُعدَّ رجالا جديرين بهذه المهمة . ثم انطلق الجميع مع الملكة وكثير من اهل البلاط . ولدى وصولهم الى موضع الاستشهاد ، جثا الطوباويون وصلوا مدة غير يسيرة . وعند ختام صلاتهم ، تطلع القديس ابراهيم في فوهة تلك الهوة ، فابصر نورا يتلألأ منها شبيها بنور الشمس وتفوح منها رائحة تفوق رائحة المسك العطرة . فانحدر مع الاخوة الى داخل الحفرة ، فرأى اجساد القديسين ملقاة على الارض ، كل منها على حدة . واوعز الى الملكة في النزول ايضا . ولما نزلت ، شرعت تقبّل اجسام الشهداء ، وتعرفت الى جسدي حبيبيها بهنام وسارة وهما موضوعان في جهة وحدهما ، وكأنهما الشمس والقمر بين النجوم . وفرحت الملكة مع الرهبان اذ اهّلهم الله لاكتشاف هذا الكنز النفيس .

وامرت الملكة بالشروع ببناء الجب . وفي ايام قليلة انجزوا بيت الشهداء ، وجمعوا اجساد الشهداء في بيت صغير . وصنعت الملكة جرنين من الرخام ، ووضع مار ابراهيم جسد بهنام في احدهما وجسد سارة في الآخر ، ووضعهما في الجدار الشرقي في نهاية الجب . واخذت العجائب تجري هناك ، والناس يقدمون من كل صوب طلبا للتبرك والشفاء .

ومثلَ مار ابراهيم امام الملكة ليستأذنها بالعودة الى ديره . فناشدته ان يأخذ ما يشاء من الذهب والمال . ولكنه رفض العرض رفضا قاطعا . الا ان الملكة استحلفته بان يأخذ شيئا من الذهب لبناء هيكل يكون مصلى للاخوة ويبقى ذكرا صالحا لها . فرضخ القديس لارادتها الصالحة واخذ مالا بنى به هيكلا جليلا في الموضع الذي كان يدعى «كوخياثا ـ الاكواخ» ، وغلب عليه اسم دير مار ابراهيم حتى اليوم .

اما الراهبان اللذان كانا قد رافقاه في بناء الجب ، فلم يعودا الى الجبل ، بل تركهما القديس ابراهيم هناك ليقوما بخدمة مراقد الشهداء واستقبال المتوافدين

عليها . وعلى مر الزمن ، ازداد اقبال الناس على اكرام الشهداء ، ولم يكن ثمة موضع يحتمون به من حر الصيف وبرد الشتاء . وكانت هذه الحالة تزعج الناس والراهبين . الا ان الله الرحيم فتح لهم باب الفرج بعد حين .

فحدث ان احد اشراف المؤمنين من بلاد فارس الداخلية قصد الذهاب الى القدس لزيارة الاماكن المقدسة ، مع بعض من ذويه وخدمه . وكان هذا الرجل غنيا ويدعى اسحق . وشاء الله ان تجتاز طريقة بمرقد الشهداء هذا ، ورأى ازدحام الناس على الموضع ومعهم مرضى عديدون . ولما سأل عن الخبر ، قيلَ له ان ثمة مرقد الشهداء ومنه تفيض النعم والبركات على الزائرين والمرضى . فشكر الله على انه اتاح له هذا اللقاء الجميل . ولدى دخوله الى المزار ، استقبله الراهبان وشرحا له عن الموضع والشهداء . فدخل وصلى متضرعا الى الله وملتمسا عون الشهداء ، لا سيما لعبد محبوب لديه كانت فيه روح شريرة . ولما انهى صلاته ، جلس عند اقدام هذين الراهبين طالبا منهما المزيد من الشرح حول هؤلاء الشهداء . فقصّا عليه الخبر كله . وشرع الرجل يمجد الله ويقول : «الويل لنا نحن الذين ندعى مسيحيين بالاسم فقط دون الاعمال . » وبعد ان امضى ساعات طويلة مع الراهبين ، عاد الى موضعه مضطرما بحب الله ، وامضى الليلة كلها في الصلاة . وفي منتصف الليل ، ظهر له مار بهنام في الحلم وقال له : «اسحق ، اسحق ، لقد سُمعتْ صلاتك ، وسيُستجاب طلبك بشأن عبدك . ولكن اهتم باقامة هيكل للصلاة ههنا ، وسيحسب الله ذلك لك اجرا اعظم من ذهابك الى القدس . » ثم توارى عنه القديس . فاستيقظ الرجل من نومه منذهلا ، وتساءل هل كان ذلك حلما ام خيالا ؟ وفي الصباح ، روى الحلم للراهبين اللذين تعجبا من الامر . ثم ذهبوا كلهم الى بيت الشهداء ، فجثا الرجل واخذ يصلي ويسأل الله ان يمّن عليه بتحقيق ذلك الحلم . وفي الليلة التالية ، بينما كان الجميع غارقين في النوم ، ظهر القديس بهنام في منتصف الليل على شكل جندي مسلّح لذلك العبد الممسوس ولكزه برمحه وقال له : «شفاك المسيح ابن الله . » وفي الحال خرج منه الشيطان وشرع الغلام يولول ويتنهد في نومه العميق . فاستيقظ الجميع على صوت صراخه وايقظوه ، وسأله سيده عن الامر ، فروى له الغلام كل ما جرى له في النوم وكيف خرج منه الشيطان . فاخذ الجميع يمجّدون

الله . فعلم الرجل حقيقة ما قيل له ، واخذ الغلامَ وجاء به الى الراهبين اللذين شرعا يمجدان الله على تلك المعجزة .

بعد ذلك اطلع الرجل الراهبين على سابق قصده في تشييد الكنائس ، وقد أيد الله هذا القصد بما جرى ههنا . فرضي الراهبان على ان يخبرا رئيسهما بذلك . ولما علم مار زكا ، ارسل مار ابراهيم وبعضا من الرهبان الى مرقد الشهداء . وساعدتهم الملكة في قسط كبير من النفقات . ولما ارادوا ان يبنوا الكنيسة عند باب الجب ، ظهر مار بهنام للطوباوي مار ابراهيم وقال له : «ايها الاب المبارك ، لا تعملوا كما فكرتم ، بل غدا صباحا سأقف فوق الجب ، ويجب ان تبنى الكنيسة على مرمى حجرة من الجهة الغربية . »

وفي مدة قصيرة بُنيت الكنيسة ثم اقاموا السور وشيدوا بيوتا اخرى للزائرين . وكانت الملكة لا تكفّ عن مدّهم بالمساعدة . وحينما انهوا بناء الكنيسة ، نقلوا عظام القدّيسَين بهنام وسارة ووضعوهما في الهيكل الذي بُني لهما . اما بقية ذخائر القديسين فتركوها في الجب . ومنذ ذلك الوقت ، دُعي الموضع «دير الجب» . وبعد ذلك عاد الرجل الكريم الى بلاده ، وعاد مار ابراهيم الى ديره في الجبل ، فرأى ان مار زكا قد غادر الحياة منذ مدة . فاجمع رأي الرهبان على اقامته رئيسا عليهم حتى موته .

. . . . وما يزال دير مار بهنام قائما حتى اليوم ، وقد اضيفت اليه اجنحة عديدة للزوار . الا انه الآن خالٍ من الرهبان . وتقام في هذه السنة بالذات تظاهرات ايمانية وحضارية عديدة بمناسبة مرور ١٦ قرنا على استشهاد مار بهنام واخته سارة ورفاقه الاربعين . وينوي السريان جعله قريبا معهدا لطلاب الكهنوت . اما دير مار متى القابع على جبل مقلوب ، فقد حظي في هذه السنين الاخيرة باهتمام السلطات العراقية ورعايتها الخاصة ، وبنيت فيه اجزاء جديدة وتم ترميم القديمة ، وهو يجتذب العديد من الزائرين لحسن موقعه وللذكريات الجليلة التي ينطوي عليها . وليس فيه الآن سوى اسقف وراهبين .

٢٦ استشهاد الشماس برحذبشبا

في السنة الخامسة عشرة من اضطهادنا ، ألقي القبض بامر شابور طمشابور على برحذبشبا الذي كان شماسا في مدينة اربيل . وشرع هذا الظالم يعذّبه مر العذاب ويقول له : «ان أردتَ ان تنجو من العذاب والموت ، أكرم النار والماء وكُل الدم .»

اما هذا المظفر ، فكان يهزأ به ويقول له : «ومن انت ايها المنافق اللئيم حتى تحملني على نبذ الحقيقة وعلى الانحراف عن السلوك الذي انا عليه منذ نعومة اظفاري ؟ فحيٌّ الله الذي اعبده بالحق ، والمسيح الذي انا متكل عليه ، فلا انت ولا ملكك الذي انت فخور به ، ولا تنكيلاتك ولا القتل الذي تهددني به ، لا تستطيعون ان تفصلوني عن محبة يسوع الذي احببته منذ صغري حتى هذه الشيخوخة التي بلغتها الآن .»

فثار ثائر الحاكم عليه ، وفي سورة غضبه امر بان يقطع رأسه . وكان ثمة رجل من الاحرار اسمه عجي ، وهو علماني من قرية «تحل»[1] ، وقد القي القبض عليه لكونه مسيحيا يأبى السجود للشمس . فامر الحاكم بحل وثاقه واوعز اليه في قتل الطوباوي ، لكي يدفعه بذلك الى جريمة ابشع من تلك التي رفض ارتكابها .

فاخرجوا الطوباوي برحذبشبا الى ظاهر بلدة «حزة» وربطوه فوق اكمة هناك . وناولوا عجي سيفا . فامسك به مرتعدا ، وضرب عنق الطوباوي سبع ضربات ولم يستطع حز رأسه لما اعتراه من الخوف والهلع . فغضب عليه المجوس المشرفون على تنفيذ الامر وتهددوه . واذ ذاك تناول ثانية السيف الذي كان قد رمى به ارضا وهو مخضّب بدم الطوباوي ، وغرزه في جسمه ازاء موضع القلب . وعلى الفور فاضت روح الشهيد .

الا ان هذا الجاحد القتال لم يبق بغير عقاب . فما ان قتل هذا الشهيد ، حتى انزل به الرب داء اليما ، فانتفخت يده اليمنى واضحت مثل سارية . فكان يرقد على

---

(١) - بلدة اسقفية في مقاطعة بيت جرمي لا نعرف موقعها بالتأكيد

سريره وذراعهُ ممتدة على سرير آخر ، حتى نتن جسمه كله وتفسخ . وبعد ان امضى اياما وهو يعاني الامرّين ، مات شر ميتة ، وقد تخلى عنه الجميع .

واقام المضطهدون حارسين على جثة الشهيد برحذبشبا . وحينما حل الظلام ، حاول راهبان كامنان هناك ان يسرقا جثمانه . الا ان الحارسين لم يستسلما الى النوم ولم يقبلا رشوة قدمها الراهبان لهما . واذ لم تبقَ للراهبين وسيلة اخرى ، انقضّا على الحارسين واشبعاهما ضربا وشدا وثاقهما ، ثم اخذا الجثة وذهبا بها ودفناها في تلك الليلة نفسها .

كان استشهاد برحذبشبا في العشرين من تموز (سنة ٣٥٦ ؟) .

٢٧ قصة مار قرداغ الشهيد

كان قرداغ يتحدر من سلالة الملوك الاشوريين . فوالده من سلالة نمرود الجبار ، ووالدته من صلب سنحاريب الشهير . ولد من ابوين وثنيين . وكان والده كوشناوي رجلا وجيها في المملكة وشهيرا بين المجوس . وكان قرداغ جميلَ المنظر ، رشيقَ القد ، قويَّ الجسم ، ماهرا في القتال وشديد التمسك بالديانة الوثنية . وذاع خبر بسالته في المملكة كلها وهو ما يزال في الخامسة والعشرين من عمره . ولما بلغ هذا الخبر مسامع شابور الملك ، استدعاه اليه واكرمه ، بعد ان شاهد ما يتحلى به من الجمال والقوة . وامره يوما بان يلعب في الميدان امام جميع عظماء المملكة وان يرمي السهام على هدف صغير وُضع فوق سارية عالية . واتوه بقوس وبستة سهام من مشجب الملك . فرشق السهام واصاب الهدف في الموضع نفسه . فكال له الملك وعظماؤه المديح والثناء على مهارته الخارقة . وفي اليوم الآخر ، امره الملك بان يأتي الى الميدان ويلعب بالكرة معه ومع عظمائه . فامتثل الامر ، ونال استحسان الجميع واعجابهم . وفي اليوم الثالث ، خرج الملك الى الصيد بصحبة مائة من عظمائه وثلاثمائة فارس . فامر الملك قرداغ بالخروج معه راكبا حصانا من خيول الملك ، وبالسير امام الملك على رأس حَمَلة سلاحه . واذ

اوشكوا على الدخول الى غابة ابصروا امامهم ايلة تعدو مع ولدها . فصرخ الملك وقال : «ارفعْ قوسك وارمِ يا قرداغ الشجاع وأرِنا مهارتَك . » وفي طرفة عين وضع قرداغ سهما في قوسه وصوّبه الى الايلة وقتلها مع ابنها دفعة واحدة . اذ ذاك هتف الملك باعلى صوته وقال : «عشت يا قرداغ ، عش وافرح بشبابك وأبهجنا بمآثرك . » وما ان عاد الملك من الصيد حتى امر بمنح قرداغ هبات وافرة ، ثم اقامه وزيرا على آثور ومرزبانا[1] يمتد حكمه من نهر تورمارا حتى مدينة نصيبين ، وأرسله بأبهة وحمّله هدايا كبيرة ونفيسة لوالده .

وحينما تولى ادارة الولاية الواسعة التي عُهدت اليه ، خاف منه المسيحيون خوفا شديدا ، اذ كانوا يعلمون غيرته العارمة على الديانة المجوسية ، واخذوا يرفعون الصلوات لاجله في الكنيسة كلها ، عسى الله ان يخفّف من شدة تعصّبه فلا يضطهد الشعب المسيحي الذي كان آنذاك عرضة للاضطهاد الشديد في مملكة شابور العاتي .

ولما وصل قرداغ الى داره في اربيل مدينة الآثوريين ، اقام عيدا كبيرا للآلهة واكرم المجوس كثيرا ، ومنح معابد النار هدايا نفيسة . وبعد ايام قليلة شرع ببناء حصن وقصر على تل يدعى «ملقي» . وانجز البناء في سنتين ، فاقام حصنا منيعا وقصرا رائعا . وشيد في لحف التل معبدا للنار ، وعيّن مجوسا لخدمة المعبد والنار . وبينما كان يبني الحصن ، رأى ذات ليلة في الحلم ان فارسا مدججا بالسلاح وراكبا حصانا قد وقف فوقه ، ثم لكزه بطرف حربته وقال له : «يا قرداغ . » فاجابه : «هاءنذا . » فقال له : «اعلم يقينا انك ستموت امام هذا الحصن شهيدا في سبيل المسيح . » فقال له قرداغ : «من انت حتى تفئلني بهذا ؟» فقال له الطوباوي : «انا سركيس خادم المسيح ، ولست افئلك كما تظن ، بل سبقت وأنبأتك بالمستقبل كما كشفه لي المسيح سيدي . » ولما استيقظ قرداغ من نومه ، تولاه خوف شديد ، وقص الحلم على امه وحدها . فقالت له امه : «حذارِ يا ابني من ان تسبّب المتاعبَ للمسيحيين ، فاني اعلم حقا انهم يسجدون للاله الاوحد الحقيقي . وآلهتهم هو

---

(١) ـ مرزبان ـ وجمعها مرازبة ـ لقب كان يطلق على حكام الاقاليم .

الذي اراك هذا الحلم . » الا ان قرداغ لم يولِ هذا الحلمَ اهميةً كبيرة .

وكان ثمة رجل طوباوي اسمه عبد يشوع يسكن مغارة(٢) في جبل من منطقة «بيث بغاش»(٣) ، وكان رجلا فاضلا ينعم برؤى الهية . فقال له الرب في الرؤيا : «قم وانحدر واحضر امام المرزبان قرداغ ، فاني بواسطتك ساصطاده لي ، وعليه ان يعاني كثيرا من اجل اسمي . » فنهض الطوباوي عبد يشوع واخذ عصاه وحمل الانجيل في مزودة صغيرة ونزل متوجها شطر اربيل ، كما امره الرب . وفي احد الايام ، بينما كان قرداغ خارجا ليلعب بالكرة في الميدان ، التقاه عبد يشوع وقطع طريقه واجتاز امامه . فغضب قرداغ اذ رآه مجتازا امامه ، وقال للذين معه : «ان هذا الرجل لشؤم . » ثم اوعز الى اثنين من جنوده في لطم القديس عبد يشوع على وجهه وفي الاحتفاظ به ريثما ينظر في امره . وعاد قرداغ الى بيته ، ثم ركب حصانه ثانية وذهب الى الميدان . فاضطرم القديس عبد يشوع بغيرة الهية ورفع يده ورسم علامة الصليب وقال : «ايها الرب الاله القدير ، أظهر له مجدك واكشف له عن قوّتك ليعرف انك انت اله الحق ولا آخر سواك ، كما اظهرت لي في الرؤيا . » اما قرداغ واصحابه ، فحينما وصلوا الميدان وهموا بملاحقة الكرة على صهوة جيادهم ، اذا بالكرة تلتصق بالارض ، ولم يفلحوا في تحريكها من مكانها . فامر قرداغ احد جنوده بان ينزل ويأخذ الكرة بيده ويقذف بها بعيدا . فتناولها من الارض وقذفها بقوة ، ولكنها سقطت عند قدميه . وحاول جميع جنوده قذفها ولكن دون جدوى . فتعجب الجميع وقالوا : «حقا ان ذاك الرجل الذي التقيناه لساحر ، وهو الذي سحر كرتنا ونغّص فرحنا . » فاجاب واحد منهم وقال : «بينما كنا نتهيأ لامتطاء جيادنا ، رأيت ذلك الرجل يرفع يده اليمنى ويرسم علامة تشبه صليب المسيحيين ، وكانت شفتاه تتحركان وكأنه يتمتم شيئا . »

---

(٢) ـ ما زالت مغارة عبد يشوع موجودة على مسافة نحو ساعتين جنوبي مزار الربان بويا «بيري» في الجبل المطل على مصيف شقلاوة في شمال العراق .

(٣) ـ بيت بغاش هي المنطقة الواقعة شمالي شقلاوة في اعالي الزاب الكبير .

فعاد المرزبان الى داره منذهلا ، وامر باحضار القديس عبد يشوع وسأله بعنف وقال له : «من اين انت ايها الرجل ؟ وما شأنك ؟» فاجابه الطوباوي : «لقد سمعت من والديّ انهما كانا من قرية حزة في منطقة الاثوريين . ولكونهم مسيحيين ، فقد طردهم الوثنيون من هناك . فذهبا وسكنا في قرية «ثمانون»[٤] من اعمال منطقة قردو . اما انا فليس لي موضع اقامة خاص ، لاني سمعت من المسيح ربي الذي جاء وخلصنا بموته انه لم يكن له موضع يسند اليه رأسه ، مع كونه سيد السموات والارض والملائكة والبشر وهو الذي يدبّر كل شيء ويحفظ الكل بعنايته . اما عملي فهو ان ارفع دوما الحمد والمجد والشكر الى الله خالقنا ومدبرنا الذي ابدعنا على صورته ومثاله ، وخلصنا بابنه الوحيد الذي اتخذ جسدنا واولانا معرفة وادراكا لكي لا نحسب الخلائق آلهة ، ولا نؤدي للخلائق التي هو ابدعها السجودَ الواجب له وحده ، كما تفعلون انتم ايها الوثنيون الضالون . » فغضب قرداغ وامر بان يُضرَب القديس على فمه . واذ كان عبد يشوع يتألم كثيرا ، رفع عينيه الى السماء وصلى الى الله في قلبه لكي يحقق ما قاله له في الرؤيا . فقال له قرداغ بحدّة : «لماذا تدعونا ساجدين للخلائق ، ايها الشيخ الجاهل ؟» فسكت الطوباوي ولم يحر جوابا . فقال له قرداغ : «لِمَ لا تجاوبني ؟ الا تعلم ان موتك وحياتك منوطان بي ؟» فقال له عبد يشوع : «اظن يا سيدي ان من يضربونه على فمه يعلمونه بذلك انه لا يحق له الكلام ، ولذا لم اردَّ الجواب على سيادتك . اما قولك ان موتي وحياتي منوطان بك فليس صحيحا . فان لك السلطة على قتل الجسد ، وهذا لا نعتبره موتا نحن عبيد المسيح والساجدين للصليب ، بل نحسبه حياة حقيقية خالدة . ولكنك لست مسلطا على نفسي وعلى حياتي في المسيح . وقد اوصانا الرب وقال لنا في انجليه : «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، فانهم لا يستطيعون ان يقتلوا النفس ، بل خافوا مني ، فاني استطيع ان ابيد النفس والجسد في جهنم[٥] » ، ولكن اذا كنت تريد ان اكلّمك ، فهدئ غضبك وأرح نفسك ، وأصغ الّي بلطف ومر بالا يضربوني من بعد . »

---

(٤) ـ «ثمانون» قرية تقع على مسيرة نهر واحد شرقي جزيرة ابن عمر .

(٥) ـ متى ١٠/٣٨ .

فاقسم له قرداغ وقال : «تكلَّمْ بما شئت ، فمن يضربك احد . » فقال له عبد يشوع : «اتسلم بان من هو ازلي غير مخلوق هو الاله الحق ؟» .

ق ـ اجل اني اسلم بذلك .

ع ـ اتعترف بان كل مخلوق غير أزلي انما هو خليقة ؟

ق ـ اجل اني اعترف بذلك .

ع ـ او تعلم انه لا ينبغي السجود للخلائق ، وان كل من يسجد للخلائق يُغيظ الله خالقها ؟

ق ـ اجل ان ما تقوله هو الحق . ولكن قل لي من الذي يسجد للخلائق ؟

ع ـ انت وجميع رفاقك الوثنيين تسجدون للخلائق .

ق ـ ان بيّنت لي اني اسجد للخلائق واغيظ الله ، فاني ساذعن لك بفرح واتبع تعليمك واقر بفضلك العظيم . اما إن لم تبرهن لي عن ذلك ، فاعلم انك قد اهنتني اهانة جسيمة .

ع ـ الا تسجد للشمس والقمر والنار والماء والهواء والارض وتدعوهما آلهة وآلهات ؟

ق ـ بلى ، اني اسجد لها لكونها ازلية وغير مخلوقة .

ع ـ ومن اين علمتم ان النيرات ازلية وغير مخلوقة؟

ق ـ من مدارها الدائم ومن عدم تغيير طبيعتها ومن كونها مرتكزة في العلى .

ع ـ ان الخصائص التي ذكرتها عن النيرات ، انما قد نالتها من خالقها الذي اليه يعود المجد لا اليها . اما كونها غير ازلية فهو واضح لكونها عديمة الحياة . وان قلت انها حية ، فما هي حياتها؟ اهي الحياة الحيوانية ام الحياة الناطقة؟ واذا كانت لها حياة الحيوانات ، فلماذا لا تقتات مثل الحيوانات ، واذا كانت ناطقة وعاقلة ، فلماذا لا تهدأ وتستريح من مسيرتها في زمان الحر الشديد . فلو كانت الشمس ناطقة ، لخففت في الشتاء من شدة البرد ومن لهيب الحر في الصيف ، ولوزعت حرارتها باعتدال في جميع الامكنة ، ولتعبت وتألمت من مسيرتها الدائمة . فان كل حي منظور ومتحرك من ذاته يتعب ايضا . وكل ما ليس حيا ولا يتعب فانما آخر يحركه . فالحجر والسهم والعَجَلة تستقي حركتها من آخر، ولذا

فهي لا تتعب لانها ليست حية . اما الطير والحيوانات فتتحرك من ذاتها ، فهي تتعب لانها حية . فاذا كانت النيرات وعناصر الطبيعة تتحرك من ذاتها فهي حتما تتعب وتتألم لانها منظورة . ولكونها لا تتحرك من ذاتها ، لانها صماء لا نفس لها ، فهي اذن لا تتعب ، بل تتحرك بقوة الاخرين ، مثل الحجر والسهم والعجلة . فالنيرات والعناصر تتحرك بقوة الله ، والحجر والسهم والعَجَلة تتحرك بقوتنا . »

ق ـ ولماذا اذن لهذه النيرات حركة دائمة ونور وقوة لا تخضع للتغيير والفساد اكثر من الامور الارضية؟

ع ـ لانها في العالم كاعضاء رئيسية في الجسم ، مثل الدماغ والقلب والكبد . فاذا انتُزعت من الجسم شعرة او ظفر او سن ، فان تلك خسارة جزئية . اما اذا انتزع الدماغ او القلب او الكبد ، فينتج من ذلك فقدان الحياة كلها . هكذا اذا بادَ احد الاجزاء الصغيرة المكوِّنة للعالم ، كالحيوانات والزروع ، فهي خسارة جزئية . اما لو ترَكَ الخالقُ النيراتِ تبيد ، فلكان ذلك فساد العالم كله . فان النيرات رباط جسم العالم كله ، وهي بمثابة اعضاء رئيسة فيه ، وبمثابة عينيه ودماغه ، ومنها تأتي الحرارة الى الاجسام والنباتات ، ونظام الازمنة وترتيب السنين والشهور والاسابيع والايام . الا انها لا تمتلك هذه الخواص بذاتها ، بل نالتها من قوة خالقها وحكمته ، في حين انها هي ذاتها لا حياة لها ولا شعور . . . ولهذا فان النيرات ليست ازلية ، بل مخلوقة وعديمة الحياة والشعور ، ومن يسجد لها انما يغيظ الله خالقها . وكذا الشأن مع العناصر ، اي الارض والماء والنار والهواء . فهي ايضا مخلوقة وعديمة الحياة والشعور . وكيف ندعو ازلية تلك العناصر التي كل منها يبطل وينقض الآخر . فالماء ينقض الارض ويغمرها ويجرفها ، والارض تبتلع المياه التي تغور في جوفها ، والهواء يأتي على الماء ويحوّله الى بخار ، والماء يطفىء النار ويخمدها ، ويُحبَس الهواء في الظرف ويحترق بالنار ويمتزج بالروائح الكريهة . وقصارى القول : ان كلا من هذه العناصر يبيد الآخر ، وجميعها تنحلّ وتتغير وتحتاج الى بعضها بعض . وكل محتاج انما هو مخلوق ، وكل ما ليس مخلوقا فهو ليس محتاجا . وبديهي ان

العناصر يحتاج بعضها الى بعض لفائدة الجميع . فالارض بحاجة الى الماء لتنمية الزروع ، والماء يحتاج الى الهواء ليرفعه ويضخه ، ولا فاعلية للنار دون الحطب الذي ينمو بقوة الارض والماء والهواء . فالعناصر كلها اذن محتاجة ، ومن ثمة فهي مخلوقة . وان الازلي حي ناطق ، في حين ان العناصر عديمة الحياة والنطق والشعور . فان للنباتات والحيوانات حياة : فالنباتات تنمو وتزهر ، والحيوانات تتحرك وتنتقل وتستخدم حواسها . اما العناصر فلا شيء لها من ذلك ، بل هي صماء كالحجارة . ومن ثمة فان من يسجد لها ويحسبها ازلية فهو بذلك يغضب الله . فبحق اذن دعوتكم ساجدين للخلائق وبعيدين عن الله . »

لما سمع المرزبان هذه الاقوال احتدم غيظا واعماه الضلال لئلا يذعن لاقوال الطوباوي : فامر بربط القديس عبد يشوع بسلاسل قاسية وبزجّه في غرفة مظلمة ، وبعدم اعطائه كل مساء سوى قليل من الخبز دون ماء . اما القديس فكان فرحا متهللا وهو يقول : « الرب عوني ، فلا اخاف ، فماذا يفعل بي الانسان؟ »

وفي اليوم التالي خرج المرزبان الى الصيد . وما ان رمى سهما حتى سقط السهم عند قدميه . وحدث الامر عينه للجنود الذين معه . واعادوا الكرة مرات عديدة ، الا ان الهواء ابى ان يحمل السهام التي كانوا يرمونها . فاعتراهم خوف شديد ، وقال المرزبان لمرافقيه : « اظن ان الشيخ الذي قيّدناه هو ولي الله ، فجرت هذه الاعجوبة بصلواته لاننا اسخطناه . » فعاد توا الى منزله وبات في حزن عميق لا يأكل ولا يشرب ، وقد عزم على اطلاق سراح الطوباوي عبد يشوع في الغد . وفي منتصف الليل ، امتلأ المنزل الذي كان عبد يشوع مسجونا فيه نورا ساطعا مجيدا . وتراءى له جمع غفير من الملائكة ، وهم يسبّحون بصوت عالٍ ويقولون : « صرخ الصدّيقون والرب سمعهم وانقذهم ، والرب قريب من الذين يدعونه بالصدق ، وهو يحقق رغبة عباده . انه يسمع طلبتهم ويخلصهم . . . » وكان الطوباوي عبد يشوع يتلو المزامير معهم فرحا . واستحوذ خوف شديد على جميع المجاورين للمنزل . واذا بالابواب جميعها تنفتح ، ولمس ملاك الرب سلاسل الطوباوي فسقطت من يديه ورجليه . وامسكه بيده واخرجه من سجنه . ولما قاده خارج السجن ترك يده وقال له : « اتبعني . » . وكان الملاك يتقدمه بثياب متلألئة حتى اوصله الى مغارته ، ثم تركه هناك واختفى . .

وفي الغد، امر المرزبان بحلّ وثاق القديس وباحضاره امامه. ولما فتحوا ابواب سجنه ودخلوا وجدوا السلاسل ملقاة على حدة، ورائحة بخور فاخرة تفوح من البيت. وبحثوا عن الطوباوي، فلم يجدوه. فانذهلوا واعتراهم الخوف. واسرعوا الى المرزبان واخبروه بالامر. ولما سمع المرزبان ذلك، استحوذ عليه الخوف والحزن، واخذ يلطم وجهه ويبكي بكاء مرا ويقول: «الويل لي، الويل لي، الويل لي، فاني عذّبت رجل الله. حقا ان اله المسحيين لعظيم. انه الاله الحق الذي خلق السماء والارض وكل ما فيهما، ولا اله آخر سواه.»

في الحال دخل غرفته ورسم على الجدار الشرقي علامة الصليب، وجثا على الارض وشرع يصلي امامه ويقول: «ايها المسيح اله المسيحيين، استجبْني ولا ترذلني، وأهّلني لكي أحصى في عداد الساجدين لك وانال الوسم المقدس. فاني اؤمن واعترف بانك انت الاله الحق، كما يعترف ويعلّم المسيحيون. واذا كان انسانا ذاك الذي ظهر لي بشكل انسان وتكلم معي باسمك، وانا بجهلي اسخطه، فأهّلْني يا سيدي لكي اراه ثانية واستغفره عن جهالتي، فابلغ بوساطته الى معرفتك والانتماء اليك. واذا كان الذي ظهر لي احد ملائكتك، فليظهر لي ثانية وليعلّمني ما يجب عليّ فعله.» وما ان ختم صلاته بعلامة الصليب، حتى سمع صوتا لذيذا عذبا يقول له: «كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتَح له»[٦]. فغمرته التعزية والفرح لدى سماعه ذلك الصوت وطابت نفسه واخذ يمجّد الله. ثم خرج وجلس على سريره وتناول طعاما واستعاد نشاطه. فاخذ العجب كل مأخذ من المجوسي الذي كان يعزّم عليه عند الطعام، ومن امرأة المرزبان واهل داره، كيف انه يتناول الطعام دون تعزيم. بيد ان أحداً لم يتجاسر فيسأله، لانه كان عنيفا صارما تجاه اهل داره.

وبعد ثلاثة ايام، ظهر له القديس عبد يشوع ليلا فرحا مبتهجا وقال له: «يا ابني قرداغ، ان شئت ان تراني، هلم الى المغارة الفلانية وهناك تجدني.» ولما استيقظ من نومه، ابتهج كثيرا وطابت نفسه. وعند الصباح، قام مسرورا وغيّر ثيابه متنكرا،

---

(٦) ـ متى ٧/٨.

واخذ معه اثنين من عبيده الامناء، وقد نالا معه نعمة العماد بعد ذلك. وامتطى صهوة جواده وسار شطر منطقة بيث بغاش، قاصدا الجبل الذي كان عبد يشوع يسكن فيه، حسبما حدده له في الرؤيا. ولما ابتعد عن قصره مسافة ايام، التقاه الشيطان بزيّ رجل شيخ وهو غاضب وحزين ويعضّ لحيته باسنانه ويقول لقرداغ: «الى اين انت ذاهب ايها الكذاب التعس؟ لماذا خدعتني وتخلّيت عني وتبعت ذلك الشيخ اللعين تلميذ يسوع الذي صلبه رفاقنا اليهود في اورشليم ومات؟ فاني قد اقسمت بان اثير عليك الملك وعظماء فارس كلهم، واسفك دمك مثل دم اللصوص والاشرار.» ولما سمع احد عبدَي قرداغ هذا الكلام، قال لسيده: «أأستلّ سيفي واقطع رأس هذا الشيخ الكلب الذي تجاسر فاهان سيدنا؟» فقال له سيده: «دعه، فان السيف لا يعمل فيه. انما ربنا يسوع المسيح الذي آمنت به هو الذي يفنيه ويقضي عليه لدى مجيئه. فاني هكذا سمعت عنه من المسيحيين.» وفهم قرداغ انه الشيطان، وقد تراءى له بشكل انسان. فبصق عليه في الحال وقال له: «ليزجرك المسيح ربي الذي بنعمته خلّصني من ظلام الضلال، ودعاني الى نور معرفته العظيم.» ثم رسم اشارة الصليب على ذاته. وما ان سمع الشيطان اسم المسيح، حتى تغير وصار مثل حية سوداء ولت الادبار واختفت في شق صخرة هناك.

واستأنف قرداغ سيره مبتهجا وهو يمجد الله. وفي احدى مراحل سفره، بينما كان نائما، ظهر له القديس سركيس في الحلم وقال له: «يا اخي قرداغ، لقد ابتدأتَ حسنا. فجاهدْ ببسالة لتصبح لي اخا الى الابد. وهاءنذا اكون معك واساعدك الى ان تنال اكليل الشهادة.» وفي اليوم الاخر عند العصر، وقد اوشك قرداغ ان يبلغ الجبل الذي يسكنه مار عبد يشوع، ظهر ملاك الرب لعبد يشوع وقال له: «قم اخرج الى لقاء المرزبان قرداغ واستقبله ببشاشة، لاني قد اخترته، يقول الرب، وهو لي، وهو مزمع ان يقاسي آلاما كثيرة في سبيلي.» فقام القديس عبد يشوع فرحا واخذ عصاه وضم بيسراه كتاب الانجيل المقدس وسار مرتلا: «ان حامل الزرع يذهب ذهابا ويبكي، اما حامل الحزم فيأتي فرحا»[٧]. ولما لمح قرداغ من بعيد، قال له

---

(٧) ـ مزمور ١٢٥/٥.

مبتهجا: «ما اضعفَ قيودَك، يا سيدي المرزبان! فانها لا تُحسَب شيئا عندنا نحن الموثقين بالروح القدس والسائرين شطر السماء. ولكن هكذا يستقبل عظماء العالم ورؤساؤه اولئك الغرباء الذين يقصدونهم.» فاجاب قرداغ بفرح عظيم وقال له: «وان كنا قد اسرناك في ضلالنا، فانك قد حررتنا من قيود الوثنية واجتذبتنا لكي نأتي ونستغفرك. وانت كالاب الرحوم تلتمس من الرب المغفرة لكل ما ارتكبناه امامه من الآثام.» قال هذا ونزل حالا من حصانه وانطرح باكيا عند قدمي القديس عبد يشوع واخذ يقول له: «اغفرلي يا سيدي يا عبد الله، وابتهل الى المسيح ربي لكي يؤهلني لانهي شوطي في محبته.» فامسكه الطوباوي بيده وقال له: «قم»، ثم قبَّله وقال له: «هلّم بسلام يا ابني الذي ولدته في قيودي، فالرب يسوع المسيح ينتظرك، وملائكته القديسون يفرحون بك.»

حينئذ اقتادَ الخادمان حصان سيدهما الى دير في لحف الجبل، وقد تلقيا امراً بالا يقولا من هو صاحبه. اما عبد يشوع والمرزبان فقد صعدا الى مغارة القديس. ولما حان وقت الصلاة، قام عبد يشوع ليؤدي صلاة المساء، وكان قرداغ واقفا بجانبه، وقد تولاه الخوف والفرح. واذا بزمرة بشعة من الشياطين يظهرون في الكهف فوقهما وهم يرقصون ويصفقون ويضحكون قائلين: «ما اجمل الوزير والمرزبان وقد ترك بيته ومجده وسلطته وعظمته، وهو يبيت صائما في المغاور لدى اناس ضالين يسكنون الكهوف!» اما الطوباوي عبد يشوع، فلم يكفّ عن صلاته، بل اوعز الى قرداغ في ان يردّ عليهم جوابا مناسبا. فقال لهم قرداغ: «مع كونكم كذابين ومصدر الكذب، فقد نطقتم الآن بالحق. اجل، ما اجملَ للوزير والمرزبان ان يتنعم بقوت روحي فيه حياة حقيقية، مع اناس قديسين انتصروا بجهودهم على مكائدكم الخبيثة، فتركوا الارض وبادروا الى السماء. فحينما كنت اتنعم بالموائد الدسمة وبالخمور الفاخرة، حسب رغبتكم الدنسة، كنت محروما من مائدة الحياة في المسيح، وبعيدا عن الله، وكنت رفيقا لكم. انتم ابناء الظلمة والمتمردين والمعدّين للعذاب الدائم. اما اليوم، وقد أهلني المسيح ربي لنور معرفته، فاني الآن اتنعم بمائدة تعليمه الروحي المقدس. فاذهبوا عني ايها الدنسون الى الظلمة البرانية.» وفي الحال، ولوا هاربين مولولين وصارخين حتى ان الجبل دوى بعجيجهم.

ولما انتهى عبد يشوع وقرداغ من صلاتهما وجلسا، قال عبد يشوع لقرداغ: «يا ابني، ان لنا ههنا قليلا من الحمص المنقوع وشيئا من الخل. فلنأكل ولنشرب ماء.» فاجابه قرداغ: «سمعيا وطاعة يا ابانا.» ولما صليا وبدأا بتناول الطعام، ظهر لهما ملاك الرب وقال لهما: «السلام عليكما»، وقدّم لهما رغيفا من الخبز الفاخر. ثم قال لقرداغ: «حينما جئناك، قيّدتنا بالسلاسل، واعطيتنا خبزا دون ماء. اما حينما جئت الينا اليوم، فاننا احللناك في جبال عالية جميلة، واتيناك بخبز فاخر، مع مياه باردة تجري من قمم الجبال. ولكنك جئت اهلا، فان قدومك الينا قد ابهج الملائكة والبشر.» قال هذا ووضع الرغيف امامهما وانصرف. فجثا الرجلان واستمرا على الصلاة نحو ثلاث ساعات وهما يشكران الله. ثم تناولا ما ارسلته لهما السماء، وواظبا على الصلاة طوال الليل.

وكان راهب شيخ اسمه «بيري» يسكن في مغارة تبعد عن مغارة عبد يشوع بنحو تسعة اميال[٨]، وكان رجلا فاضلا تقيا وقد امضى في ذلك الجبل ثماني وستين سنة في الزهد والصلاة. فاوحى اليه الرب في الرؤيا وقال له: «قم انطلق الى مغارة عبد يشوع، فتجد هناك المرزبان قرداغ، فشجّعه بحضورك وقوّه بأقوالك.» فقام الشيخ بفرح عظيم وانطلق. وعند انبلاج الصبح وصل الى مغارة عبد يشوع. فلما رآه هذا، اندهش، اذ لم يكن هذا الراهب الشيخ قد غادر مغارته طوال الثماني والستين سنة. فقال الشيخ لعبد يشوع: «لقد حلّ عليك ضيف كريم، فلماذا لم تدعنا معه الى التوليمة؟» فقال له عبد يشوع: «اغفر لي يا ابانا، فاني لم ارد ان ازعج شيخوختك.» فقال له الشيخ: «ولو انك لم تدعني، فان الرب ارسلني الى ههنا.» فصليا وتصافحا، وقبّل الشيخ قرداغ وقال له: «هلم بسلام يا عيسو رجل البرية الذي

(٨) ـ هو المزار الذي يُطلق الآن عليه اسم «ربان بويا» (بيري) ويقع في اعلى الوادي الكائن في الجبل المشرف على شقلاوة في شمال العراق. وما يزال مسيحيو شقلاوة يحتفلون بعيده في الاثنين الثالث بعد القيامة مع بقية الاولياء شفعاء البلدة، ويسمون هذا العيد بعيد «جاكي وبيزي» اي عيد الصالحين والشيوخ.

انقلب واصبح يعقوب الوديع وهو الآن في سكنى الصديقين، » . ثم جلس وخاطبه بكلام الله حتى الساعة التاسعة وباركه وقبّله ثم عاد الى مغارته .

وامضى قرداغ خمسة ايام عند عبد يشوع وهو يلتمس منه ليلا ونهارا ان يؤهله لنيل العماد المقدس . وفي عشية اليوم السادس ، ظهر مار سركيس في الحلم لعبد يشوع وقال له : «لماذا تتأخر في فتح باب الشهادة امام اخي قرداغ؟» ولما استيقظ عبد يشوع من نومه ، غشيه خوف شديد ، فدعا قرداغ وقال له : «هلم يا بنيّ ننزل الى الدير الذي فيه الخادمان ، لنكمل ما قيل لي في هذه الليلة . » وبينما هما نازلان من الجبل ، قص عبد يشوع على قرداغ ما رآه في الحلم . ولما وصلا الى الدير، اجتمع الاخوة وهيأوا ما يلزم للعماد . فاقتبل قرداغ مع خادميه المعمودية المقدسة بفرح وابتهاج ، ثم اشتركوا في الاسرار المقدسة . ومكثوا بعد العماد عند عبد يشوع سبعة ايام ، ثم عاد قرداغ مع رفيقيه الى بيته والايمان بالمسيح يغمر قلبه فرحا . ولما بات في احدى مراحل عودته ، ظهر له الشيطان بزي مجوسي وقد تمزّقت ثيابه وهو يبكي ويولول ويقول : «لماذا تركتني يا ابني قرداغ وانضممت الى اعدائي؟» فاجابه قرداغ بشجاعة وقال : «اني واثق بقوة المسيح ربي ، باني سانقذ كثيرين من انيابك المبيدة واحملهم على السجود للمسيح ربي . » فقال له الشيطان : «ان لك اناسا ضعفاء يسكنون المغاور، اما انا فلي ملوك فارس كلها وعظماؤها . ولانك خدعتني ، فاني سأذهب واطلع الملوك والولاة على امرك لينزلوا بك شر ميتة . » اما قرداغ ، فرسم على ذاته اشارة الصليب وقال له : «ابادك المسيح ربي الذي في سبيل حبه انا مستعد لاحتمال الآلام والموت بفرح . » وفي الحال تغيّر ذاك المجوسي واصبح مثل حبشي شيخ وولى هاربا مولولا .

وما ان عاد قرداغ الى بيته ، حتى احضر اليه راهبا فاضلا اسمه اسحق ليعلّمه المزامير ويقرأ له الانجيل المقدس . ومنذئذ امتنع عن اكل اللحم ، واكتفى بتناول طعام بسيط مرة في النهار، وفتح كنوزه واخذ يوزع عطايا كثيرة وصدقات سخية على الكنائس والاديرة والاعمار المقدسة ، وعلى الفقراء والمحتاجين والايتام والارامل .

وكانت جموع المرضى تقصد داره كل حين، مما سبّب حرجا وانزعاجا لامرأته وذويه. فدعاهم قرداغ وقال لهم: «ايها الجهال، لماذا تحزنون على الاموال الارضية التي تُخزَن في السماء؟ ان شئتم فاسمعوا ما تقوله بشرى الرب السارة: «لا تكنزوا لكم كنوزا في الارض حيث يفسد السوس والآكلة، وحيث السارقون ينقبون ويسرقون، وحيث يكون كنزكم هناك يكون قبلكم ايضا»[٩] . . . فاذا كنتم تحبونني فحيث اكون انا تكونون انتم ايضا. واذا لستم معي، فانتم اذن عليّ. ولا تشفقوا على اموالي، لاني اعطيها للمسيح ربي الذي هو الملك الحق.» وقد تغيّر قرداغ وصار وديعا وحليما لذويه ولجميع الناس، وكفّ عن الحروب والخصومات التي كان يألفها، وامتنع عن الصيد واللعب في الميدان وعن امور اخرى كثيرة، وعكف على الصوم والصلاة وقراءة الكتب المقدسة. وكان مواظبا على سماع الدعاوي وتحرير المظلومين وانصافهم في جميع المناطق الخاضعة لحكمه.

وكان والداه يسكنان في قرية «برحبتون»[١٠] حيث كانت لهما اموال كثيرة وممتلكات واسعة ومعبد للنار كانا قد شيداه على نفقاتهما. وقد جعله قرداغ بعد مدة ديرا كبيرا دُعي باسمه . . . حزن والداه حزنا عميقا لدى سماعهما انه قد صار مسيحيا واخذ يوزع امواله على الكنائس والاديرة والفقراء. فقال والده لوالدته: «ان المصيبة التي حلت بنا لجسيمة، وسنصبح عارا عند رفاقنا. وظننا انه سيكون لنا وارثا صالحا واذا به يصبح هادما لبيتنا.» فقالت والدته: «ارى ان لا نمنعه، بل ندعه يفعل ما يشاء. ولعل ما يقوم به امر حسن؟ وربما نخطأ اذ نحاول صدّه عن ذلك.» فزجرها زوجها وقال لها: «اسكتي ايتها الغبية، فاظن انك انت ايضا مسيحية، ولعلك انت دفعت بابنك الى هذه الغباوة.» وفي الحال كتب اليه ابوه رسالة جاء فيها: «ولو انك قد ابغضت ذاتك واحتقرت حياتك فصرت مسيحيا وجلبت الهوان على عشيرتنا وجعلتنا عارا بين رفاقنا، ولكن لا يُسمَح لك بتوزيع اموال معبد النار واملاكه على

---

(٩) ـ متى ٦/١٩ ـ ٢١.

(١٠) ـ برحبتون قرية في الجبل الواقع على الضفة اليسرى من الزاب الكبير.

المسيحيين . » ولما استلم الطوباوي رسالة والده وقرأها ، ضحك كثيرا وقال : «ما اجهَل شيخنا وما اسرعَهُ الى جهنم ! » ورد على رسالته بالجواب التالي : «ايها الشيخ ، انك تسجد للنار ، وبالنار انت مزمع ان تتعذب . اما انا فاعطي اموالي للمسيح ، لاني سانعم معه واياه ارجو وعليه اتكل . ومعابد النار التي انت فخور بها ساجعلها قريبا هياكل للمسيح واقيم فيها مذابح جميلة . وليس لي معك نصيب او ميراث ، لان المسيح دعاني وقرّبني اليه وجعلني ابنا لابيه الخفي . »

اما امرأة قرداغ فلم تستطع الى الصبر سبيلا وهي ترى اموالها تتبدد بالعطايا والصدقات ، فعزمت على الكتابة الى ابيها لتخبره بالامر . وكان ابوها شابور نيكوركان ذا شأن كبير ويشغل منصب «شهارخواست» . ولما كتبت الرسالة وعزمت على ارسالها في غداة ذلك اليوم ، ظهر لها ليلا في الحلم شاب جميل المنظر لابسا ثيابا بيضا وجالسا على كرسي من ذهب على باب حصن الطوباوي ، وهو ممسك بقلم من نار ويكتب رسائل على رق ابيض عريض ويختمها بخاتمه ويرسلها الى السماء بأيدي شباب رائعي الجمال متوشحين ثيابا بيضا ويطيرون باجنحة نورانية الى السماء . فلما رأت هذا المنظر الرهيب والشباب صاعدين الى السماء ونازلين منها لابلاغ الرسائل ، دنت منه وسألته قائلة : «من انت يا سيدي ؟ وما عملك ؟ ولماذا انت جالس ههنا دون ان يحسَّ بك المرزبان ؟ وما الذي تكتبه ؟ » فاجابها : «انا زعيم قوات الرب الاله خالق السماء والارض . وقد ارسلني ملك العالمين العظيم لكي اسجل الهبات والصدقات التي يمنحها زوجُك ، وأُرسلُ بحسابها الى السماء . اما قولك ان المرزبان لم يحس بي ، فانه قول كاذب . فان المرزبان يعرفني وهو يدري اني ههنا . اما انتِ فلا تعرفينني لان قلبك متعلق بالارض . » وحينما استيقظت من نومها ، اعتراها خوف شديد وبادرت مرتجفة الى الطوباوي قرداغ وقصت عليه ما رأته ، وأرته كذلك الرسالة التي كتبتها في الامس لترسلها الى والدها . فقال لها قرداغ : «حقا ان الرؤيا التي رأيتها عظيمة ورهيبة وحقيقية ، ولكن قلبك غبي . وقد قال الرب في انجيله : «اني اتيت لاقسم الرجلَ على ابيه ، والابنةَ على امها ، والكنّةَ على حماتها ، واعداءُ المرء أهلُ بيته»[١١] . وقد يصل الامر الى حد يكون فيه انشقاق وانقسام بين الرجل وامرأته

(١١) ـ متى ١٠ / ٣٥ ـ ٣٦ .

مع كونهما جسدا واحدا. وقد قال الرب في موضع آخر من الانجيل: «حينما يتجلى في مجده يوم البعث وينال الابرار النعيم والاشرار العذاب، اثنان سيكونان على سرير واحد، واحد منهما يؤخذ للسماء للملكوت والنعيم، والآخر يُترك في الارض في جهنم والعذاب»[١٢]. اما انا، فلي ثقة بالمسيح باني ساذهب اليه سريعا بعد اموالي.» ومنذ ذلك اليوم، لم تتجاسر امرأته ان تقول له شيئا، ولم تُظهرْ من بعد وجهاً كاسفا بسبب تبذير الطوباوي امواله.

ومضى على قرداغ سنتان وثلاثة اشهر وهو يسير بمقتضى السيرة الفاضلة اللائقة بالمسيحيين الحقيقيين، فبلغ خبره الى الشعوب المتواجدة في الجنوب والغرب، وعلموا انه كفّ عن الحروب والقتال وفضّل حياة الهدوء، فاستعد الروم والعرب والشعوب المجاورة، واجتمعوا مثل رمل سواحل البحر، وشرعوا يتوغلون في المنطقة الخاضعة للطوباوي. اما هو فكان قبل ايام قلائل قد صعد الى الجبل عند معلمه مار عبد يشوع، ومكث عنده شهرا كاملا، وهما يترددان دوما الى الشيخ القديس بيري الناسك. فانتهزها الاعداء فرصة ليُعيثوا في منطقته فسادا، فدمروا البلاد وسبوا كثيرين من سكانها من نهر تورمارا الى مدينة نصيبين الواقعة على الحدود. وكان من بين الذين سبوهم والده ووالدته وامرأته وشقيقه واخته وجميع اهل بيته. ونجا من بين جنوده مئتان وخمسة وثلاثون فارسا، واخذوا يبحثون عنه في الجبل. فوجدوه في مغارة بيري الناسك مع معلمه عبد يشوع وقد اجتمع حوله عدد كبير من الكهنة لاكرامه. ولما رآهم قرداغ، بادرهم وقال لهم: «تبدون وكأنكم قد افلتّم من قبضة اللصوص.» فاجابه واحد ذو طباع شرسة ومتزمّت في وثنيته وقال: «حينما يسكن الوزراء والمرازبة في مغاور اللصوص والمضلّين، كان لابد من ان يحصل لنا ذلك.» وما ان قال هذا حتى ضربه ملاك الرب، فسقط في موضعه ومات حالا. ولما رأى رفاقه ما حدث له، خافوا خوفا شديدا وآمنوا كلهم بالرب يسوع المسيح واقتبلوا العماد في ذلك اليوم عينه. اما الطوباوي قرداغ، فقال للقديسين بيري وعبد يشوع: «ابويّ وسيديّ، صليا لاجلي لكي اذهب فأعيد السبي من الغزاة بقوة الرب.» فرسما عليه اشارة الصليب وقبّلاه ثم ودّعاه بسلام.

(١٢) ـ متى ٢٤/٤٠ ـ ٤١؛ لوقا ١٧/٣٤.

وحينما وصل الى قصره المشرف على قمة ملقي . وشاهد ما حل بالموضع من الدمار والقتل والنهب. حزن حزنا بالغا. فارسل على الفور سعاة في اثر الغزاة وكتب اليهم ما يأتي : «ظننتم اني انا قرداغ قد نزعت عني القوة الاولى للقتال والحرب . ولهذا تجرأتم فدخلتم الى بلادي ودمرتم منطقتي . الا فاعلموا اني لم انزع القوة بل قد لبست قوة لا تُقهَر. فارسلوا لي النفوس التي سبيتموها وخذوا الاموال واذهبوا بسلام. وخير لكم الا تثيروا حربا عليّ . » اما هم فحينما بلغتهم الرسائل. كتبوا اليه اقوالا مشينة وشتائم وكلمات تعيير. فكتب اليهم ثانية بالمعنى ذاته . ولكنهم كانوا واثقين بانفسهم وبوصولهم القريب الى بلدانهم . فقطعوا رأس اخيه وارسلوا به اليه . فلما رأى الطوباوي رأس اخيه مبتورا حزن وثار ثائره، وامر بضرب البوق. ودخل هو مع جنوده المئتين والاربعة والثلاثين وسبعة من عبيده الى كنيسة الله، وبسط ذراعيه الى الرب مبتهلا وقائلا: «احكم يا رب حكمي وقاتل الذين يقاتلونني[١٣]. امسك السلاح والترس وهلمّ الى عوني، انزع السيف وارفعه على مضطهديّ. وقل لنفسي: انا مخلّصك. . . » وحينما انهى صلاته، اخذ قليلا من تراب المذبح المقدس وذرّ منه على سلاحه وحصانه وعلى جنوده، وعلّق في عنقه صليبا من ذهب يحتوي على ذخيرة العود المقدس. ورفع يده ومدّ بصره الى العلى ونذر للرب نذرا وقال: «ايها الرب القدير الجبار، اذا كنتَ معي في الطريق الذي اسلكها وادركتُ اعدائي بقوتك وانتصرت عليهمْ وارجعت منهم السبي وعدت بسلام من هذه الحرب التي فُرضتْ عليّ، فاني سأستأصل معابد النار وابني بيوت الشهداء. وساهدم بيوت الاصنام واشيد في مواضعها مذابح مقدسة. والصبيان المجوس الذين خصصهم آباؤهم بخدمة الشياطين؛ ساجعلهم عبيدا للمسيح ورهبانا لخدمته، والكنوز والاموال التي خصصها آبائي بمعابد النار، ساوزعها على الكنائس والاديرة. » وحينما انتهى من التعبير عن نذره ووعوده، سُمعَ صوتٌ صادر عن بيت المقدس يقول: «تشجَّعْ وتقوَّ ولا تخفْ يا عبدي قرداغ. فاني معك، وساسلم اعداءك اليك. » ولما سمع ذلك الصوت، انطرح هو وجنوده على وجوههم امام مذبح الرب وظلوا هكذا مدة ساعتين ثم قاموا بفرح ومجدوا الله.

(١٣) ـ مزمور ٤٢/١ .

وامر قرداغ فضربوا بالبوق ثلاث مرات ثم امتطوا جيادهم. حينئذ قال له احد حملة سلاحه: «يا سيدي، اننا لا نعرف الطريق التي ينبغي السير فيها لملاحقة اعدائنا.» فضحك الطوباوي وقال له: «ان ذاك الذي بشرنا بالنصر هو الذي يدلنا على الطريق». ولما مضوا مسافة ميلين، ابصروا قطعا من حرير امرأته ملقاة على الطريق. فلقد تصرفت هذه المرأة بحكمة مدهشة، اذ نثرت قطعا من حرير ثيابها على الطريق في كل فرسخ او فرسخين، لتكون علامات تهدي زوجها لملاحقة الاعداء. فانها كانت واثقة ببسالته وشجاعته ورحمته وتعلم انه لا بد له من مطاردة السباة. ولما رأى الطوباوي تلك الرقع، فرح ومجّد الله. وساروا على هدى تلك الرقع حتى وصلوا الى منطقة قردو. ولما رفع نظره، رأى فصائل الاعداء حالّة على نهر الخابور وهم يأكلون ويشربون ويغنّون آمنين، وقد اخذتهم نشوة الانتصار في السبي والغنائم الكبيرة التي غنموها. اذ ذاك نزل الطوباوي من حصانه هو وجنوده وجثوا على الارض واخذوا يصلون ويبتهلون الى الله ان يوليهم النصر. وبعد الصلاة، امر الطوباوي بان يضربوا بالبوق ثلاث مرات وصرخوا صرخة مرعبة دوت لها تلك الهضبات، ثم انقضوا على الاعداء. وفي تلك اللحظة ظهر له القديس عبد يشوع معلمه رافعاً علامة الصليب بيده وجاريا امامه وهو يقول له: «يا بنيّ، هذه هي علامة انتصارك العظيم. فتشجَّعْ فان الرب قد سلّم اعداءك الى يدك.» فانقضّ الطوباوي على الاعداء انقضاض النسر على فريسته، وسطا عليهم كالبرق الرهيب والجبار الصنديد، وصرخ عليهم ثلاث صرخات مرعبة وقال لهم: «هذا هو يوم الجزاء لجسارتكم، ايها الكلاب الدنسة.» وما ان دارت المعركة حتى هرع السبايا كلهم الى لقاء قرداغ واحتموا به وصاروا من ورائه. واخذ يكيل الضربات لاعدائه حتى تشتتوا من امامه وصار يحصدهم كما تُحصَد سنابل الحقل، وسقطت جثثهم في نهر الخابور مثل الجراد، ولم ينجُ منهم سوى القلائل ممن لاذوا بالفرار الى الجبال المجاورة. فلاحقهم الى لحف الجبل الذي فوقه استقر فلك نوح. ثم عاد قرداغ ظافرا فرحا وهو يرتل: «هؤلاء بالعجلات وهؤلاء بالخيل، اما نحن فقوتنا باسم الرب الهنا. وهم ركعوا وسقطوا، ونحن وقفنا وتهيأنا، لان الرب الهنا خلّصنا...» ثم دخل معسكرات الاعداء فنهبها وارجع السبي كله. وفي طريق العودة، امر عند المبيت بان

يُضرَب بالبوق واجتمعت العساكر كلها واستعرضهم فوجدهم سالمين جميعا.

وما ان وصل الى داره، حتى امر باستئصال معابد النار التي بناها آباؤه، واقام عوضها هياكل مقدسة لله العلي. وهدم معابد الاصنام التي كان المجوس فيها يكرمون النار، وشيّد عوضها مذابح مقدسة للمسيح. وانجز للرب كل ما كان قد نذره. فلما رأى المجوس ما جرى، كتبوا سرا الى المجوسي الاكبر الذي يدعى موبدان موبيد. فدخل هذا على الملك شابور وقال له: «يا سيدي الملك، عشت الى الابد، ان قرداغ الذي اكرمتموه اكراما عظيما حتى جعلتموه وزيرا لآثور ومرزبانا على المنطقة الغربية، قد انضمَّ الى الديانة المسيحية، فاستأصل معابد النار وبنى الكنائس والاديرة، وهو يضايق المجوس ويضطرهم الى الانضمام الى الديانة المسيحية. انه قد احتقر السجود للآلهة وازدرى تعليم المجوسية وحسب مملكتكم ارملة لا زوج لها.» ولما سمع الملك هذا الكلام، زجره بعنف وقال له: «كيف سمعت هذا ولم تسمع بالانتصار العظيم الذي حققه قرداغ، اذ دمّر الالوف من الروم والعرب بمائتين واربعة وثلاثين رجلا؟» ولما سمع المجوسي هذا الكلام من الملك، اضطرب وغشيه خوف واخلد الى الصمت، ثم خرج حزينا من عند الملك. وذهب فجمع عظماء المملكة وحرضهم على الوشاية بقرداغ امام الملك. فاتفقوا كلهم وارسلوا يقولون للملك: «يا مولانا الملك، اذا طاب لكم ان تُرذَل الوثنية وتبطل وان نصبح جميعنا مسيحيين، فأوعزْ الى عبيدك في ما يترتب علينا فعله. والا فلماذا تتغافلون عن قرداغ الجسور الذي يهين الآلهة ويهدم معابد النار ويبني هياكل للدين المسيحي؟»

ولما سمع الملك هذا الكلام حزن جدا، اذ كان يكنّ لقرداغ مودّة عميقة. ونزولا عند رغبة العظماء، اضطر الى استدعاء قرداغ. فامر بكتابة رسالة اليه جاء فيها: «لقد سمعنا بالانتصار الباهر الذي احرزته على الروم والعرب والشعوب الاخرى الذين تجاسروا على الدخول الى ارضنا. فطاب لنا ان نشاهدك لنكافئك على انتصارك العظيم. ولدى وصول رسالتنا اليك، هلمّ عاجلا الينا دون ابطاء.» ذلك لان الملك خاف من اطلاعه على الامر جليا، لئلا يتمرد ويسبب الاضطراب في المملكة. ولما استلم الطوباوي رسالة الملك وقرأها، ابتسم وقال بلطف لحاملها: «ان الرسالة لا

تحمل اليّ ما في قلب الملك. ولكنه قال الحق أنَّ عليّ ان انال منه مواهب عظيمة وباقية، وانا مستعد للذهاب اليه بفرح عظيم.» وذهب حالا الى الكنيسة وفتح الرسالة امام الرب وصلى قائلا: «ايها المسيحُ ابن الله، الذي افتدى كنيسته بدمه ونقض الخطيئة، وأهّلني انا الخاطىء لاكون من المنتسبين اليه، أعطِني القوة لكي اجابه الجهاد الذي ينتظرني، وهبني ان اخوضه بانتصار وان اموت لاجلك، وفمي يلهج بشكرك وبتمجيد اسمك». ثم رسم على نفسه اشارة الصليب وانطلق شطر العاصمة. ولما وصل البلاط، ارسل الملك يقول له سرا: «ان المجوس وعظماء المملكة حانقون عليك ويريدون قتلك، لانهم سمعوا انك قد نبذت الديانة المجوسية والسجود للآلهة وصرت مسيحيا. فحينما تمثل امامي، لا تقلْ انك مسيحي، لكي يخجل مقرّفوك، فتنال منا اكراما عظيما. ولدى عودتك الى منطقتك، اعمل كما تشاء.»

وفي صباح اليوم التالي، أُمِر الطوباوي بالمثول امام الملك. ولدى دخوله، كان جميع المجوس وعظماء المملكة قد اجتمعوا هناك واخذوا يتهددونه ويحرقون الارمّ عليه. اما الطوباوي، فنظر اليهم بوداعة واخذ يتلو المزامير في قلبه ويقول: «احاطَ بي جميعُ الشعوب وباسم الرب قهرتُهم. احدقوا بي واكتنفوني وباسم الرب قهرتُهم. احاطوني كالنحل، ثم خمدوا كنار الشوك، وباسم الرب قهرتُهم...»(١٤) ولما مثل امام الملك، صاح الملك وقال له: «اتيت اهلا وسهلا، ايها الجندي الظافر، يا زينة مملكتنا. لقد سمعنا بانتصاراتك وامتدحنا بأسك، ونحن مستعدون ان نكافئك مكافأة عظيمة. ولكننا سمعنا ايضا ما هو اصعب من ذلك. فاذا كان الامر هكذا ـ وحاشاك ذلك ـ فانك تستحق الموت الزؤام. فيقال انك نبذت الديانة المجوسية العظيمة واحتقرت الآلهة وصرت مسيحيا.» وحينا كان الملك يقول هذا الكلام، كان يغمزله بعينيه ان ينكر ذلك ويقول انه ليس مسيحيا. اما الطوباوي قرداغ، فاستنجد بالله سرا ودعاه الى معونته وردد في قلبه ما قاله داود: «اني انطق بالصدق امام الملوك ولا اخجل»، ثم فتح فمه بشجاعة وقال للملك: «حقا ايها الملك اني مسيحي.

(١٤) ـ مزمور ١١٧/ ١٠ ـ ١٢.

واني اعترفت واعترف سرا وعلنا بكوني مسيحيا. واني بقوة المسيح قد انتصرت على الاعداء ودمرت معسكرات الغزاة الذين تجرأوا على البلدان التي عهدتُـم بها الى ادارتي.»

فحزن الملك حزنا عميقا لدى سماعه هذا الكلام، وتظاهر بالغضب مراعاة لعظماء المملكة، وقال للقديس: «لانك جحدت امامنا الآلهة التي تدير السماء والارض، واعترفت بيسوع الذي صلبه اليهود، فنحن ايضا نجحد محبتك ونسلمك الى اشنع موت.» ورفع العظماء وجميع المجوس اصواتهم وقالوا: «انه يستحق الف موت وموت.» فامر الملك بان تُربَط يداه ورجلاه ويُرسل الى بلاده لتجري محاكمته هناك. وفعل الملك هذا ظانا انه اذا كُبّل بالسلاسل زمانا طويلا فلعله يندم وينبذ المسيحية فيحيا. اما رئيس المجوس فكان يطلب ان يسلم اليه ليدينه حسب جسامة ذنبه. ولكن الملك لم يلبِّ طلبه، اذ كان يرمي الى انقاذ القديس، فارسله الى بلاده مصحوبا بمائة فارس وخمسين راجلاً وعشرين من الاشراف، لكي يُحاكم هناك. وكتب رسالة الى كوشتزداد ودينكوشنسف حاكمي تلك البلدان جاء فيها: «ان قرداغ الذي اكرمناه اكراما كبيرا كما تعلمان، واقمناه وزيرا ومرزبانا على تلك البلدان، قد جحد الآلهة واحتقر مملكتنا وازدرى ديانتنا، واعترف بيسوع المصلوب وصار مسيحيا. فهوذا قد ارسلناه اليكم مخفورا مع حراس امناء، وقد امرنا بامهاله سبعة اشهر للتفكير والعودة عن رأيه. فاذا لا يبتعد في هذا الزمان المحدد عن الديانة المسيحية ويستأصل بيده أو بيد ذويه الكنائس والاديرة التي بناها ويبني معابد النار من جديد ويعود الى ديانة المجوس ويسجد للآلهة الشمس والقمر والنار، فقد امرنا برجمه بالحجارة على باب داره، ونحن براء من دمه.»

ولما وصلت رسالة الملك الى الحاكمَين المذكورين بشأن قرداغ وقرأاها، قاما عاجلا واتيا به الى «بورزميهر» الذي كان قائدا في الحدود تمتد سلطته من نصيبين الى المنطقة الغربية. وما ان سمع بورزميهر بقدوم قرداغ حتى هرع لاستقباله مع وجهاء المجوس الموجودين في المدينة، وادخلوه الى المدينة بحفاوة وشرعوا يناشدونه بالعودة الى الوثنية ليمارس سلطته حسب امر الملك. اما هو فقال لهم: «انني مسيحي ولا اسجد للشمس والقمر مثلكم.» واذ لم يذعن لهم، انطلقوا به الى

الحاكم «شهرخواست» الذي كان الملك قد خوّله محاكمة كل الذين ينبذون الديانة المجوسية . ومال النهار الى الغروب حينما بلغوا ازاء دير ماريهوب . وكان الوثنيون كثيرين على ضفاف النهر القريب من دير ماريهوب وفي القرى المجاورة . وكان هناك مقر شهرخَواست، وهو شديد التعصب للوثنية، وقد عذّب المسيحيين كثيرا بغية ارجاعهم الى الوثنية . فخرج هذا الى لقاء قرداغ . ولما رآه قال له : «اني لا أسجد لك لانك تركت المجوسية وصرت مسيحيا . ولكن اسمعني واسجد للشمس والقمر وعد الى ديانة المجوس، والا فسأذيقك الامّرين . » فقال له قرداغ : «زجرك المسيح الذي اعترفتُ به، ايها الكلب النجس . » فاحتدم الحاكم غيظا لدى سماعه هذا الكلام وامر بمضاعفة قيوده، واحضروا امامه مختلف التعذيب ووضعوا سلسلة حديدية في عنقه ونكّلوا به اي تنكيل .

وفي تلك الليلة، ظهر له القديس عبد يشوع ومعلمه وبيري الناسك والطوباوي مار سركيس الشهيد وقالوا له : «تشجَّعْ ولاَ تخفْ يا قرداغ . » فقام وصلى معهم . ثم رسموا عليه اشارة الصليب وشجعوه ثانية وانصرفوا . اما هو فاستمر على الصلاة طوال الليل، وكان مستعدا ان ينال اكليل الشهدة في ذلك المكان نفسهُ . . .

في الصباح، اجتمع الوثنيون واخذوا يتوعدونه ويقولون انه ان لم يسجد للشمس فسيبيدونه شر ابادة . اما هو فقال لهم : «اليكم عني يا ابناء جهنم . فاني انما اسجد للمسيح الملك الذي هو اله الآلهة ورب الارباب . » ولما سمع الحاكم ذلك، كان بودّه ان يقتله هناك لولا امر الملك القاضي باعطائه مهلة سبعة اشهر . وكان الحكام الذين رافقوه ايضا غير موافقين على قتله هناكَ . فاعادوه الى بيته لكي يموت هناك حسب امر الملك . وحينما وصل قرداغ قرب حصنه الواقع بجانب قرية ملقي ورفع عينيه ورأى قصره وبيته، شخص بنظره الى السماء ورفع فكره الى الله وصلى قائلا : «ايها المسيح رجائي، انت الذي اسلمت نفسك للصليب ويديك ورجليك للمسامير لاجل خلاص البشر، وحررت آدم وبنيه من قيود الموت، حرّرني انا ايضا من هذه القيود وخلّصني من الشعوب الضالة، ليرى مبغضيّ ويخزوا لانك انت ساعدتني وعزّيتني . » وفي الحال سقطت القيود من يديه ورجليه، فعاد وسجد نحو المشرق وبسط يديه نحو السماء وشكر الله . ولما عاين الذين معه ذلك الامر، لاذ بعضهم

بالفرار وتشتت الآخرون واختبأوا بين قصب المستنقع الواقع على مقربة من حصن القديس. اما هو فصعد الى قصره ودخل بيته فرحا مشيدا بحمد الله. وشجع امرأته واخته وذويه، وامر باقامة حراس ورقباء على سور حصنه.

ولما بلغ الخبر مسامع الملك، اضطرب واحتدم غيظا وزأر كالأسد الهصور. وكتب على الفور رسالة الى بورزميهر قائد المنطقة الغربية يامره فيها بارسال كتائب الفرسان ليحاصر حصن الطوباوي ويحتله ثم يرجمه امام باب حصنه. واذا عجز الفرسان عن محاصرة الحصن واحتلاله، فليذهب القائد نفسه مع كل جنوده ويحتل الحصن. فارسل القائد عشرين كتيبة من الجنود وحاصروا حصن الطوباوي طوال شهر ولكن دون جدوى. وسقط العديد منهم في القتال، اذ كان قرداغ يطلّ عليهم كالبرق من السور ويرميهم بوابل سهامه ويجندلهم. فجاء القائد نفسه مع جيشه كله، ولكنهم لم يحصلوا على نتيجة...

اذ ذاك كتبوا الى الملك ليخبروه بالامر وليقترحوا عليه استعمال الحيل للقبض على قرداغ. فامر الملك برحيل الجنود عن الحصن وببقاء عشر كتائب منها فقط على بعد ميلين او ثلاثة من الحصن. واجتمع وجهاء عشيرة قرداغ، بايعاز من الملك، لكي يلتمسوا منه ان يساعدهم لئلا يهلك ذووه بسببه. ولما اجتمعوا حول الحصن، صعد قرداغ وخاطبهم من فوق السور وقال: «لماذا تزعجون انفسكم ايها الناس، ولماذا انتم مجتمعون؟» فسجدوا له من بعيد وبكوا جميعهم وقالوا له: «اشفق على نفسك وعلينا. ولا تقاوم الملك فتخلف سمعة سيئة لعشيرتنا الشهيرة. بل مُرْ بفتح باب الحصن واخرجْ الينا وأطِعْ أمر الملك واسجدْ مرة واحدة فقط للنار والشمس، وانقذ حياتك وانقذنا، بعدئذ افعل ما شئت.» اما الطوباوي فاجابهم: «ليتكم تشفقون على انفسكم كما اشفق عليكم انا. فلأني حقا اشفقت على نفسي انقذتها من الضلال الذي ما زلتم فيه، وقرّبتها الى المسيح نور العالم. وانا مستعد لاحتمال الف ميتة لاجل اسمه القدوس. واذا تسمعوني، فانكم تشتركون معي لكي نقدّم للمسيح جوقة من الشهداء فنرتفع الى السماء وننعم معه بالحياة الخالدة. اما قولكم لا تقاوم امر الملك فانكم تكلمتم كلام العجائز. فما الاصعب، ان اقاوم انسانا مسكينا يوجد

اليوم وغدا لن يكون. أم ان اقاوم ملك الملوك السماوي الذي لا يزول ملكه ولا يتغير لاهوته؟ فطالما كنت في الوثنية مثلكم دون ان أعرف المسيح رجائي الحقيقي، خضعت للملك الوثني الاثيم وخضت المعارك في سبيله بكل بسالة. اما الآن وقد عرفت ان المسيح هو الملك السماوي والرجاء الحقيقي، فاني لا اخضع للملوك الضالين والمائتين ولا اخاف من تهديداتهم.» فلما سمعوه يهين الملك ويدعوه اثيما وضالا، صرخوا جميعهم وسدوا آذانهم وقال بعضهم لبعض: «لنبتعد من ههنا ولا نسمع التجديف على ملك الملوك المسجود.» فضحك الطوباوي وقال لهم: «انكم حقا لبؤساء، فانكم تجدفون على الله خالق العالمين ومدبرها، وتؤدون للخلائق الصماء السجود الواجب له، وتتملقون الانسان المائت البعيد عن الله.»

وبينما كان قرداغ يخاطبهم، اقبل كوشنزداد ودينكوشنسف الحاكمان مع مجوس آخرين ودنوا من حصن الطوباوي وقالوا له: «اننا لا نسجد لك لانك اهنت الآلهة وقاومت ملك الملوك واصبحت مسيحيا، ولكن اسمع ما امر به ملك الملوك في رسائله بشأنك. فقد امر ملك الملوك قائلا: «اسجد للنار والشمس والقمر، وابن من جديد ما هدمته من معابد النار، واستأصل الكنائس والاديرة التي شيدتها، وجدد انتماءك الى المجوسية، فتحيَ ولن تموت، بل تعود الى سلطتك.» فنفر الطوباوي وقال لهم: «سدوا افواهكم ايها النجسون خدَمة الشيطان. فحاشا لي ان اتخلى عن الاله الحق الذي خلق السماء والارض واسجد للخلائق الصماء. فاني احسب اوامر ملككم الوثني تجاديف يوجهها الشياطين بوقاحتهم الى الله.» فلما سمع المجوس هذا الكلام، عادوا ادراجهم مولولين قائلين: «من ذا الذي يستطيع سماع التجديف على ملك الملوك؟» وانحنى واحد منهم اسمه «سيبرزاد» واخذ حفنة من تراب الارض وذرّه قبالة الطوباوي وقال: «هذا في فم الذي جدّف على الآلهة وعلى ملك الملوك.» واذ ذاك اومأ الطوباوي الى احد عبيده لكي يناوله القوس وسهما واحدا.

فرماه القديس واصاب المجوسي في فمه واخترقه وخرج من ورائه، فمات للوقت في مكانه. فضحك قرداغ وقال له: «خذها مكافأة لك على محبتك لآلهتك وملكك.» فلاذ المجوس الآخرون بالفرار مذعورين، وانطلق وجهاء عشيرته خائبين حزانى.

فنادى الطوباوي احدهم اسمه انوش، وكان رجلا شهيرا بالمعزفة والاستقامة، وقال له: «هل تظن يا انوش اني اتحصن ههنا خوفا من الموت في سبيل المسيح؟ كلا ثم كلا. فالموت في سبيل المسيح ألذُّ اليّ من الحياة الزمنية. ولكني لن اسلم نفسي بين ايدي اناس ضالين الى ان يوعز اليّ المسيح بذلك اويقال لي في رؤيا الليل ان قد حان وقت الموت في سبيل المسيح. واني واثق بقوة المسيح ربي انه ليس ثمة من يستطيع الحاق الاذى بي. وحينما يريد المسيح ان اموت لاجله، فاني ساخرج فرحا واسلم نفسي للقتل.»

ولما علم الملك بهذه الاحداث، وجه رسائل الى «نكوركان» حمي الطوباوي، يأمره فيها بان يذهب ويقنع قرداغ بفتح باب حصنه، وان لم يفعل ذلك، فان حكم الموت القاسي سيُنَفَّذ بنكوركان نفسه. فجاء هذا الرجل وحلّ بعيدا عن حصن الطوباوي على مرمى سهمين، وارسل يقول للطوباوي ان يصعد الى السور ويكلّمه. فصعد قرداغ وجلس ازاءه وقال له: «اقترب الى ههنا، ايها الشيخ، ولا تخفْ.» ولما دنا، قال له قرداغ: «لماذا تزعج نفسك يا نكوركان؟ ولمَ اتيتَ الى ههنا؟» فبكى الرجل بكاء مرا وقال له: «اني معذّب بالمصائب التي داهمتني، اذ فقدتُ ختناً لا مثيلَ له بين الرجال، وهوذا الموت يهددني ان لم تفتح باب الحصن وتساعدني.» فاجابه الطوباوي: «انما قد فقدتَ عقلك بضلال الشياطين لهذا تحسبني مفقودا. فلولم تفقد عقلك، لأدركتَ اني لم أُفقَد، بل وُجِدتُ للمسيح واجد المفقودين. فالمفقود هو انت اذ تركت الله الخالق وتسجد للخلائق الصماء التي خُلقت لاكرامك وراحتك.» فقال له نكوركان: «احسبني كما تشاء، واحتقرني كما ترغب، انما انقذني من الموت. فان ملك الملوك غاضب عليّ بسببك. فاصنع احد الامرين: اما ان تطيع الملك فتترك المسيحية وتعود الى المجوسية وتسجد للنار والشمس والقمر، وتبني معابد النار التي هدمتها، واما ان تخرج وتموت كما يموت المسيحيون الجهلة، فلا نموت نحن بسببك.» فاجابه قرداغ: «اني لا اطيع الملك الوثني الاثيم، ولا اتخلى عن الله الذي خلقني وخلصني ويهتم بي وهو مزمع ان يسعدني في ملكوته، ولا اسجد للخلائق مثلكم، ولا امتنع عن الموت في سبيل المسيح، بل اموت فرحا، وانتم لن تموتوا بسببي. ويا ليتكم كنتم مدركين لتموتوا عوض حياتكم.

وانـك بجنونـك قد دعـوت المسيحيين الـذين يموتون في سبيل ربهم جهالة . ولكن اجلس الآن وأبعدْ عنك القلق والحزن ، ريثما اذهب واسأل المسيح ليطلعني هل قد حان الاوان لأموت في سبيله . فاذا حسن لارادته وحان الزمان لانال اكليل الشهادة في نهاية جهادي لاجله ، فاني ساخرج بفرح واسلم نفسي الى القتلة .

فانتشر الخبر في جميع البلدان الخاضعة لسلطة الطوباوي ان قرداغ يتهيأ للموت في سبيـل المسيـح . فاقبلت جمـوع غفيـرة من كل البلدان من مسيحيين ويهود ووثنيين ، وحلوا حول حصن الطـوبـاوي ، وهم ينتظـرون مشاهدة يوم استشهاد البطل الصنـديـد . واقبـل ابـوه وذووه ايضا . وظل الجميع منتظرين هناك مدة واحد وعشرين يوما . اما الطوباوي فكان عاكفا على الصلاة والتضرع ، مبتهلا الى المسيح ان يقويه ويشجعـه لكي يختم حيـاتـه باكليل الشهادة . وكان والده يتضرع اليه باكيا ويسأله ان يصعد الى السور ليراه ويكلّمه ويسمع منه ما يريد ان يقوله له . ولكنه رفض ذلك ، بل ارسل واحدا من اتباعه ليقول له : «ان المسيح ربنا ينادينا في انجيله ويقول : «كل من لا يتـرك ابـاه وامـه واخوته وامرأته وبنيه ويتبعني ، فلا يستحقني . ولهذا فانا لا اريد ان ارى وجهـك ، لان افكـارك واقـوالك مضادة للطريق التي انا سالك فيه . » وبعد ذلك ارسل اليه نكوركان يقول : «ارسل اليّ شوشان ابنتي لاني مشتاق الى رؤيتها . » فقال الطـوبـاوي لزوجتـه : «اخرجي الى ابيك وانظري ماذا يريد منك . ولكني اعرف انك ستحصلين منـه على فقـدان حيـاتـك . » وحينما خرجت الى ابيها ، قال لها هذا : «يا ابنتي الحبيبة ، أشفقي على شيخوختي ولا تفضلي محبة زوجك على محبة والدك ، ولا تبيعي حياة شيخوختي برجل تمرَّدَ على الآلهة وعلى الملك . فلا مجال ليكون لك والـد آخـر . امـا زوجـك ، فاذا مات اليوم ، فانك ستجدين غدا واحدا آخر خيرا منه . فأقنعيـه ليفتـح البـاب ويخـرج فننجو من الخطر . » فعادت من ساعتها الى الطوباوي وقـالـت له : «ان كنت مسيحيـا ، فاخـرج بشجـاعـة ومُتْ ببسـالـة ، كمـا يموت المسيحيون . فلماذا تنزوي كالضعفاء الجبناء في هذا الحصن ، في حين ان كثيرين يموتون بسببك؟» فاجابها قرداغ : «حقا من فضلات القلب تتكلم الشفتان ، كما قال المخلص ، وما انت ناطقة به انما هو من مكائد الوثنية الخبيثة ومن ثمار الشر . ولكن لا تضطربي يا ابنة الهلاك ، فاني مستعد لاموت حتى قبل تمليقاتك الماكرة هذه . »

بعد ذلك رأى قرداغ رؤيا رهيبة. ففي عشية الجمعة، عكف حسب عادته على الصلاة. ولما انهى صلاته في الفجر، التفت فرأى ذاته على تلة صغيرة امام باب حصنه تحيط به جموع غفيرة وتنثر عليه اللآلىء. وحينما كانت تلك اللآلىء تتساقط على جسمه، كانت تنبجس من مواضعها قطرات دم سرعان ما تتحول الى مشاعل وتطير الى السماء. وكان رجل يلبس ثيابا بهية وهو مكلل باكليل من النور واقفا فوقه في الفضاء ويقول له: «يا اخي قرداغ». فاجابه هو: «هاءنذا». فقال له: «ان هذه اللالىء انهالت عليّ انا ايضا في اورشليم من ابناء شعبي وعشيرتي. والآن سيأتي ابوك ويرميك هو ايضا بلؤلؤة وسترتفع حالا اليّ بفرح.» فسأله قرداغ وقال له: «من انت ياسيدي؟» فاجابه: «انا الشماس اسطيفانس الذي رُجمت في اورشليم في سبيل بشارة الحياة.» وفي الحال استيقظ الطوباوي من نومه وقد تولاه خوف شديد. فدعا معلمه اسحق الذي كان يعلمه المزامير ويقرأ له الكتب المقدسة، وقصّ عليه رؤياه. وفكرا منذهلين في هذه الرؤيا، وادركا ان الزمان قد حان لكي يموت الطوباوي في سبيل المسيح. فقال قرداغ لاسحق: «اين كُتبتْ قصة استشهاد اسطيفانس القديس؟» فاجابه اسحق: «انها مكتوبة في سفر اعمال الرسل.» فقال له قرداغ: «هلمّ بها واقرأها لي». ولما سمع قرداغ خبر استشهاد القديس اسطيفانس، غمره فرح عظيم وتشجع كثيرا واشتاق الى الموت في سبيل المسيح اشتياق المسافر العطشان الى الماء البارد في زمان الحر الشديد.

وجثا الطوباوي في الحال وصلى وقبّل كتاب الانجيل المقدس ورسم اشارة الصليب على ذاته. ثم فتح باب حصنه وخرج خروج العريس من خدره. ولما عرفت الجموع ذلك، حدث اضطراب في المعسكرات، واقبل الجميع مسرعين، المسيحيون واليهود والوثنيون، صغارا وكبارا، رجالا ونساء، وكانوا يهرعون لمشاهدة الطوباوي حينما ينال اكليل الشهادة. واسرع الفرسان وهم مدججون بالسلاح واخذوا يضطرون الحاضرين ويقولون لهم: «ليتناول كلُ واحد حجرا ليرجم به قرداغ». واجتمع المجوس مع العظماء وجلسوا يقرأون قرار الحكم الذي ارسله الملك. اما الطوباوي، فحينما رأى جموع الوثنيين واليهود وهم يحملون حجارة ويهجمون عليه ليرجموه، نظر الى السماء ورسم اشارة الصليب على نفسه، وصلى

بصوت عال وقال: «ايها الرب يسوع المسيح ابن الله، ساعدني في هذه الساعة، وأهلني لاختلط بفرح بجموع قديسيك.» وحينما قال هذا جثا على الارض، وانهالت الحجارة عليه وتكدست فوقه. ولكنه قام ببسالة ونفض عنه الحجارة. وهكذا فعل مرتين. وبينما كان الفرسان والمجوس يحرضون الجموع على رشق الحجارة بشدة، قال لهم الطوباوي: «اني لا اموت الا حينما يرميني ابي بحجرة.» وكان ابوه ثملا بضلال الوثنية وخائفا من الموت ويحاول تمليق الملك والعظماء، فاخذ منديله ولفّه على وجهه ورمى ابنه بحجر. وفي الحال فاضت روح قرداغ البطل وانتقلت الى دار الخلود.

وفي تلك الساعة فاحت رائحة زكية من الموضع الذي فيه رُجم الطوباوي، وسُمع صوت يقول: «ايها المظفر قرداغ، لقد جاهدت جهادا حسنا، واحرزت نصرا بطوليا، فهلمّ بفرح وخذ اكليل النصر.»

استشهد القديس مار قرداغ في السنة التاسعة والاربعين لحكم شابور الثاني (٣٥٨ م) في يوم الجمعة (الواقعة في الاسبوع الاخير من اسابيع القيظ). وفي عشية السبت، اجتمع قوم من المسيحيين واختطفوا جسده من الحراس وواروه الثرى باكرام عظيم.

وكانت الجموع تقصد كل سنة موضع رجمه في ذكرى استشهاده وتقيم له عيدا وتذكارا مدة ثلاثة ايام. وعلى مر السنين تطوّر العيد الى احتفال كبير يدوم ستة ايام، واخذ الناس يبيعون ويشترون في الموضع لسد احتياجاتهم، حتى دُعي الموضع «سوق ملقي» نسبة الى القرية التي فيها يقع حصن مار قرداغ الشهيد. وبعد ذلك شيّدت كنيسة فخمة على اسم مار قرداغ على التل الذي فيه رُجم.

. . . . . وقد بُني مزار لمار قرداغ بالقرب من القوش وبجانبه دير كبير على اسمه. ويقصد المزارَ كثيرٌ من اهالي القوش والقرى المجاورة، ولا سيما في يوم عيده، وتنسب اليه بعض العجائب.

في السنة الثالثة والخمسين لحكم شابور الثاني (٣٦٢ م)، وهي السنة الثانية والعشرون لاضطهادنا، توجه شابور بجيشه الى منطقة الروم وحاصر قلعة بيث زبدى واحتلها ودمّر سورها، وأباد معظم المحاربين فيها بحد السيف، وسبى منها نحو تسعة آلاف شخص من الرجال والنساء، ومعهم الاسقف هليودورس، مع كاهنين شيخين هما دوسا وماريهب وغيرهما من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات. فاخذوهم الى الاهواز، لان الملك كان عائدا الى هناك.

وفي احدى المراحل، في موضع يدعى «دستا قرتا»[1]، داهم المرض الاسقف هليودورس فوضع يده على الكاهن دوسا ورسمه اسقفا ورئيسا للجماعة. وسلم اليه المذبح المتنقل الذي كان معه، لكي يقوم بخدمته كما يليق، ثم توفي هليودورس ودُفن هناك باكرام.

وواصلوا طريقهم. وكان المسيحيون في كل مرحلة يجتمعون في موضع واحد ويتلون المزامير باجواق. وكان هذا شأنهم كل يوم، مما اوغر قلوب المجوس عليهم، فاضمروا لهم السوء ووشوا بهم لدى رئيس الحكام «آذرفرزجرد» الذي بمشورته كان قد سُفك دمُ شهداء كثيرين في ارض المشرق. ودخل هذا الحاكم الاثيم على الملك وقال له: «ايها الملك الصالح، ان بين المسبيين، رجالا ونساء ممن ينتمون الى مذهبه، ويلعنون كلهم جلالتك ويحتقرونها. انهم يفعلون ذلك كل يوم. وسألتهم اكثر من مرة بالكف عن ذلك، ولكنهم زادوا في لعنك وفي التجديف على آلهة الفرس.»

وكان الملك آنذاك في «دورساك» في منطقة الدارين. فاصدر امرا الى رئيس الحكام هذا والى زعيم آخر يدعى «هزارفات» (اي رئيس الالف) وقال لهما: «اذهبا واتيا بالمكر برئيس اولئك المسيحيين وبجميع ابناء مذهبه وقولوا لهم هكذا: لقد سرّ

---

(١) ـ قد تكون «دسقرتا دملكا» المسماة اسكي بغداد وهي واقعة بالقرب من شهربان (المقدادية الحالية).

الملك كثيرا بحسن تصرفكم، وامر بان تبقوا ههنا في هذا الجبل. فان الموضع خصب وقراه جميلة واراضيه مروية، وسيكون لكم سبب راحة دائمة... وحينما يجتمع اولئك الذين يلعنون جلالتنا ويحتقرون آلهتنا، اصعدوا بهم الى هذا الجبل واستنطقوهم هناك. فمن يمتثل امري ويسجد للشمس والقمر ويجحد الاله الذي يسجد له قيصر، فذاك يستقر في هذه القرى براحة وطمأنينة. ومن لا يخضع لهذا الامر، يقضى عليه ويباد بالسيف.»

فخرج هذان الشخصان بصحبة مائة فارس ومائتي راجل، واستدعوا الاسقف دوسا والخوراسقف ماريهب والكهنة والشمامسة والرهبان والعلمانيين الذين كانوا يلازمونهم، وكلموهم بهذه الاقوال الخداعة. وكان عدد هؤلاء المسيحيين يربو على ثلاثمائة شخص. فاصعدوهم الى الجبل المسمى «ماسبدان» الى قرية تدعى «كبتا» (الجفنة)، واقاموهم خارج القرية. وعندئذ كشف اذرفرزجرد عن نواياه الشريرة وعن مكره وخداعه وقال لهم: «اعلموا ان الملك قد امر بابادتكم في هذا الموضع لانكم كنتم كل يوم تشتمون الملك وتجدفون على آلهة الفرس. فالآن اذا سمعتم نصيحتنا، فانكم تحيون وتخلصون. فامتثلوا اذن امر الملك واسجدوا للشمس والقمر وتخلوا عن الولاء لقيصر، وتمسكوا بمذهب شابور ملك الملوك، لانكم عبيده وله كل السلطة عليكم. فاذا اذعنتم لهذا الامر، فاني قد خُوِّلتُ السلطة لكي ادعكم تسكنون هذه القرى الجيدة الخصبة وفي هذه المنطقة المزروعة بالكروم والزيتون والنخيل، كما تلاحظون ذلك، وامنحكم كل ما تتمنون من الهبات والمعونات. اما اذا لم تذعنوا لامر الملك، فاعلموا انكم اليوم تموتون بحد السيف ولن يبقى احدكم على قيد الحياة، بمقتضى الامر الذي تلقيناه من الملك.»

فاجاب دوسا وقال بأعلى صوته: «يا ايها الشعب الغارق في دم بلاده والمتمرّغ في دماء البلدان الاخرى. انكم قد قتلتّم اهل البلاد والغرباء، وقتلتم المواطنين والمسبيين، فماذا استفدتم من ذلك؟ وبماذا تجاوبون عنه؟ فان العدالة ترصدكم والقصاص المحتوم ينتظركم. فانكم تتلوثون كثيرا بدماء شهداء المغرب، لكي تختم شهادة دمنا الطاهرة صكوك آثامكم مع جميع دماء الشهداء التي سفكتموها. وهذه الخديعة التي اطلعتمونا عليها هي لنا مدعاة فرح عميق، والامر الظالم الذي

اظهرتموه لنا هولنا دافع الى ابتهاج عظيم. فمن هو قاتلنا؟ ليقمْ عاجلا. ومن هو مُبيدنا؟ فلينفّذ الأمرَ دون تأخير. فان اله جميعنا واحد، وهو الذي سلمنا الى ايديكم بسبب خطايانا، ولكنه الآن ترحم علينا وتصالح معنا ومن اجله نموت اليوم على ايديكم. ومعاذ الله ان نسجد للشمس والقمر وهي من صنع يديه، او ان نمتثل امر ملككم الذي يفترس البشر. فاننا على ايماننا ثابتون، ولالهنا الحق ساجدون، ذلك الذي يسجد له قيصر ويؤمن به. واننا بالمجد والغبطة نمضي الى الموضع الذي نحن اليه منطلقون. ولكن الويل لكم ايها النجسون الذين نشرتم الضلال في المشرق بتعليمكم الذي لا اله له. فان الله سيدحض سريعا هذا التعليم ويبيدكم ويقضي على ضلالكم ويزيل كذبكم من ارض المشرق كلها. ولكن اعلم اننا جميعا ثابتون على هذا الرأي وهذا الفكر الراسخ، كما قلت لك. فأنجز الان ما أُمرتَ به دون مماطلة.

حينئذ امر الحاكم المشاة الذين معه بان يقتادوا خمسين خمسين منهم ويقتلوهم سوية. فقتلوا منهم مائتين وخمسة وسبعين. اما خمسة وعشرون من الرجال والنساء، فقد تخاذلوا وسجدوا للشمس، فاسكنوهم في تلك البلاد.

وكان بين القتلى شماس اسمه عبد يشوع لم تكن جروحه مميتة. فما ان غابت الشمس حتى استطاع الوصول الى القرية. فاستقبله هناك رجل فقير وادخله الى بيته وغسل جروحه وضمدها. وعند الصباح، اخذ عبد يشوع هذا الرجل واثنين من اولاده، وذهب بهم الى موضع الاستشهاد، واراهم جثث دوسا وماريهب والكهنة الاخرين. فاخذوها وصعدوا بها قليلا الى الجبل، فرأوا مغارة صغيرة هناك، فوضعوا الجثث فيها وسدوا فوهتها بحجارة كبيرة. ثم نزلوا عند عبد يشوع فرأوه راكعا يصلي ويبكي في موضع الاستشهاد.

وكان في تلك الكورة رعاة وثنيون كرمانيون[٢]. فهؤلاء رأوا في ثلاثة ليالٍ متتالية اجواقا من الملائكة نازلة وصاعدة في الموضع الذي فيه استشهد هؤلاء الناس، وأخذوا يمجدون الله وتولاهم الخوف والهلع امام هذا المنظر، واخبروا به في المنطقة

(٢) ـ اي من منطقة كرمان الواقعة شرقي منطقة فارس.

كلها. وعلى أثر هذه الرؤيا، انضموا هم ايضا الى الايمان القويم.

اما الشماس عبد يشوع، فاخذ يبشر بالمسيح في تلك البلاد، وعزم على المكوث هناك طوال حياته، ليكون قريبا من عظام القديسين الذين استشهدوا هناك. فأمضى ثلاثين يوما وهو لا يكف عن التعليم والتبشير بالله، وكان يقرن اقواله باعماله الصالحة ومآثره الجليلة. الا ان صاحب القرية كان رجلا أثيماً. فحينما رأى ان عبد يشوع يعيد اناس من الضلال الى معرفة الحق، حرّكه الشيطان، فقبض على عبد يشوع واشبعه ضربا واحتجزه اربعة ايام وقال له: «ان تنتقل من ههنا ولا تعلم من بعد هذا التعليم في هذه القرية فاني ساطلق سراحك لتذهب حيثما شئت.» فاجابه عبد يشوع: «لقد عزمت على البقاء ههنا، واني لن اكف عن نشر هذا التعليم.» فاحتدم هذا الاثيم غيظا على عبد يشوع، واخرجه الى ظاهر القرية، الى الموضع الذي فيه استشهد رفاقه، واعطى خمسين درهما لرجل كرماني فطعنه بحربته ومات هناك. وخرج ذاك الفقير مع ولديه واخذوا جثة عبد يشوع ودفنوها وجمعوا فوقها كومة من الحجارة. ولكن غضب الله حل بذلك الرجل الاثيم القاتل وبأهل بيته، فاستولى الشيطان على اولاده الاربعة وقضى عليهم. اما هو فقد اصابه داء الاستسقاء، فجلس على المزبلة وهو يعاني مضض الآلام المبرحة طوال ثلاثين يوما، ثم مات هناك والتهمته الكلاب وبادت امواله وهرب عبيده كلهم وتبددوا. وكانت امرأته تستعطي خبزها اليومي، وقد انتابتها الآلام الشديدة حتى قضت نحبها. وسلط الرب جرذانا على نهر تلك القرية، فحفرته وملأته ترابا. ومهما حاول سكان القرية رفع التراب، كانت الجرذان تعيد الكرة عليه. فعطشت القرية ويبست اشجارها فهجرها سكانها وظلت خربة مدة اثنتين وعشرين سنة.

وبعد هذه المدة، جاء احد اولاد ذاك الرجل الذي كان قد احسن استقبال عبد يشوع ثم دفنه بعد موته، كما انه كان قد دفن المسيحيين المستشهدين. جاء هذا الشاب الى هناك، وصلى عند مغارة الشهداء، ونذر بان يقيم ذكرى الشهداء كل سنة. واذ ذاك حفر نهر القرية، وبنى فيها بيوتا وسكنها بسلام. وقد باركه الرب فامتلك القرية. وكان كل سنة يحتفل بتذكار الشهداء، وتجري آيات من عظام اولئك القديسين.

وجاء رئيس احد الاديرة مدفوعا بغيرة مقدسة ، فبنى هناك بيتا للشهداء ، واخذ العظام من المغارة ونقلها الى ذلك البيت .

٢٩ جهاد الشهداء الاربعين

الاسقفان = مار عبدا ومار عبد يشوع .
الكهنة = عبد الله ـ شمعون ـ ابراهيم ـ آبا ـ ايهبيل ـ يوسف ـ عنّي ـ عبد يشوع ـ عبد الله ـ يوحنان ـ عبد يشوع ـ ماري ـ برحذبشبا ـ رازيقايا ـ عبد الله ـ عبد يشوع .
الشمامسة = اليهاب ـ عبد يشوع ـ عني ـ ماريهب ـ ماري ـ عبدا ـ برحذبشبا ـ شمعون ـ ماري .
الرهبان = فافا ـ اواليش ـ عبد يشوع ـ فقيدا ـ شموئيل ـ عبد يشوع .
الرهبات = مريم ـ طيطا ـ ايمه ـ ادراني ـ ماما ـ مريم ـ مارح ـ .
(استشهدوا في السنة ٣٦ من الاضطهاد)

كان عبد يشوع اسقفا لمنطقة بيث كشكر، وكان رجلا نزيها ومستقيما . وكان له ابن اخ رباه منذ صغره حسب تعليم الله وجعله بين الرهبان ورسمه شماسا ، وقد حسبه صادقا وامينا . الا ان هذا كان يخفي نفاقه ومكره، شأن جحزي امام معلمه اليشاع[1] . ولكن هذا الفاسق انفضح ، كما انفضح ذاك السارق . لان عدالة الله تكشف خفايا المنافقين . فكان هذا الشماس قد سقط في احابيل امرأة وتمرّغ في حمأة الخطيئة . ولما اطلع مربيه على الامر، انتهره بشدة ومنعه من الخدمة المقدسة .

الا ان هذا الاثيم كان يريد مواصلة الخدمة وهو في تلك الحالة الشقية . بالرغم من حظر الاسقف البار . فغرّه الشيطان ودفعه الى التهلكة . واذا به يتوجه الى منطقة

(١) ـ راجع الفصل الخامس من سفر الملوك الرابع .

الاهواز ويمثل امام الملك ويقول : «ان في منطقة الكشكريين رجلا يدعى عبد يشوع رئيس المسيحيين ، ومعه كاهن اسمه عبد الله . انهما جاسوسان يستقبلان الروم ويكشفان لهم اسرار مملكتك ، ويراسلان قيصر الروم ويطلعانه على كل ما يجري في المشرق ، ويحتقران امرك ويخالفان كلامك ويكفران ويستهزئان بالشمس والقمر والماء آلهتك . »

وما ان سمع الملك هذا الكلام ، حتى استشاط غيظا واصدر اوامره الى اخيه اردشير ملك حدياب ليأتيه بهما وان يسومهما شر العذابات الى ان يعترفا بكل ما فعلا ويكفرا بالههما . فارسل اردشير رجاله وقبضوا عليهما وقيدوهما بالسلاسل واتوا بهما الى قصره الواقع خارج مدينة بيث لافاط . ولما مثلا امامه ، سألهما عن هويتهما ، فاجاباه انهما مسيحيان . فقال لهما : «ان كنتما مسيحيين فانتما عدوان لملك الملوك . » فقالا له : «انما ملك الملوك عدونا اذ يبغض الهنا الحق ويبيد الذين يعبدونه بالحق . » حينئذ قال لهما الاثيم : «اجيباني بصدق عما اسألكما والا لانزلنَّ بكما شر العذاب والموت . » فاجاباه : «اننا صادقان ولا نكذب في كلامنا . اما انت فامكرْ واكذبْ كعادتك وأنزلْ بنا الموت الذي تُمليه عليك رغبتُك الشريرة ، وسنقبله بفرح في سبيل الله . » فقال الملك لهما : «لماذا تحتقران النار والماء ولا تسجدان للشمس والقمر ، وانتما مواليان للروم وتستقبلان جواسيسهم وتكتبان رسائل الى قيصر وتطلعانه على اسرار ملك الملوك . »

فقال له عبد يشوع : «ما هذه الامور السخيفة التي تذكرها وتنسبها الينا ظلما ونحن منها براء؟ واني لمتعجب كيف انكم ، مع حكمتكم المزعومة ومعرفتكم الواسعة لم تتوصلوا الى معرفة صدقنا ، مع انكم قد شختم في تعذيبنا وقتلنا؟ وها انتم تتدنون كأناس جهلة وتفترون علينا زورا وتسرعون بشراسة الى سفك الدماء الزكية التي تسطّر لنا النصر ولكم العار ، وتظهر حقنا وتفضح كذبكم ، وهي تظفر على رأسنا اكليل المجد دوما ، وتشجبكم دوما انتم القتلة المجرمين . »

اذ ذاك ثار ثائر الملك اردشير واحتدم غيظا وامر بربطهما بحبال من كتان ، كل منهما بثلاثة حبال ، وبشد ثلاث خشبات على جسم كل منهما : واحدة على جوانبهما ، واخرى على افخاذهما وثالثة على سيقانهما . وكانت اذرعهما موثقة على

ظهريهما . وشرع الرجال يشدّون عليهما هذه الخشبات بحضور الملك ، فتتصدع عظامهما واعصاب جسميهما ويُسمَع صوت مثل صوت حِمل حطب يابس عندما يُشَدُّ بقوة . وحينما كان الرجال يكفون عن الضغط ، كان الملك يردّد عليهما القول عينه : «اسجدا للشمس آلهة شابور ملك الملوك ، واعترفا بكشفكما اسرار الملك ، فتنجوا . » اما القديسان فكانا يصرخان قائلين : «اننا لصامدان في حقيقتنا ولسنا نسجد للشمس خليقة الله ، ولا ننسب الكذب الى انفسنا ، اذ لا صلة لنا بالروم . »

وتكرر الامر سبع مرات ، ولم ترتخِ عزيمتهما او تتغير ارادتهما . فتركوهما على رمق اخير من الحياة ، وقد انخلعت اعضاؤهما بهذا العذاب الاليم ، وتكسرت اضلاعهما وتصدعت عظامهما . ثم حملوهما والقوهما في السجن . وامر الطاغية بمنع المسيحيين من جلب الخبز والماء لهما ، بل ان يقدموا لهما من خبز المجوس ومياههم القذرة شيئا زهيدا يكفي لحفظهما في الحياة . الا انهما لم يأكلا ولم يشربا شيئا مما قُدِّم لهما طوال ستة ايام ، ومكثا يتضوران من الالم والجوع ثابتين بقوة الله . ولما اوشكا على الموت جوعا ، انقذتهما ارملة كانت دارها ملاصقة للسجن وفيها كوّة صغيرة تشرف على السجن . فاحتالت في الليل ووضعت خبزا وماء في مزودة دلّتها بحبل صغير اليهما من الكوة . ولما ابصرا الطعام ، لم يراودهما شك في ان الله هو الذي ارسله اليهما ، فتناولاه وشربا الماء . وهكذا كان شأن المرأة طوال مكوثهما في السجن . اما الحراس فكانوا مندهلين من بقائهما على قيد الحياة . فاخبرا ارشير اخاه الملك شابور ملك الملوك انه نكّل بهما شر تنكيل دون ان ينال من عزيمتهما .

حينئذ دعا الملك ذاك الشماس الخائن وسأله هل ثمة مسيحيون آخرون في بلاد كشكر؟ فاجابه الخائن : «هناك اسقف وكهنة وشمامسة كثيرون . وان امرت فسأمضي واجلبهم الى ههنا . » فاعطاه الملك عشرة فرسان وعشرين راجلا للقيام بهذه المهمة القذرة . وتوجه الى منطقة كشكر للقبض عليهم . اما عبدا اسقف مدينة كشكر ، فكان قد خرج لزيارة ابرشيته بصحبة كهنة وشمامسة من كنيسته ، وهم لا يدرون شيئا من اوامر الملك . وحضر في احدى القرى فيها رهبان وراهبات . وبينما كان نائما في الليل ، رأى رؤيا اذهلته . فأيقظ الكهنة الذين كانوا معه وقص عليهم خائفا ما رآه وقال : «رأيت ثعبانا اسود كبيرا وقبيحا ورهيب المنظر ، واخذ يدب وينفخ ويرهب

الارض . ورأى عصابة من العصافير عددها اربعون ، فانقضّ عليها وابتلعها الواحد تلو الاخر حتى اتى على جميعها . » فاعترى الجميع انذهال وعجب من هذه الرؤيا ، وقاموا وصلوا ثم عادوا ثانية الى النوم . واذا بالاسقف عبدا يشاهد الرؤيا ذاتها مرة ثانية بوضوح ، فعاد وايقظهم وقال لهم : «بينما كنت راقدا وعيناي مفتوحتان ، وانا ارفعهما الى السماء وامجد الله في قلبي ، وافكر في الرؤيا الاولى ، وظننت اننا قد نموت جميعا بالشهادة ، اذا برهبة اكتنفتني ، ولم اعلم بعد اين انا . ورأيت الاسقف شمعون بر صباعي طائرا ومحلّقا فوق رأسي ، وكان منظره شبيها بالبرق ، وكان جليلا ومجيدا مثل ملاك السماء . فاشتاقت نفسي الى سماع كلامه شوقا مذيبا ، وتقت الى ان يدنو مني . ولما ابصرته مرتفعا عني ، صرخت وقلت له وانا خائف : لماذا لا استطيع ان اطير وآتي اليك؟ فاجابني قائلا : انك الان لا تستطيع ، ولكنك بعد قليل ستتمكن من ان تطير وتأتي اليّ وتقول لي كل ما يختلج في فكرك . »

ولما انهى قصته ، تعجب الجميع مما رواه ، فقاموا وصلوا صلاة الصبح . وفي تلك الساعة وصلت زمرة الاشرار والقوا القبض على الاسقف عبدا والرجال الثمانية والعشرين الذين معه ، وكذلك على سبع نساء كن هناك ، وكبّلوهم بالقيود ، واقتادوهم بعنف وقساوة الى مدينة كرخ ليدان في منطقة الاهواز ، لان الملك كان قد غادر بيث لافاط واقبل الى تلك المدينة . فأتوا بهم الى باب القصر . وارسل الملك اليهم حاكم المنطقة مع اثنين من اكابر المجوس لاستجوابهم . ولما مثلوا بين يدي الحاكم ، قال لهم : «لماذا تتمادون في الضلال وتضلون الناس الجهلة وتهلكونهم بخداع تعليمكم؟» فاجاب الاسقف عبدا وقال له : «نحن واثقون باننا في الصراط المستقيم وان من يتبعنا حكيم ولا يهلك ولا يضلّ لانه يسير في النور . وهو انما يسمعنا بدافع الرجاء بالحياة العتيدة فيعود من ضلاله . » فقال الحاكم : «ان الملك يأمركم بالسجود للشمس ، لكي تنجوا اليوم من العذابات والموت الذي انوي انزاله بكم . وان لم تطيعوا امره ، فانه قد خوّلني السلطة للتنكيل بكم كما اشاء . » فقال له عبدا : «ليس بوسع ملكك وامره ولا بوسعك او بامكان سلطتك او عذاباتك ان تفصلنا عن محبة الهنا وعن الايمان الحق بيسوع المسيح . واننا لن نقدم السجود للشمس المخلوقة عوض الله الخالق ، ولن نستبدل الملك العظيم القدوس بملك صغير اثيم . »

فاستشاط الحاكم غيظا وامر بضرب كل منهم مائة سوط . ولكنهم عذبوا الطوباوي عبدا بضربات اشد قساوة، لكونه الناطق بلسانهم . ثم قال لهم الحاكم : «لماذا تتجرأون وتحتقرون شابور ملك الملوك؟ فانه اله تمتد سلطته على الخليقة الى الابد . » فاجابه مارعبدا : «ان شابور الملك ليس الها، بل هو انسان، وهو كانسان ياكل ويشرب ويلبس ويكدّ ويتعب ويفرح ويتضايق، ويعتلّ ويشفى، ويمرض ويموت . وسلطانه العالي قد ناله من عند الله تأديبا للبلدان والشعوب المخالفة لعدالة . » ولما سمع المجوس هذه الاقوال، سخطوا كلهم واخذوا يشبعونه لطما على فمه لئلا يواصل تجديفه هذا على الملك .

ودخل الحاكم والمجوس على الملك . فقال لهم : «كيف رأيتم هؤلاء السحرة؟ وما رأيهم؟ وماذا قالوا؟» فاجاب الحاكم وقال : «ايها الملك الصالح ، لا يُسمَح لفم انسان ان ينطق امامك بما يجدّف به هؤلاء على جلالتك . فان ما يقولونه عنك يتعذر اعادته امامك . » فسمح الملك وقال له : «انطقْ بكل ما قالوه ولا تخفْ . فلست انت الذي تحتقرني بل اولئك هم الذين يحتقرونني انا ومملكتي . » واذ ذاك قال الحاكم : «عشت ايها الملك الى الابد، ودام تاجك على رأسك ابدا . انني امتثالا لامرك خرجت وعذّبتهم بقساوة لكي ادفعهم الى السجود للشمس ولكنهم لم يرضخوا لامرك . وقلت لهم ايضا ان ملك الملوك اله حي الى الابد ومسيطر على الارض كلها . اما هم فقالوا مجدّفين على جلالتك : ان شابور الملك ليس الها، بل هو انسان كواحد من البشر، وانه مثلهم يمرض ويموت . » فضحك الملك ضحكة عالية وقال له : «ان هؤلاء الناس لحكماء فيما قالوه عني . فانا انسان لا اله، وانا مزمع ان اموت شأن واحد من البشر . واني لاحسبك جاهلا ايها الحاكم لانك استأت من هذا الامر الذي بدا لك امرا جديدا . »

وفي الحال استدعى الملك «طوسداغ» رئيس الامناء الذي كان متوليا امر جميع فيلة الملك، وامره بان يستعد لاستجواب هؤلاء الاسرى المسيحيين واوصاه قائلا : «انظر اذا هم رضخوا لارادتي وسجدوا للشمس ، فلن يموتوا . فقد لاحظت ان المجوس يبغضونهم بغضا شديدا ويتذرعون بشتى الوسائل لقتلهم . » فخرج هذا الامين من المدينة بعُجب وخُيَلاء بصحبة القائد الاعلى لمنطقة فارس كلها مع

الحاكم والمجوسين المذكورين اعلاه وجمع غفير من ابناء المدينة. واخرجوا الشهداء المقيّدين الى الجهة الجنوبية من المدينة، وهم عبدا الاسقف والرجال الثمانية والعشرون الذين معه، واوقفوهم امامهم بهيئة تدعو الى الخوف والرهبة. ووجّه الامين اليهم اسئلة عنيفة وقال لهم: «من انتم يا ترى حتى تخالفوا امر ملك الملوك؟» فاجابه القديسون وقالوا: «نحن انما نطيع امر الله الخليقة كلها ولن نرضخ لارادة ملك اثيم.» فقال لهم الامين: «انما الملك شفقة بكم ارسلني اليكم لكي انصحكم لتسجدوا اليوم للشمس ولا توفّروا علة للموت الذي صدر عليكم بالسيف.» فاجابه القديسون: «انت بصفتك امينا للملك وصديقه ولا تشفقْ علينا في موتن ولا تؤخّر قتلنا. فاننا نرذل ونحتقر نصيحتك وامر ملكك، ولا نسجد للشمس فنصبح اضحوكة مثلكم انتم الذين تاه عقلكم وراء ضلال المجوس. فاعلم يقينا اننا نسجد لاله واحد ولاجله نستشهد اليوم وهو سيمنحنا حياة اخرى ابدية لا موت فيها.» واذ ذاك اصدر الامين حكم الموت عليهمّ. فشرع العظماء يحلون وثاقهم ويقرّبونهم مثل خراف للذبح، والشهداء فرحون.

وكان ثمة اخوان هما برحذبشبا وشموئيل، وقد تبعا الشهداء طوعا من بلادهم ليوفّرا لهم احتياجاتهم. ولم يكن قد أُلقي القبض عليهما. وكانا في ذلك النهار قد ذهبا الى المدينة لجلب طعام للشهداء، ولم يعلما ان هؤلاء قد اقتيدوا من السجن في الساعة الثالثة ونُفِّذ فيهم حكم الموت. فلما بلغهما هذا الخبر، اعتراهما الانذهال واسرعا الى مكان الاستشهاد وارتميا على جثة الاسقف عبدا واحتضناه واخذا يقبّلانه ويأخذان من دم الشهداء ويمسحان به جسديهما، وشرعا يلتمسان من القتلة ان يقتلوهما، وهما يقولان: ان الموت الذ لنا من هذه الحياة التعسة والمرة. وصارا يجدّفان على الملك في سبيل الحصول على الاستشهاد. فتشاور العظماء الثلاثة فيما بينهم بشأنهما وقرّ رأيهم على عدم قتلهما الى ان يطلعوا الملك على أمرهما، لان اسميهما لم يكونا مسجلين في اللائحة التي اعطيت لهم. فارسلوا واطلعوا الملك على ما جرى. اما هذان القديسان، فما كانا يكفّان عن الصراخ والقول: نحن ايضا مسيحيان مثل هؤلاء الذين قتلتموهم، ونعترف بالهم الحق ونكفر بآلهتكم الكاذبة. ونحن جميعنا ابناء ايمان واحد بالله. فصدر عليهما ايضا

حكم الموت، فأعدما في تلك الساعة وفي الموضع عينه، فاختلط دمهما بدماء رفاقهما. وتكلل هؤلاء الشهداء في يوم الجمعة الموافق ١٥ ايار.

وفي اليوم التالي، تذكر الملك الاسقفَ عبد يشوع والكاهن عبد الله. فسأل هل انهما ما يزالان على قيد الحياة؟ فقيل له: اجل، انهما على قيد الحياة. فامر بقتلهما اذا كانا ما يزالان على رأيهما. فاخرجوهما من السجن وقد بلغ منهما الهزال حدا لم يبق من جسديهما سوى الجلد والاعصاب والشعر، ولم يبق لهما صورة انسان، اذ كانت اضلاعهما وعظامهما قد تكسرت وقامتاهما منحنيتين محطَّمتين. فاخذوهما الى الموضع الذي فيه استشهد رفاقهما. وخرج الحاكم الى هناك وسألهما وقال: «ان كنتما ترضخان لارادة الملك ستعيشان وتنجوان من القتل.» فاجاب المجاهدان بقوة وقالا له: «يا عديم القلب، الا تخجل ان تدفعنا نحن اللذين مات جسدانا الى ان نقتل نفسينا ايضا؟ ولكن لا تتوهم ايها القذر باننا قد غيّرنا رأينا الاول. فاننا صامدان في حقيقتنا، ونعترف بالاله الاوحد الحق. فلا تنظروا الينا وتتهاونوا، بل ارسلونا لنلتحق باخواننا الذين قتلتموهم البارحة ظلما. فهؤلاء الذين كانوا متأخرين عنا في الجهاد قد سبقونا الى الاكليل.» اذ ذاك اصدر هذا القذر امرا بقطع رأسيهما في الموضع الذي فيه استشهد اخوتهما. وكان في المدينة مؤمنون مسبيون من الروم. فبذلوا كل اهتمامهم وسرقوا جثث الشهداء كلها ودفنوها باحتراس في اماكن خفية. وكذلك حفروا الارض التي سقتها دماؤهم واحتفظوا بهذا التراب للشفاء.

اما النساء السبع فقد امر الملك بارسالهن الى مدينة بيث لافاط ليُقتَلن هناك تخويفا للمنطقة كلها. وأمر حاكم المنطقة باستصحابهن للاشراف على قتلهن. ولما ادخلوهن الى المدينة، حدث فيها اضطراب كبير وضجَّ الناس احتجاجا على الدم الزكي الذي يُسفَك فيها. وفي يوم الجمعة التالية لقتل الشهداء، اخرجهن الحاكم الى شرقي المدينة وسألهن: «هل ترضخن لارادة الملك وتتزوجن فتحيين وتتخلصن من الموت الصادر عليكن؟» فاجابته القديسات: «نحن انما نلتجيء الى الله وله نسجد ولا اله لنا سواه. والآن افعل ما أمرت به دون تأخير. فاعلم اننا لا نطيع امر الملك الاثيم، ولا نسجد للشمس التي هي خليقة، ولا نرضى بالزواج.» إذ ذاك اوعز الى

ثلاثـة رجـال بان يستلوا سيـوفهم ويقطعوا رؤوس سبعتهن . وهكذا استبسلن بالمسيح رجاء انبعاثهن .

استشهـدت هؤلاء القـديسـات في الثـاني والعشـرين من شهـر ايـار، واختُطفت جثثهن في الليلة ذاتها، ودفنها اناس من المؤمنين كانوا في المدينة .

٣٠ استشهاد بدما رئيس الدير

في ذلـك الـزمـان ايضـا ، القي القبض ، بامـر الملك ، على بدما رئيس الدير من مدينة بيث لافاط . وكان بدما من اسرة غنية وشريفة . وحينما تنصر، وزّع امواله كلها على المساكين ، واقام له ديرا في ظاهر المدينة وسكن فيه ، وشرع يقوم باعمال ترضي الله ، ويـواسي المتضـايقين ويساعد المحتاجين الذين يقصدونه دوما . وكان متمسكا بصوم صارم ، اذ لا يتناول الطعام الا مرة في الاسبوع ، ويتوقف هذا الطعام على وجبة واحدة من الخبز والماء . وكان مواظبا على السهر والصلاة ، فيمكث واقفا وعاكفا على الصـلاة ويـداه مرفـوعتان من المساء حتى الصباح ، حتى ذاع صيت قداسته واعماله الفاضلة ، مما حدا الملك الى اصدار الامر بالقاء القبض عليه وزجّه في السجن مع سبعة من اخوته الرهبان .

ظل بدمـا ورفـاقـه السبعـة في السجن اربعة اشهر واحتملوا آلاما مبرحة في سبيل الههم دون ان ينكروه اويتراجعوا عن مبادئهم القويمة . وحدث ان رجلا شريفا اسمه نرسـا ، رئيس مدينـة ارنـون (اريـوان)[1] في منطقة باجرماي كان في السجن هو ايضا لعـدم سجـوده للشمس ، اذ كان مسيحيـا بالاسم . الا انـه في الاخيـر تخاذل وتراجع وفضّل المال واكرام الملك على المجد السماوي ، ورضي بان يمتثل امر الملك في كل شيء . وفكّر الملك بدهاء ، وامر بحل وثاق بدما والمجيء به الى فناء قصر الملك في مدينـة بيث لافـاط . وامـر باخـراج نرسـا مقيّـدا بصحبة امينين من امناء الملك .

(١) ـ ارنـون اوماحـوزا داريـون كانت تقـع جنـوبي الزاب الكبير على مسافة متساوية بين الطون كوبري ومصب نهر الزاب في دجلة .

وطلب الى نرسا ان يقتل الطوباوي بدما لكي يُحَلَّ وثاقه ويُطلَق سراحه . فتناول هذا المتخاذل سيفا واقدم على بدما . فنظر اليه بدما وقال له : «يا نرسا ، أإلى هذا الحد بلغت وقاحتك حتى انك تسفك دم عبيد الله؟ الويل لك ، الويل لك ، ماذا انت فاعل؟ والى اين تهرب من دينونة الله الرهيبة ومن عدله؟ اما انا فاني مشتاق الى الموت بالشهادة في سبيل المسيح ، واني لاموت فرحا ، ولكني كنت اتمنى ان اموت على ايدي اناس آخرين وليس على يدك . » الا ان نرسا سيطر على خوفه وعاطفته ، وهجم على بدما وضرب عنقه بالسيف اربع مرات حتى فاضت روحه واستشهد . واصبح نرسا عارا حتى لدى غير المؤمنين انفسهم ، وبعد زمان قُتل هو ايضا بالسيف .

استشهد المجاهد بدما في العاشر من شهر نيسان (٣٧٥ م؟) . وقد رُفعتْ جثته ليلا ودُفنت باكرام لائق .

اما الاخوة السبعة الذين كانوا مع بدما في السجن ، فقد ظلوا فيه اربع سنين ، الى ان توفي شابور الملك (سنة ٣٧٩) ، واذ ذاك أُطلق سراحهم .

٣١ استشهاد عقبشما الاسقف ويوسف الكاهن وايثالاها الشماس

في السنة السابعة والثلاثين من اضطهادنا ، اصدر الملك امرا صارما يخوّل الحكام تعذيب المسيحيين وقتلهم . وكان المجوس يشون بالرعاة النشطين الذين لم يختفوا خلال الاضطهاد ويقولون عنهم : «ان المسيحيين ينقضون تعليمنا ويعلّمون الناس عبادة اله واحد ويحرّضونهم على عدم السجود للشمس واكرام النار وعلى تدنيس المياه وعدم الزواج والانجاب ، وعدم الخروج مع الملك في الحرب وعدم القتل ، وعلى ذبح الحيوانات واكلها دون تردد ، ودفن الموتى في الارض . ويقولون ان الحيات والعقارب وسائر حشرات الارض هي من صنع الله وليست من الشيطان . وانهم يفسدون كثيرين من عبيد الملك ويعلّمونهم السحر الذي يدعونه معرفة الكتب . . . » ولما كان القضاة يسمعون هذه الاقوال ، كانت نار الحقد

والغضب تتأجج في صدورهم على المسيحيين .

في هذا الـوقت ، أُلقي القبض على عقبشمـا اسقف بلد حنيثا[١] ، وكـان اسم قريتـه فقعـا . وكـان شيخـا جليـلا ينـاهز الثمانين من عمره وهو ما يزال محتفظا بقوته وبـرشـاقـة قده وبشهـرة حسنة في العالم . وكان رحوما يهتم بالفقراء والغرباء ، ويردُّ الكثيرين من الوثنيين الى الحقيقة . وكان عاكفا على الصوم والصلاة ويذرف الدموع الغزيرة كل يوم حتى ان الارض التي كان يركع عليها تبتلّ بالدموع .

وقبـل القبض عليـه بايـام قليلة ، بينمـا كان احـد الاخـوة واسمه فافا بادوقا يفلّي رأسـه ، قبّـل صلعتـه وقـال : «طـوبى لهذه الصلعة التي ستموت بالشهادة في سبيل المسيح . » لان الطوباوي كان اصلع . فاحتضنه الطوباوي وقبّله وقال له : «لتتحقق نبـوءتُـك يا بنّي ، وليسمعهـا الله سريعـا فيمنحني هذا الحـظ الذي نطق به فمك . » وكـان ثمـة اسقف آخـر، فقـال لهـذا الاخ مازحا : «وانا يا ابني ، أتعلَم ماذا سيحدث لي ؟» فقال له الراهب : «أنت ستموت في طريقك الى ارض آران[٢] . » وجرى كما قال الراهب ، اذ ان عقبشما مات شهيدا ، والآخر ذهب ومات في آران .

واذ كان عقبشمـا يجتـاز مقيّـدا بالقـرب من بيتـه ، قال له واحد من اصدقائه كان يرافقـه : «فـوّضْ أمـرَ دارك الى من يعتني بهـا لئـلا تخـرب . » اما هو فاشار الى داره وقال : «ان هذه الدار ليست داري وهذا المال ليس مالي . فالمسيح وحده ارثي ولا احسب معه شيئا . »

وحينمـا اتـوا به الى مدينة اربيل ، احضروه امام الحاكم اذركركشيد . فسأله هذا وقـال له : «هـل انت مسيحي ؟» فاجـابـه بصـوت عال : «اجـل ، اني مسيحي ، واسجد للاله الحق . » فقال الحاكم : «اذن فصحيح ما سمعت انك تعلّمه في البلاد كلهـا ممـا يناهض ملك الملوك ؟» فقال عقبشما : «كل ما قيل لك بشأني صحيح ، وحقـا اني اعـظ بالالـه الاوحـد واحث النـاس على التـوبـة والعـودة اليـه من طرقهم الشـريـرة ، كمـا جاء في كتبنـا المقـدسة . » فقال الحاكم : «سمعت انك حكيم ،

---

(١) ـ حنيثا اسقفية كانت تقع بالقرب من وادي راوندوز .

(٢) ـ آران منطقة تقع شمالي نهري اراكس وكور وغربي بحر قزوين .

وانت الآن رجلٌ طاعن في السن ، فلمَ تضلّ ولا تسجد للشمس وتكرم النار . فان المشرق كله يعبدهما ؟» فقال له القديس : «ان بلاد المشرق لفي جهل كبير اذ تركت الخالق وسجدت للخليقة . وانتم قد خدعتموها بتعليمكم الكاذب الذي يدعو الى عبادة آلهة متعددة ليست سوى خلائق ابدعها الاله الاوحد . »

ح - اتدعو كذبا التعليم الذي يتبعه ملك الارض كلها، يا منكود الحظ؟

ع - اين هي حقيقة تعليمكم الذي ينكر الحق اذ يحسب الخلائق كائنات ينبغي السجود لها؟

ح - امتثل الان امر الملك واسجد للشمس فتنجو من العذابات التي تنتظرك . فاني اشفق على شيخوختك لئلا تنحدر الى القبر ملوّثة بالدم .

ع - صه ايها المنافق اللئيم ولا تنطق بكلام الزور هذا ولا تكرره عليّ . فاني قد تربيت منذ صغري في الايمان الحق ، والان في شيخوختي يجب عليّ ان ازداد تمسكا بالسيرة الصالحة فانال الاكليل ظافرا ، واحتقر كلامك الاثيم .

اذ ذاك امر الحاكم باخضاعه للتعذيب . فانهالت عليه الضربات حتى سالت دماؤه . فقال له الاثيم :

ح - اين الهك؟ فليأتِ ويخلّصْك من يديّ .

ع - ان الهي موجود ويستطيع ان ينقذني من يديك القذرتين . ولكن لا تفخر ، فانك مثل زهرة تذبل ووردة تذوي . انت ميت في حياتك اذ لست حيا في الله خالقك . فانت ستموت موتا زمنيا ثم تقوم لتموت موتا ابديا في جهنم . والنار التي تكرمها ، فيها سيتعذب جسدك مع نفسك حينما تتجلى دينونة الله العادلة .

فامر الحاكم بان يربط بسلاسل ثقيلة ويزجّ به في ظلام السجن .

وفي تلك الايام أُلقي القبض على يوسف كاهن قرية بيث **كاثوبا** ، وكان شيخا جليلا يناهز السبعين من سنه ، **مليئا** بغيرة الهية وفاضلا في سيرته ومهتما بخدمته الكهنوتية . كما القي القبض ايضا على الشماس ايثالاها من منطقة بيث نوهدرا[٣] .

(٣) - كانت بيث نوهدرا او باهدرا منطقة كنسية مترامية الاطراف تشمل مساحة واسعة تمتد بين سهل نينوى الى جبال كردستان الشمالية ، يفصلها عن **باعربايي** نهر دجلة غربا . وعن حدياب نهر الزاب الكبير جنوبا ، وعن مرج الموصل نهرا الخازر والكومل .

وكان له من العمر ستون سنة، وكان طلق اللسان شديد اللهجة مضطرما بمحبة الله. فاتوا بهما مقيّدين الى مدينة اربيل واحضروهما امام الحاكم ذاته. **فقال** لهما الحاكم: «ايها التعسان، لِمَ تخدعان الناس البسطاء الودعاء بسحر تعليمكما؟» فقال له الطوباوي يوسف: «اننا لسنا بسحرة، بل نعلّم الناس الحق لكي يعودوا عن عبادة الاصنام المائتة فيحيوا.»

ح - اي من المذهبين حق: المذهب الذي يتبعه ملك الارض والعظماء والاغنياء؟ ام المذهب الذي تتمسكون به انتم الفقراء البؤساء؟

ي - ان الهنا لا يُسَرُّ بالكبرياء والعظمة والغنى في هذا العالم. لذا فنحن فقراء محتقَرون لكي نستحق مجد العالم الآخر الذي يُزيلُ مجد العالم الحاضر.

ح - لانكم اناس عاطلون ولا تكلّفون انفسكم عناء العمل والكد، لذلك انتم تفتخرون بالفقر.

ي - بما انك عيّرتنا بالبطالة، فاسألْ وتحقَّقْ من اننا لو اردنا الاغتناء لكفانا جهدنا لجمع المال الذي انت تكتسبه عن طريق الجشع والنهب. فنحن نُعطيه للمساكين في حين انكم تسلبونه من المساكين.

ح - ان المال شهي والجميع يحبونه، فمن يصدّقك اذ تقول انكم تبغضونه؟

ي - نحن لا نرغب فيه اذ نراه ضيفا عابرا لا يمكث عند احد، ولن يمكث عندك ايضا انت الذي تحبه. فالغنى يهرب من الاغنياء، والفخر من المتكبرين، وسيصبحون ترابا في القبر شأن الناس اجمعين.

ح - نحن في غنى عن الكلام الكثير. فأجبني عن امر واحد اسألك عنه: اتسجد للشمس الآلهة وتنجو من العذابات التي تنتظرك ام لا؟

ي - لا تظن ايها الاثيم اني اسجد للشمس التي قلتُ عنها لكثيرين انها ليست باله، بل هي خليقة.

فاحتدم الحاكم غيظا واوعز الى عشرة رجال في جلده بقضبان رمان غليظة وشائكة، حتى اوشك ان يفارق الحياة. وكان يوسف ينظر الى السماء ويسأل العون من الرب، وقد تخضب جسمه كله بالدم. ثم رفعَ صوته وقال: اشكرك ايها المسيح ابن الله، لانك اهلتني لاغتسل بمعمودية ثانية واتطهر من جميع خطاياي. ولدى

سمــاع المجـوس هذه الاقـوال، كان الغضب يتأجـج في صدورهم، فيـزدادون في ضربه وتعذيبه، حتى لم يبقَ موضع صحيح في جسمه. وامر الحاكم بان يزجّ به في السجن الذي كان فيه عقبشما.

ثم احضروا امامه ايثالاها المظفر. فقال له الحاكم: «اسجد للشمس وكل الدم وتـزوّج وارضـخ لامـر الملك فتحيـا وتنجـو من العـذاب والاعـدام الصادر بحقك.» فصـرخ ايثـالاهـا وقـال: «خيـر لي ان امـوت لاحيا الى الابد من ان احيا لاموت الى الابـد. فكُـلِ الـدم انتَ لانـكِ مثـل كلب نهم، واسجـد انت للشمس لانك اعمى القلب ولست ترى النور البهي المشرق على الكون والذي انتشرت بشارته في اقاصي المسكونة.» ولكن الحاكم كظم غيظه وقال له: «من يصدّقك فيبغض الحياة ويحب المـوت، سوى القليلي العقـل من امثالكم؟» فقـال له القـديس: «انمـا انت قليـل العقل. وكذلك الضالون من اتباعك، لانكم لا تعرفون الحق. فان معلمنا قد اوصانا بان نحب تلك الحياة التي انتم تدعونها موتا، وبان نبغض ذلك الموت الذي تدعونه حيـاة.» اذ ذاك ثار ثائـر الحـاكم، وامـر بربط يدي الطوباوي تحت ركبتيه، وبادخال خشبة غليظة تحت فخذيه حتى تمرَّ فوق ذراعيه، وضغط كل ستة رجال على كل من طرفي الخشبة. ان هذا لعذابٌ شنيع وخالٍ من الرحمة. واستمروا على تعذيبه هكذا مدة طويلة، بينمـا كان هو يوجِّـه كلمـات الاحتقـار الى الحـاكـم، فيدعوه دنسا وقذرا ولاعقَ الدم كالكلب وغرابا وسخا يستقر فوق الجثث. اما الحاكم الاثيم فكان يحرق الأرم ساخطا على المعذِّبين لكونهم عاجزين عن إسكاته. الا ان التعذيب ادى الى انخلاع عظامه وانفكاكه مفاصله، حتى اضطروا الى حمله وإدخاله الى السجن عند رفيقه.

وبعد خمسة ايام، اخرجوهم من ذلك السجن واتوا بهم الى بستان قريب من معبد النـار. وجلس الحـاكم لاستنطـاقهم وقـال لهم: «امـا زلتم على رأيكم السخيف ولا تطيعون امر الملك، ايها السحرة الاشرار؟» فاجاب الثلاثة بصوت واحد وقالوا: «اننا على عزم ثابت وفكـر صالـح وايمـان مستقيم لثابتون. واننا لكذلك كلما استجوبتنا. فنحن نعبـد الالـه الاوحـد ولا نطيع امر ملكك الاثيم. فاصنع ما شئت، ايها الطاغي المـارد.» فامـر الحـاكـم واتـوا بثـلاثـة حبـال رفيعة من الكتّان وبسطوها على الارض

للقديسين، ورموا على كل منها ثلاث خشبات ثم شدوها على كل من القديسين الثلاثة، على سيقانهم وافخاذهم وجوانبهم، وشرع رجال اقوياء يشدونها بعنف. حتى سُمِع صوت عظام الشهداء وهي تتكسر ومفاصلهم تُرَض. ثم سألوهم ان يرضخوا لامر الملك لكيْ ينجوا من العذاب. ولكن الشهداء كانوا يقولون بصوت عالٍ: «اننا نتكل على الهنا الحقيقيَ ولا نرضخ لارادة الملك.» وفي هذا العذاب كله، كان انتصارهم يتضاعف ويزداد . . .

بعد ذلك حملوهم وادخلوهم الى السجن مثل جثث هامدة. وكان المجوس كل يوم يذيقونهم ضروب التعذيبات والاهانات، بالاضافة الى مضض الجوع والعطش. ولم يدعوا احداً يجلب لهم ثيابا دافئة ولا طعاما، اذ كان الحاكم قد اصدر امرا صارما يقضي بجلد كل من يدخل عندهم مائة جلدة وببتر اذنيه وانفه. الا ان السجناء الاخرين الذين معهم كانوا يخرجون احيانا الى المدينة ويستعطون خبزا ويجلبونه لهم، مشفقين على شيخوختهم وحالهم البائسة.

وبعد ثلاث سنين، جاء الملك الى منطقة مادي. فاخرج الحاكم السجناء الثلاثة مقيَّدين وذهب لمواجهة الملك. وكان الثلاثة في حالة من الهزال يُرثَى لها وتدفع اقسى القلوب الى الرحمة والشفقة والدموع لما اصابهم من الذل والهوان. ولما بلغوا الى حيث كان الملك نازلا، احضرهم الحاكم بين يدي اذارشابور رئيس حكام ارض المشرق كلها. وعند مثولهم لديه، لم يسجدوا امامه، وكان عنده جمع من العظماء والحكام. فسألهم اذارشابور وقال لهم: «هل انتم مسيحيون؟» فاجاب القديسون: «اجل، اننا مسيحيون ونعبد الاله الواحد رب الكل.» فقال لهم: «انكم رجال طاعنون في السن، ويبدو لي من ملامحكم انكم قد عانيتم عذابا شديدا. فاشير عليكم ان تشفقوا على انفسكم لئلا تموتوا شر ميتة. فاسجدوا للشمس واخضعوا لامر الملك، لان الحكم صادر بحق كل من يسير على نهجكم.» فاجابه الطوباوي عقبشما: «اعلم ان لك شؤونا كثيرة في السلطة الاثيمة التي انت تتقلدها. فلا تتوقف وتنشغل باسداء المشورة السيئة الينا، ولا يخطرنّ ببالك ان أحداً منا سيسمعك. فأسرعْ وأصدرْ أمرَكَ بالموت او العذابات دون ابطاء. فاننا لسنا نخشى وعيدك ولن نرضخ لامر مَلكك لنتخلى عن حقيقة الهنا لا في حياتنا ولا في موتنا.» فقال له

الاثيم : «ان الموت يحرركم، ولهذا تتمنونه . ولكني لا امنحكم اياه، حتى اريكم موتكم نصب اعينكم ثم اقتلكم لتكونوا عبرة ترعب السحرة من بني مذهبكم.» فقال له عقبشما : «اننا لا نخاف من تعذيباتك ولا من تهديداتك اومن سيفك . فان الله الذي قوانا الى الان وسط العذابات التي انزلها بنا رفاقك الاثمة، هو الذي سيقوينا الان ايضا امامك . فجرّب ما شئت من العذابات على شيخوختنا واختبر صبرنا، لتقف على حقيقتنا وتتحقق من ضلالك . » فاعترت الحاكمَ سورةُ غضب عارمة، وامر بان يأتوا من السوق بسبعة ازواج من السياط الطرية الجديدة، ثم قال للشهداء : «اقسم بالشمس الاله وبحظ شابور ملك الملوك، انكم ان لم تمتثلوا اوامري، فاني سأعبث باجسادكم وامرّغ شيخوختكم في الدم ولن أشفق على جسدكم، بل سأمزقه بهذه السياط حتى بعد موتكم، لكي لا يبقى شيء منه . » فقال له عقبشما : «لانك اقسمت بما ليس الها، ووعدت بمن لا حظ له، فاني اخشى الا تنجز قسمك . اما نحن فعلى حقيقة ايماننا لصامدون، سواء في الحياة او الموت فجسدنا هو بين يديك، اما نفسنا فنستودعها الله . فافعل ما شئت عاجلا، لاننا اياه نتوقع . »

واذ ذاك امر الحاكم مغضبا بطرح الطوباوي عقبشما ارضا وبربط ذراعيه . واخذ خمسة عشر رجلا يسحبون ذراعا وخمسة عشر اخرى، وشرع رجلان ينهالان عليه ضربا بالسياط على ظهره وصدره ويمزّقون جسمه تمزيقا، حتى اخذت لحمانه تتناثر مع الدماء . ولما سئل ايضا بانه سيُمنَح الحياة اذا امتثل امر الملك، اجابهم القديس بكل ما تسنى له من القوة وقال : «اني احتقر ارادة الملك الاثيم، واني ثابت في ارادة الهي القدوس . » ثم خارت قواه ولم يستطع من بعد الى الكلام سبيلا . وظلوا هم يصرخون وينادونه ويعدونه بالنجاة اذا رضخ لامر الملك . اما الطوباوي فكان يومئ برأسه نحو السماء مشيرا الى رفضه هذا العرض المخزي . وفي وسط هذه الالام الهائلة، فاضت روحُ القديس، بينما كانت الضربات تتواصل على جسده حتى انخلعت مفاصله وتناثرت اشلاؤه بالضرب والسحب الأليم . ولما تحققوا من انه قد فارق الحياة، كفوا عن التعذيب، فسقطت جثته على الحضيض . وجروها ورموا بها خارج المدينة واقاموا عليها حراسا . الا انها سرقت بعد ثلاثة ايام بحيلة دبرتها بنت ملك ارمينية التي كانت رهينة في حصن مادي .

وكان استشهاد عقبشما في العاشر من تشرين الاول .

وبعده احضروا الطوباوي يوسف . فقال له الحاكم اذارشابور: «ارأيت كيف مات رفيقك الجاهل شرميتة لعدم طاعته امر الملك؟ فالان اطعنا انت كرجل حكيم واسجد للشمس وانجز ما يامرك به الملك، فتحيا وتنجو من الموت الاليم الذي يهددك .» فاجابه يوسف : «اني لا اسجد للشمس لانها ليست الها، ولا انجز ما يامر به الملك، لان اوامره شريرة، ولا استبدل الهنا الخالق بآلهتكم المخلوقة. فافعل ما بدا لك .» واذ ذاك اوعز الحاكم الى الرجال الثلاثين الاولين في سحبه من ذراعيه، وامر الجلادين بضربه بالسياط، حتى اضحى جسمه كله جرحا واحدا . وكانوا بين الفينة والفينة يكررون عليه الدعوة بالانصياع لاوامر الملك، ولكن دون جدوى. وبعد ان نكّلوا به، اغمي عليه وظنوا انه فارق الحياة، فتركوه مجندلا على الحضيض، ثم جروه ورموا به خارجا . ولما علموا بعد حين انه ما زال على قيد الحياة، امروا بالاحتفاظ به وبحراسته .

ثم احضروا ايثالاها . فقال له الحاكم الاثيم : «لا تكن سخيف الرأي نظير رفيقيك اللذين اميتا شرميتة، بل امتثل امر الملك واسجد للشمس الاله، فتحيا وتحظى بالاكرام والعطايا الكثيرة .» فاجابه ايثالاها : «اني لمتعجب منك كم انك غبي لا تتبيّن. حقا انك بهيمة لا عقل لها. فان هذين اللذين كانا اكبر مني سنا قد احتملا واكتسبا المجد الابدي، افلا ينبغي لي ان اكون اكثر منهما بسالة، فانال معهما اسما صالحا واكليلا جليلا لا يعتريه فساد؟ فانا اذن ثابت في حقيقتي ولست اطيع امر ملكك الذي هو عدو كل الخيرات ومنافٍ لجميع الافضال .» ولما سمع الحاكم اهانة الملك، ثار ثائره وامتقع لونه وامر بان يجرّه عشرون رجلا من احدي ذراعيه وعشرون من الاخرى، واوعز الى الجلادين في الانهيال عليه ضربا لا رحمة فيه، حتى تناثرت لحمانه وتمزق جسمه كله . اما هذا الشهيد المظفر فكان يقول بأعلى صوته : «ما اضعف تعذيباتك واوهنها، ايها الدنس الحقير! الا جدِّدِ المعذّبين لكي تزداد نفسي ثباتا وجسدي قوة وبأسا .» واذ ذاك التفت الحاكم الى من حوله وقال لهم : «ترى ما هذا الامر الغريب؟ وما الذي يحدو هؤلاء السحرة الى الاشتياق الى الموت اشتياق الجائع الى الخبز والماء؟» فاجابه هؤلاء : «انما يذعنون الى تعليمهم

القائل بوجود عالم آخر غير منظور.» . . . وانخلعت اعضاء المجاهد كلها من جراء الضرب، وتصدعت مفاصله ومرافقه وتفككت عظامه، ولم يبقَ بينها سوى اربطة واهية من الجلد فقط. وبينما كان رجلان يسندانه، قال له الحاكم: «اذا رضخت لامر الملك، فاني ساوعز الى الاطباء في معالجتك حتى تنال الشفاء.» فقال له الطوباوي: «ان ما قلته عن الادوية لأمر هين، ولكنك حتى ولو قلت كلمة واحدة فاشفى، لن اصدقك فاتخلى عن الهي الذي خلق السماء والارض، واسجد للشمس خليقته التي اقامها لخدمة الانسان.» فقال له الحاكم: «وهل بقي فيك شيء حي وصحيح حتى ان اردت الرضوخ لامر الملك ونلتَ الحياة؟ ولكني ساجعلكم عبرة لجميع الوقحين امثالكم.» فقال له القديس: «حسنا تنبأت رغما عنك. اجل، اننا سنكون عبرة حسنة لجميع الصادقين امثالنا، واننا سنخلّف انتصارا جليلا للاجيال القادمة وهو جهادنا العظيم وثباتنا حتى النصر والاكليل الذي لا يعتريه فساد المضفور والمحفوظ لشيخوختنا التي تكتسب شبابا في مجد ربنا في اليوم الاخير.»

حينئد دعا اذارشابور حاكم حدياب اذاركركشيد وقال له: «اذا كان هذان الضالان ما يزالان على قيد الحياة، فخذهما وانطلق الى بلادك وهناك ليرجمهم بنو مذهبهم. اني لهذا تركتهم ولم اقتلهم ههنا.» فأعَدّوا حمارين لنقلهما. فشدوهما على الحمارين كحِمل لا حياة فيه، وربطوهما بحبال لئلا يسقطا لكونهما غير قادرين على سند ذاتهما على ظهر المطايا لما اصاب جسديهما من التمزيق والخلع والتعذيب. وكلما بلغوا مرحلة للاستراحة، كانوا يرمون بهما على الارض بحقد، كما يُرمَى حمل الحطب او الحجارة. وبلغوا بهما الى مدينة اربيل، وزجوهما في غياهب السجن مثل جثث هامدة تجري الدماء والقيح من جروحهما الكثيرة. واقاموا على السّجن حراسا وامروهم بالا يدعوا احدا من بني مذهبهما يدخل عليهما.

وكانت في المدينة امرأة شريفة ومؤمنة تدعى يزداندوخت، وقد ورد ذكرها سابقا اذ قلنا كيف كانت تكرم الشهداء وتهتم بهم وبجميع الاسرى المسيحيين في اربيل. فما ان سمعت بخبر هذين الشهيدين، حتى استدعت رئيس السجن عندها، وقدمت له رشوة دسمة، والتمست منه كي يسمح بان يُنقل الشهيدان عندها لتراهما. فوعدها

خائفا. فارسلت عبيدها الى السجن، ونقلوا الشهيدين الى دارها ليلا. فأتت بلفائف وادوية عالجت بها جروحهما، وكانت تقبّل اياديهما المخلوعة واذرعهما المتفككة، وتبكي بمرارة على الضيقات التي احتملتها هذان الشيخان القديسان المطروحان امامها دون حراك. فقال لها الطوباوي يوسف: «انك لست تتصرفين تصرف امرأة كاملة ببكائك علينا.» فقالت له: «اني لست ابكي على موتكما. فانهما لكانت لي فرحة عظيمة لو انكما قُتلتما على الفور. ولكني اتضايق لكونكما مكثتما في هذا العذاب الاليم.» اما هو فقال لها: «ان هذا الضيق كله راحة. فقد قال الرب: ما اضيق واحرج الطريق المؤدي الى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه[٤]. وقال ايضا: من يصبر الى المنتهى فهو يخلص[٥]. وقال الرسول عن نفسه: اني جُلدتُ ثلاثَ [خمس] مرات، ورُجمت مرة بالحجارة[٦]. فالاناس الذين لا يستحقهم العالم كانوا في ضيق كبير. اما انتِ فافرحي كمؤمنة. فانه كلما طال جهاد المسيحيين وصبرهم، ازدادت مكافأتهم وعظم اكليلهم.» وقبل انبلاج الفجر، اعادهما العبيد الى السجن حيث مكثا ستة اشهر يحتملون عذابات هائلة، حتى شهر نيسان.

واستُبدل الحاكم الاول، وعُين مكانه شخصٌ آخر يُدعى زرادوشت، وكان يفوق سلفه شراسة وطغيانا. وقد جلب معه امرا صارما من الملك العاتي يقضي بان يرجم المسيحيون العلمانيون رؤساءهم بالحجارة. فعمَّ الرعبُ المنطقةَ كلها، ولاذ كثير من الاشراف بالفرار، واختبأ المؤمنون القلائل في الجبال والاماكن الخفية لئلا يضطرو الى سفك الدم الزكي. ولما وصل زرادوشت الاثيم الى المنطقة ودخل معبد النار للسجود، قال له سدنةُ المعبد ان ثمة ساحرين من الذين يُدعَون مسيحيين، وقد مضى عليهما في السجن ثلاث سنين ونصف السنة، وقد عذّبهما الحاكم اذاركركشيد مر العذاب، ولكنهما لم يرضخا لارادته. فامر الحاكم الجديد باحضارهما على الفور. ولما حضرا، وجّها اليهما كلاما عنيفا وقال لهما: «ايها الشعب المتمرد

---

(٤١) ـ متى ٧/١٤.

(٥) ـ متى ١٠/٢٣.

(٦) ـ ٢ قور ١١/٢٤.

الوقح، الم يفزعكم حتى الان أمرُ الملك العظيم شابور سيد الارض كلها الذي دمّر ممالك عظيمة وغزا المدن والقلاع، واخضع البلدان العديدة، واستولى على جميع المناطق؟ وفيما انتم تسكنون بلاده ومدنه، تتمردون عليه وتحتقرون قوانينه واوامره؟» فقال له يوسف بأعلى صوته: «ان كنا متمردين على الملك كما قلت، واعداء كما زعمت، فلماذا لم يَشنَّ علينا حربا ويجنّد ضدنا جيشاً مهيأ بجميع العدد والاعتدة، كما فعل ضد الشعوب التي ذكرتها، بل اكتفى بارسالك انت الجبان الضعيف الذي لم تخرج مع الرجال البواسل في المباريات، بل امضيت ايامك بالبطالة والانهماك في اللذات. لذا عليك ان تخجل لانك لم تأتِ لقمع المتمردين على الملك، بل لكي تخدع الضعفاء وتضلهم ليبتعدوا عن الله. اما نحن، فلن تتسرب مرارتك الفاسدة في آذاننا، ولن تنال من حقيقتنا ومحبتنا للرب.» فقال الحاكم: «اتظن ايها الوقح انك باحتقارك لي هذا ستدفعني الى قطع رأسك على الفور فتنجو من عذابات طويلة. ولكني الآن اسكت الى ان تحين الفرصة لكي اقوم بما أُمرتُ به.» فاجابه القديس: «اعلمُ ان عوامل الحقد كامنةٌ في قلبك كالارقم المتعطش الى اللدغ، وان جسمك مصاب باليرقان نظير الافعى السامة الجائعة الى الخراب. فاكشف إذن عن حيلتك ايها الماكر، واظهر سلطتك ايها المتمرد، واستلّ سيفك وبرّد غليلك بدمنا الزكي، وارسلنا سريعا مع كنوزنا الطائلة الى الموضع الذي ننتظره، فنذهب الى الملكوت الذي ينقض مملكتكم ويبطل سلطتكم الزائلة.»

اذ ذاك امر الحاكم بان يعلّقوه منكس الرأس بابهامي رجليه باوتار جديدة، ثم انهالوا عليه ضربا بالسياط على جروحه. فاخذ الدم والصديد يسيلان من صدره وجنبيه وظهره، حتى ان معظم المشاهدين شرعوا ينوحون ويبكون لما يعانيه هذا الشيخ الجليل من الآلام الهائلة. فدنا منه المجوس وأسرّوا في أذنه قائلين: «اننا ندخلك الى معبد النار، ان كنت تخجل من الجمع الناظر اليك، وهناك اسجد للنار سرا فتنجو.» الا ان المجاهد الصنديد قال لهم بأعلى صوته: «ابعدوا عني يا ابناء النار ويا محبي النار. اذهبوا وغذوا النار التي ستحرقكم في جهنم.» وظل معلقا منكس الرأس طوال ساعتين وهو يعاني مر العذاب. وبعد ذلك امر الحاكم بانزاله وقال له: «الا تريد الان ان تحيا ايها الوقح؟» فاجابه القديس: «اني لا اريد ان احيا

بواسطتك . » فقال له الحاكم : «افتريد ان امنحك الموت؟» فقال له يوسف : «ان الموت الذي تنزله بي هو لي حياة ، والحياة التي انالها منك هي موت . » فقال الحاكم : «لقد اوشكت الحياة ان تفارق جسدك ، وما تبقى منها سابيدها بالعذابات التي اجددها عليك . » فقال له يوسف : «لا سلطة لك على ابادة النفس . فلقد كتب : لا تخافوا الذي يقتل الجسد ولا يستطيع قتل النفس . بل خافوا بالاحرى ممن يقتل الجسد والنفس ويلقيهما في جهنم[٧] . فقد مارست سلطتك بالتنكيل بجسدي ، ولكنك لست قادراً على منع نفسي من الرجاء الصالح ومن القيامة الموعودة لنا التي فيها سيكون لكم انتم الاثمة البكاء وصريف الاسنان مدى الابدية . » فقال له الاثيم ساخرا : «ان كان الامر هناك كذلك ، فاي عقاب ستنزل بي؟» فقال له الطوباوي : «ان ربنا الوديع قال لنا : احبوا اعداءكم وباركوا من يلعنكم ، واحسنوا الى من يبغضكم ويضطهدكم»[٨] . فاضاف الاثيم هازئا : «فستحسن اذن اليّ هناك عوض الشرور التي الحقها بك ههنا؟» قال له القديس : «ليس في العالم الاخر مجال ليحسن المرء الى غيره . بل اني في هذا العالم اصلي من اجلك لكي تعود الى الله فيترحم عليك ، وتعلم انه هو الاله ولا اله سواه . » قال له الحاكم : «دع عنك شؤون ذلك العالم ، فاني مرسلك اليه الآن ان لم ترضخ لارادة الملك . » قال القديس : «انما امنيتي ايضا هي ان ترسلني الى ذلك العالم الذي في سبيله احتمل هذه العذابات . » قال الاثيم : «اني مزمع ان ارعب الكثيرين بمنظرك . » قال القديس : «اني لقد انتصرت في ما انزلته بي من العذابات ، وساصبر على ما تجلبه عليّ ، واترك برهانا حسنا للصغار والشباب الذين ينظرون الى شيخوختي ، لكي يتشجعوا ويسخروا من كبريائك التي انتصرتُ عليها انا الشيخ بقوة الله . فاني لم استسلمْ ولن استسلمَ الى ارادتك حتى الرمق الاخير من حياتي . »

اذ ذاك امر الحاكم بحمله من امامه ، اذ لم يكن يسعه السير على قدميه . فاعادوه الى السجن .

---

(٧) - متى ١٠/ ٢٨ .

(٨) - متى ٥/ ٤٤ .

وبعد ذلك، قال الحاكم لايثالاها: «أأنتَ ايضا على هذا الرأي المتمرد، ولا تطيع وتسجد معنا للشمس فتحيا؟» فاجابه ايثالاها: «وحياة المسيح ابن الله الذي انا متكل عليه، اني اكثر تمسكا من الجميع بهذا الرأي الصحيح. فاني لا استبدلَ الخالق بالخلائق، ولن اقدم السجود الواجب للخالق واعطيه لاعمال يديه.» فامر الحاكم بتعليقه مثل رفيقه. وبينما كان معلقا يقاسي افدح الآلام وقتا طويلا، رفع صوته وقال: «اني مسيحي، اني مسيحي. فليسمع الجميع اني مسيحي، ومن اجل هذا الاسم احتمل هذه العذابات.»

وكان رجل مانوي مسجونا هناك. فقدموه هو ايضا للعذابات والضربات. وسرعان ما جحدَ تعليمَه الضال وايمانَه المزيّف. فانزلوا مار ايثالاها ليرى كيف رضخ المانوي لارادتهم. فلما رآه ايثالاها انه قد جحد وقتل النمل الذي يدعوه المانويون نفسا حية، تهلل الطوباوي وطفح البشر على محياه، واخذ يضرب الأرض بقدميه ويقفز وتهتز يداه اليابستان. ثم صرخ بأعلى صوته وقال: «الويل لماني، الويل له، فانه خاب وخيّب معه الهه الوهمي. طوبى لي، طوبى لي، اذ انتصرت وانتصر بي المسيح القدوس ابن مريم الموجود من البدء والى الابد.»

لما سمع الحاكم هذه الاقوال، اضطرب وامر بجلد الطوباوي بقضبان قاسية، حتى خارت قواه واغمي عليه، فجروه ورموا به خارجا وهو عريان. الا ان واحدا من المجوس اخذته الشفقة عليه، فالقى رداءه عليه وستره. ولما رأى رفاقه ذلك، وشوا به الى الحاكم، فامر بجلده مائتي جلدة حتى اغمي عليه... ولعل الله ينظر الى عمله الصالح هذا ويترحم عليه ويمنحه الخلاص. اما ايثالاها فحملوه والقوه في السجن من جديد.

وبعد خمسة ايام، اقبل شابور طمشابور الى قريته «بيث طباحا»[٩]. فاخذ الحاكم السجينين واحضرهما امامه. فقال طمشابور لهما: «اني مشفق على شيخوختكما، فكلا الدم وانا اطلق سراحكما.» فاجابه القديسان سوية: «كلوا انتم الدم، فانكم

(٩) ـ بيث طبّاحا موضع كان يقع بالقرب من اربيل، وهو اسم يعني «موضع الذبح» اي المجزرة.

تسفكون الدم سرا وعلنا . » فامر بجلدهما . فدنا منهما اناس يتظاهرون بالشفقة عليهما وقالوا لهما : «انا نقدّم لكما عصير العنب عوض الدم فاشرباه لئلا تموتا . » فاجاب القديسان : «معاذ الله ان نلحق مذمة بشيخوختنا ، او ان نخفي حقيقة ايماننا فنكون عثرةً للآخرين . » فجُلدا ثانية اربعين جلدة . ثم قال لهما هذا الاثيم : «يؤتى لكما بلحم طاهر ، فكلا منه واطلق سبيلكما . » فقالا له : «ان اللحم الطاهر الذي انت تعطيه هو دنس ، والرضوخ لارادتك اثم ونفاق . اما نحن فلا شأن لنا مع جميع هذه الامور ، والموت لنا خير منها جميعاً . »

فتشاور الحاكم وطمُشابور فيما بينهما . وقر رأيهما على ان يجمعا اشراف المسيحيين في اربيل وجوارها ليرجموا احدهما هناك . فالقي القبض على جمع غفير من الرجال والنساء والصبيان ليدفعوهم الى اقتراف هذه الجريمة . ومن جملة الذين القي القبض عليهم كانت الشريفة يزداندوخت . واتوا بالقديس يوسف امام طمشابور واقاموه في الوسط وقد تغيّرت ملامحه حتّى اضحى مثل الخيال ، واضطر رجل ان يسنده لئلا ينهار . وكان مع الحاكم جمع غفير من العظماء والاشراف والمجوس . فاوعز يوسف الى الحاكم في الدنو منه كأنه يريد ان يقول له شيئا . فنهض الاثيم باهتمام ، ظانا ان يوسف سيرضخ لارادته ، ودنا منه ليخاطبه . ولكن يوسف ملأ فمه بصاقا وقذفه على وجه الحاكم وقال له : «الا تخجل ايها الدنس القذر من ان تجلبني للاستنطاق انا الذي كدتُ افارق الحياة؟ الا تعلم مما احتملته من العذابات اني ثابت على حقيقة ايماني حتى الموت؟» فضحك طمشابور والعظماء ضحكا شديدا على الحاكم الذي اعتراه الخجل ، وقالوا له : «من اضطرك الى الدنو منه؟» وفي تلك الساعة اخرجوه لكي يُرجَم ، واخرجوا نحو خمسمائة شخص عنوة ليقوموا برجمه . وحفروا حفرة في الارض اجلسوه فيها موثوقا . ثم اخذوا يرغمون الناس على قذفه بالحجارة . واضطروا يزداندوخت ذاتها الى ذلك . ولكنه رفضت قائلة : «لم يسبق للنساء انهن قتلن الرجال قط ، كما انتم ترغموننا على ذلك . لقد تركتم محاربة الاعداء وعكفتم على سفك دماء المواطنين المسالمين . » فربطوا مخرزا في طرف قصبة وقالوا لها : «ان كنتِ لا ترجمينه بحجر ، فخذي هذا واغرزيه في جسمه ، لنقول عنك انك امتثلت أمرَ الملك . » فشرعت تبكي وتنتحب وتقول باعلى صوتها :

«خير لي ان اغرزه في جسمي من ان اغرزه في جسم جندي المسيح الباسل. فاذا اردتم فاقتلوني انا ايضا معه، ولكن معاذ الله ان اشترك معكم في سفك الدم الزكي.» واخذت الحجارة تنهال عليه وتهشمه، حتى اختلط دم الطوباوي بمخه، وارتفعت فوقه الحجارة وغطّته، ما خلا رأسه الذي ظل ظاهرا. عندئذ اشفق عليه احد العظماء، فاوعز الى احد الرجال في ان يرمي حجرة كبيرة على رأسه. ففعل، وفي الحال تهشم رأسه وفاضت روحه. واقاموا رجالا يحرسون جثته طوال ثلاثة ايام. وفي صباح اليوم الرابع، حدثت عاصفة شديدة رافقتها البروق والرعود والبرد الشديد والرياح العاصفة، حتى استحوذ الرعب والهلع على قلوب الجميع، واصيب الحراس انفسهم بالنار والكبريت الهاطل هناك. وفي اثناء تلك الفوضى، رُفعت جثة القديس واختفت، ولم يُرَ لها أثرٌ بعد ذلك.

استشهد هذا الطوباوي في جمعة الاسبوع الاول من سابوع الفنطقوسطي (الرسل). اما ايثالاها، فقد اقتاده طمشابور الى منطقة بيث نوهدرا الى قرية كبيرة تدعى «دستجرد»[١٠]. وهناك ايضا اتوا برئيس البلد واشراف المسيحيين رجالا ونساء، واخرجوا الطوباوي خارج البلدة وربطوه في موضع مرتفع، ثم اضطروا هؤلاء الناس الى رجمه حتى فارق الحياة. واقاموا حراسا على جثته مدة يومين. وفي الليلة الثالثة، جاء مسيحيو المنطقة وسرقوا جثته ودفنوها باكرام حسبما تسنى لهم.

في تلك الايام جرت اعجوبة باهرة في موضع رجمه. فقد نمت فيه شجرة آس نمواً سريعا اصبحت مصدر بركات لسكان المنطقة المؤمنين مدة خمس سنين. وبعد ذلك دفع الحسد قوما فاستأصلوها. وقد اكد رواة صادقون انهم رأوا مرات

(١٠) ـ «دستجرد» اسم اطلق على اماكن عديدة. وهنا يطلق على موقع قديم اقيمت فيه مدينة دهوك الحالية في شمال العراق. وهناك على تلة مشرفة على قصبة دهوك اقيمت كنيسة على اسم الشهيد مار ايثالاها، فيها يحتفلون بذكرى هذا الشهيد ويقيمون له كل سنة عيدا شعبياً كبيرا (شيرا).

عذيدة في موضع الرجم فرقا من الملائكة صاعدين نازلين ليلا وهم يسبحون الله العلي العظيم .

استشهد هذا القديس في الاربعاء من الاسبوع الاخير من سابوع الفنطقوسطي (الرسل) .

٣٢ جهاد مار سابا الفتى ورفاقه الشهداء[1]

حينما استولى شابور الثاني على منطقة بيث عربايي ، اقام عليها حاكمين من قرابته ، وعهد الى كل منهما بالحكم على قسم من المنطقة . وحينما افتتح سنة ٣٦٣ بلاد بيث زبدى وقتل فيها كثيرين ، وسبى عددا غفيرا من اهلها الى منطقة الاهواز ، اخذ احدُ الحاكمين وهو «زميسب» قوما من هؤلاء المسبيين المسيحيين واسكنهم في ولايته .

في تلك الغضون ، اصدر شابور امرا يقضي بقتل المسيحيين الذين يرفضون السجود للشمس والانضمام الى ديانة المجوس . فدعا الحاكمُ المسيحيين الساكنين في ولايته وبلّغهم امر الملك ، وناشدهم بالامتثال له . ولكنهم رفضوا العرض رفضا باتا وناقشوا الحاكم وابدوا تمسكهم الشديد بديانتهم . واذ ذاك امر الحاكم بتعذيبهم بغية دفعهم الى العدول عن رأيهم . وكان الرجل المشرف على تعذيبهم يدعى «كوبي» . غير ان المسيحيين كانوا صامدين وهم يواظبون على الصلاة وسط محنتهم القاسية .

وكان للحاكم ابن وحيد يُدعى «بيركوشنسف» قد تربى بصحبة صبي من المسيحيين المنفيين اسمه انسطاس ، وارتبط معه بمودّة عميقة . وكان الفتى بيركوشنسف يتردد مع صديقه الى الكنيسة ويتلقى تعليم المسيحيين ويرتل المزامير ويتلو الصلوات معهم ، حتى استهواه ، الدينُ المسيحي . وبينما كان ذات ليلة نائما ، ظهر له الشهيد مار قرياقوس ودعاه باسمه وقال له : «يا اخي بيركوشنسف ،

(١) ـ اني اوجز ههنا ما ورد في كتاب شهداء المشرق ١ ص ٣٩٨ ـ ٤١٥ .

اذهب الى الشهداء ، فانهم ينتظرونك . » وما ان نهض من نومه ، حتى توجه الى الشهداء والتمس منهم ان يقبلوه بين عداد المؤمنين ، وقص عليهم ما شاهده وسمعه في الرؤيا . وفي بادئ الامر ، رفض المسيحيون طلبه . ولكنهم نزلوا عند رغبته لِمَا رأوا فيه من صدق النية وثبات العزيمة . فمنحوه سرَّ العماد ، وناولوه القربان ودعوا اسمه «سابا» .

وحينما بلغ الحاكمَ أمرُ تنصُّر ابنه ، استحوذ عليه وعلى امرأته حزنٌ عميق وغضبٌ شديد على المسيحيين واتّهمهم بانهم قد سحروا ولده الوحيد ، واستدعاهم وانهال عليهم شتما واهانة لكونهم تجرأوا وتلمذوا ابنه . فاجابه المسيحيون وقالوا له : «انما ابنك هو الذي اضطرنا الى جعله مسيحيا ، وان الامر كان من شأنه ان يوليك فرحا ، لان ابنك تخلى عن عبادة المخلوقات وتمسك بعبادة الخالق . » فثار ثائر الحاكم ، وامر بجَلدهم حتى تناثرت لحمانهم على الارض . ثم امر بهدم كنيستهم وبقتلهم جميعا . واوعز الى الاثيم «كوبي» في تنفيذ هذا الامر . فقتلهم جميعا والقى جثثهم امام دار احد المسيحيين اسمه «تاديق» . وكان بين الشهداء شخص اسمه ايثالاها ما يزال فيه رمق من الحياة . فاخذه تاديق الى داره ، وعالجه واهتم به .

ثم امر «زميسب» باحضار ابنه «بيركوشنسف» . وما ان دخل عليه حتى اخذ الحاكم يبكي وينوح ويناشد الفتى بالعدول عن رأيه والعودة الى ديانة آبائه . الا ان الفتى ظل صامدا في رأيه ، وقال لابيه ان يكفَّ عن البكاء والحزن ، اذ لا جدوى منهما ، ولا سبيل الى العودة عن عبادة الاله الحق . واستخدم الحاكم كل ما تيسر لديه من الوسائل لاقناع ابنه ، ولكنه لم يجنِ من ذلك فائدة ، اذ ظل الفتى ثابتا في ايمانه .

وما ان بلغ الخبر شابور الملك ، حتى كتب الى عظماء المقاطعة واوعز اليهم في احضار بيركوشنسف وفي بذل قصارى جهودهم في سبيل ارجاعه الى ديانة المجوس ، وتعذيبه وقتله اذا ظل مصرًّا على رأيه . فاحضروا بيركوشنسف واخذوا يناشدونه بان يجحد الدين المسيحي ، امتثالا لامر ملك الملوك وصوناً لكرامة والده وعشيرته . فاجابهم الفتى بشجاعة وقال : «لو ادركتم ما في الدين المسيحي من

الحقيقة والقوة الالهية ، لما ترددتم في احتمال كل المشقات في سبيله .» فانتهروه قائلين : «اوتريد ان تحملنا نحن ايضا على اتباع هؤلاء السحرة في غيّهم ؟ فالأولى بك ان تسمع نصيحتنا وتُنقذ نفسك من الموت وتجنّب والدك الخزي والعار .» فقال لهم الفتى : «ان كلامي الاول والاخير هو اني مسيحي ، ولن ارتدّ عن مذهبي القويم .» فصاحُوا به مغضبين وهدّدوه وتلوا رسالة الملك على مسامعه لكي يخيفوه بها . ولكنه شرع يضحك ويقول : «ان كان هذا امر ملككم ، فِلمَ تتأخرون في انجازه ؟»

واذ ذاك فوّضوا الى اللئيم «كوبي» امر تعذيب الفتى الى ان يُذعنَ لارادتهم . ثم انصرفوا الى منازلهم وهم في حيرة من امرهم . فامر كوبي بجَلد القديس . فطُرح على الارض ، وانهال عليه اربعة جلادين ومزّقوا جسمه بسيور جديدة ، حتى اغمي عليه . فحملوه ورموا به في السجن ، واوصدوا ابواب السجن وخُتمت بختم كوبي . . . وفي الليل ، تراءى للفتى ملاك الرب ومار قرياقوس الشهيد . فدنا الشهيد من سابا وامسكه بيده اليمنى واقامه ، وضمّد الملاك جراحه واعطاه طعاما ، ثم شجعاه قائلين له : «لا تخفْ ! فانك ستنتصر قريبا على اعدائك . وقد اوشكتَ ان تبلغ ميناء الحياة والراحة ، حيث تعطى السعادة الابدية لجميع الذين يحتملون العذابات من اجل اسم ربهم القدوس .» ثم انصرفا وتركا الفتى في غمرة فرح سماوي لا يوصف .

ولما سمع تاديق المؤمن بما اصاب الفتى القديس من العذابات ، اخذ طعاما وتوجه الى السجن بصحبة ايثالاها ، والتمسا من السجان الدخول الى السجن . ولكنه اعتذر قائلا : «اني لا اتمكن من الدخول لان الابواب مختومة . ولكني رأيت في منتصف الليل نورا ساطعا اضاء الموضع الذي هو فيه ، وسمعت اصوات اناس يكلّمونه .»

ونالت امه المسكينة السماح باحضاره لديها ، وشرعت تناشده بالعودة عن رأيه والانقياد لاوامر الملك ، وهي تبكي وتتوسل اليه بهذا الشأن . ولكن سابا خاطبها بشجاعة وقال لها : «لاجدوى من بكائك ، يا اماه ، فالاجدى لك ان تنبذي عبادة

الاصنام وترجعي الى عبادة الله الحي وتحصلي على السعادة المعدّة لكل الذين يعبدونه ويحفظون وصاياه باخلاص .» فصرخت الوالدة وقالت : «او تريد ان توقعني انا ايضا في مكائد اولئك السحرة الذين اغووك ؟» فاجابها انسطاس خادم بيركوشنسف وصديقه : «لو اتّبعت آراء ابنك لكنت سعيدة . فكفّي الان عن البكاء والنحيب ولا تزيدي اشجاننا .» فثار ثائرها وانقضّت على انسطاس وعضّته واقتطعت قطعة من لحمه باسنانها وقالت له : «انما انت ايها الشقي وابواك الملعونان قد جلبتم علينا هذه المصيبة الاليمة .» فقال لها ابنها : «لا تعاملي هذا الفتى بهذه المعاملة ، فانما قال الحق والصواب .» اما هي فطردت انسطاس ، وانهالت على ابنها تقبّله وتبكي وتتوسل اليه قائلة : «اشفق يا بنيّ على شبابك وعلينا ، اذ ليس لنا ابن آخر غيرك يكون سندا لشيخوختنا .» فطلب سابا ان تستدعي انسطاس لديه لكونه عزيزا عليه . فارسلت واستدعت انسطاس وكوبي ، ثم اسرّت الى كوبي بالتنكيل بانسطاس وقتله ، لكونه هو سبب المصيبة التي حلت بها .

فاقتاد كوبي سابا وانسطاس ، وامر بتعذيب انسطاس ، لعله بذلك يرد بيركوشنسف عن رأيه . وبعد ان جلد انسطاس جلدا قاسيا ، امر كوبي بقطع رأسه والقاء جثته في بئر كانت هناك على مقربة من دار تاديق . اما سابا فظل ثابتا في عزمه وشجاعته رغم ما تلقاه من ضروب العذابات من كوبي اللئيم ، ورغم ما بذلته امه من الجهود والدموع في سبيل ارجاعه عن عزمه .

واستدعاه ابوه ايضا وعانقه وقبّله والتمس منه بدموع حارة ان يتخلى عن الديانة المسيحية . فقال له الفتى : «كفاك البكاء ، يا ابتِ ، ولا حاجة الى المزيد من الكلام . فاني لن اتخلى عن يسوع المسيح .» فاستحوذ الحزن واليأس على قلب الوالد المسكين . ونزولا عند نصيحة الاعيان واهل بيته ، ترك الفتى واستدعى «ابورزد» امين الملك وامر كوبي باحضار الفتى عندهم . فحضر وهو مثقل بالسلاسل . ولدى دخوله ، سجد امام ابيه والحاضرين معه . واذ ذاك انهمرت الدموع من مآقي ابورزد والحاضرين لدى مشاهدتهم الفتى وما آلت اليه حاله من الهزال من جراء التعذيبات التي تلقاها . فنهض الامين من مكانه ، وعانق الفتى وقبّله واجلسه عن يمينه وامر بفك قيوده ، وبلّغه سلام الملك شابور . فسجد الفتى

باكرام لسلام الملك . ثم اخذ ابورزد يخاطبه قائلا : «لقد وعد الملك بان يكرمك ويمنَّ عليك بعطاياه الجزيلة اذا سجدت للشمس والقمر والنار ، ويولي اباك اكراما كبيرا . » فاجابه الفتى : «ليحتفظ الملك باكرامه وهداياه . اما انا فلست ابغي سوى كرامة الاله الحق ، وله وحده اسجد ، واياه اعبد . » واذ ذاك توعده الامين بالعذاب والموت . الا ان الفتىٰ اجابه بشجاعة : «افعل ما شئت ، فاني لن امتثل ارادة ملكك الكافر قط ، ولن اسجد للشمس ، بل للاله الاحد الحق القادر ان يزيل نورها ومجدها . » واذ ذاك استشاط الامين غيظا وامر باحضار قضبان شائكة ، واوعز الى الجلادين في جلده بقساوة حتى تمزّق جسمه وتناثرت لحمانه . اما الفتى فرفع عينيه الى السماء وقال : «ايها الرب يسوع المسيح ، هلمّ الى معونتي في ساعة الضيق هذه . » وبعد هذا الجَلد الاليم ، امر ابورزد بالقائه في زنزانة ، ومنع تقديم الطعام له او دخول احد عليه . فطُرح في السجن وهو يقاسي آلاما مبرّحة من جراء جروحه ومن الحر الشديد ، اذ كانوا في شهر تموز .

وفي صباحِ اليوم التالي ، ارسل ابورزد من يتحقق امر الفتى ويرى هل هو ما يزال على قيد الحياة . فوجدَ القديسَ صحيحا لا جرح فيه . فاحضره ابورزد وقال له : «قل لي يا فتى ، من الذي فتح ابواب السجن واتاك بالاطباء فأبرأك ؟» فاجابه سابا : «المسيح الذي اومن به هو الذي اتاني وابرأني ، دحضا لاكاذيب آلهتكم . » واذ ذاك امر الامين بربطه على سلم وبجرده دون شفقة . واذ كان القديس يصلي ويطلب معونة الرب ، قال له الامين متهكما : «اين المسيح الذي تستنجد به ؟ فليأت الان وينقذك من يدي . » فقال له القديس : «ان المسيح قد اعانني وهو لن يتخلى عني . اما انت فكفاك التيه والصلف ، فان نجمك اوشك على الافول . » فامر الامين باعادته الى السجن ، واوعز الى المجوس في الدخُول عليه لكي يحاولوا اقناعه بالعدول عن رأيه ، وامهلهم عشرة ايام للقيام بهذه المهمة . الا ان جهود المجوس باءت بالفشل ، وظل الفتى ثابتاً في ايمانه .

وفي اليوم الثامن من الاجل المضروب ، جاء تاديق وايثالاها الى السجن وتمكنا من اقناع السجان ليسمح لهما بحمله الى منزل تاديق . وهناك غسلا جروحه وضمداها ، ومكّناه من تناول القربان . وفي الليلة التي امضاها في دار تاديق ، ظهر له

مار قرياقوس وقال له : «طِبْ نفساً وتهلّلْ يا اخي سابا ، لانك جاهدت جهادا حسنا ، وابتهجْ لانك ستُقتل يوم الجمعة نظير ربك فتنال اكليل الشهادة .» فاستيقظ سابا وقص ما شاهده على تاديق وايثالاها . ففرح الجميع وشكروا الله . وفي الصباح الباكر ، عانق تاديق وايثالاها الفتى سابا وارجعاه الى سجنه .

وبعد انقضاء الايام العشرة المحدودة ، امر ابورزد باحضار سابا . ولما مثل بين يديه ، سأله الامين هل كان ما يزال على رأيه . ولما اجابه القديس انه ثابت في عزمه ، امر ابورزد الجلادين بان يأخذوه ويقتلوه . ولما همّ الجلادون بأخذه ، حدث اضطراب كبير بين سكان الدار الذين تشبثوا بالفتى ولم يفسحوا للجلادين مجالا لاخذه ، وكانوا يصرخون ويقولون لهم : «أخرجونا نحن ايضا واقتلونا معه .» ولما انحنَى ابورزد باللائمة على ابيه زميسب ، حاول هذا مرة اخرى اقناع ابنه ورده عن رأيه . ولكن جهوده ذهبت ادراج الرياح . واذ ذاك تقدم الاب مع جميع اهل داره وعانقوا الفتى وقبّلوه باكين منتحبين ، ثم سلموه الى ابورزد وجلاديه .

واقتاد الجلادون سابا الى امام دار تاديق لكي يقتلوه هناك . واذ ذاك استأذن الفتى ابورزد بان يُسمَح له بالصلاة قليلا ، فصلى قائلا : «ايها الرب القدير ، يا سامع صوت الخطأة التائبين ، اتضرع اليك ان تقبل صلاة عبدك الخاطئ الذي يصرخ اليك في اللحظة الاخيرة من حياته الارضية . اقبل يا رب تضرعات الذين يدعونك باسمي ، واحْفظهم من جميع الشرور والآفات . وترحّمْ علّي انا الذي جحدتُ دينَ آبائي ، واعترفْ بي في السماء كما اعترفتُ بك على الارض ، واقبلني بين اجواق الشهداء الذين سفكوا دماءهم في سبيلك . كن يا رب حصنا منيعا لجميع المؤمنين في هذا البلد ، الآن وكل اوان والى ابد الدهور . آمين .»

ولما انهى صلاته ، اوعز ابورزد الى جنوده في قطع رأسه . الا ان احدا منهم لم يُقدِمْ على ذلك . واذ ذاك تقدم كوبي وابدي استعداده لتنفيذ هذا الامر . وكان الفتى مربوط اليدين ومنحني الرأس . فاستل كوبي سيفه وانقض على الفتى وضرب عنقه خمس مرات . الا ان الخوف استحوذ عليه فلم يستطع قطع رأسه . واذ ذاك قال له الفتى الشهيد بلطف : «لقد اصبحت جبانا ايها الرجل ؟ ولِمَ ارتختْ يداك ؟ أمضِ فيَّ أمرَك . فانما الى الحياة ترسلني وليس الى الموت .» واذ ذاك طَعَنَه في جنبه

وقتله . والقوا جثته في الحفرة التي فيها القي الشهداء الذين قتلهم ابوه زميسب .

وهكذا استشهد الفتى سابا في السادس عشر من شهر آب ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وثمانية اشهر . وقد دامت عذاباته ٤٩٠ يوما .

وفي تلك الليلة ذاتها اتى تاديق وايثالاها واخذا جثة القديس ووضعاها في صندوق من ذهب ، ودفنا ايضا مار انسطاس رفيق القديس سابا .

اما كوبي الاثيم ، فقد اصابه مرض خبيث بعد جريمته بايام قلائل ، فانتفخت ذراعاه وجسمه كله وانتن جسده ، فمات اشنع ميتة .

٣٣ استشهاد مار باسوس واخته سوسان واسطيفانس ولونجينا

حينما استولى شابور الثاني على منطقة بيث عربايي برمتها ، اقام زميسب واليا عليها ، كما قلنا سابقا . وهذا بدوره عيّن ابورزد حاكما على مقاطعة بيث زبدى . ورُزق ابورزد توأمين ، سمى الابن باسوس والابنة سوسان . وبذل الاب قصارى جهده في تربية هذين الطفلين وتهذيبهما حسب الديانة المجوسية .

وكان في دار ابورزد عبد مسيحي ارزني الاصل اسمه اسطيفانس يقوم بخدمة الصبيين . فشرع هذا يكلمهما عن الدين المسيحي ويشرح لهما ما فيه من الحقيقة الرائعة وما في المجوسية من الضلال والخرافات . فلقيت الحقيقة المسيحية تربة خصبة في قلب الولدين ، وأخذا يعكفان على تلاوة المزامير والصوم والصلاة ، ونما فيهما الشوق الى العماد المقدس والتمساه مرات عديدة من اسطيفانس . فاشار عليهما بالانتظار ريثما يرسل الله لهما كاهنا ليمنحهما هذا السر المقدس .

وفي احد الايام ، شاء الولدان ان يذهبا الى الجبال لمشاهدة قطعان والدهما . ولما بلغا موضعا يدعى «راجولا» ، ترجلا وشرعا يصعدان الجبل . وبغتة نفر ايل من امامهما . فاخذ الولدان يصيحان ويسعيان في اثره ، ولكنه اختفى عن انظارهما . واذا بهما يشاهدان في الجبل مغارة صغيرة ، فقصداها لعلهما يجدان فيها الايل . وحينما دخلا المغارة ، رأيا فيها شيخا جليلا متوشحا رداء من الشعر الغليظ ، وقد

اسودّ لونه وهزل جسمه كثيرا من المعاناة والصوم والصلاة طوال سبع وعشرين سنة . فتولاهما الخوف من منظره وساورتهما فكرة الفرار من ذلك الموضع . واذا بالناسك يصبح فجأة يهيّ المنظر ساطع الوجه . واقبل اليهما واخذ يشجعهما ويطمئنهما حتى زال روعهما وسلما عليه باكرام . فاستقبلهما الناسك بلطف ومحبة ، واجلسهما الى جانبيه . وبعد حديث طويل ، اطلعه الولدان على رغبتهما الشديدة في العماد ، والتمسا منه تلك النعمة بالحاح . فلبى الكاهن الناسك ـ واسمه لونجينا ـ طلبهما ومنحهما العماد .

وعاد الولدان الى البيت فرحين ، وقصّا على اسطيفانس ما حدث لهما مع لونجينا . وشرع الثلاثة يترددون بين الفينة والفينة الى مغارة الناسك ويسترشدون بتعاليمه ونصائحه . وكان الناسك القديس عالما بما ينتظرهما من الشدائد ، واخذ يقوي عزمهما على التمسك بعبادة الاله الواحد وعلى نبذ التعاليم المجوسية . وشجعهما ليكونا مستعدين لاحتمال كل العذابات ، حتى الموت ، في سبيل الحقيقة . فوعده الولدان بان يكونا امينين تجاه المسيح ومستعدين لتجشم كل الضيقات من اجل اسمه .

واظهر الولدان غيرة شديدة على الديانة المسيحية ، وصارا يرشدان العديد من الفتيان الوثنيين الى الايمان الصحيح . وكان ابوهما في تلك المدة قد توجه الى منطقة فارس وظل فيها تسعة اشهر للقيام بمهام كلفه بها الملك الفارسي . وبعد عودته الى داره بايام قليلة ، جرى عيد للوثنيين . فدخل ابورزد معبد الالهة وقدم لها البخور والسجود . ولم يشترك باسوس وسوسان واسطيفانس في تلك العبادة ، مما اثار شكوك الوالد واستياءه العميق . وعندما سأل زوجته عن سبب تصرفهم هذا ، قالت له : «منذ ذهابك الى بلاد فارس ، لاحظتُ ان الصبيين يواظبان على الذهاب الى الجبل عند رعاتنا . وعندما سألتهما عن ذلك ، اجاباني : «اننا نفضّل هدوء الجبال على العيش بين اقوام يعكفون على التمسك بالضلال . » فاراد الوالد ان يقف على حقيقة الامر . فدعا احد عبيده وارغمه بالتعذيب على اطلاعه على دخيلة الامر . فباح له العبد بكل شيء تخلُّصاً من العذاب .

اذ ذاك استشاط ابورزد غيظا واستدعى باسوس وسأله عن حقيقة ما نقل اليه . فاعترف الولد بكونه مسيحيا وبأنه لن يتخلى عن ديانته الجديدة قط . فانهال الأب عليه ضربا ورفسا ولطما ، حتى اشفق عليه الحاضرون وانقذوه من بين يديه والتمسوا منه ان يُرجئَ الامر الى يوم آخر ، لئلا يعكّر بهجة العيد وافراحه . ثم مالوا الى الصبي ودعوه بلطف الى السجود معهم للآلهة . ولكن باسوس ظل صامدا في ايمانه ، ورفض جميع عروضهم ، واعلن انه لن يسجد الا ليسوع المسيح ، وانه ينبذ الآلهة واضاليلَها .

ولما سمع المُجوس هذا الكلام ، جُنَّ جنونهم ولم يحاولوا من بعد ان يمنعوا اباه من تعذيبه ، بل حرضوه على قتله . الا ان الخدام اتاحوا له فرصة الهرب . فخرج باسوس مع اخته سوسان وخادمه اسطيفانس ، وانطلقوا مسرعين الى الناسك . ولكن ابورزد احس بالامر ، فلاحقهم مستلاً سيفه . فادرك اولا اسطيفانس ، وانقضّ عليه وقطعه اربا اربا . اما باسوس وسوسان فكانا يستمران في الصعود الى الجبل . فبلغ الضعفُ من سوسان مبلغَه ، حتى خارت قواها وسقطت على الارض ، بينما كان اخوها يشجعها ويساعدها على النهوض . واذا بالوالد قد اقبل وهو يصر اسنانه غيظا . فقال باسوس لاخته : «هوذا قد حان الاوان الذي فيه تنالين اكليل الشهادة ، فاستعدي له من كل قلبك .» وتركها واخذ يسرع في الصعود والذهاب الى مغارة معلمه لونجينا . ولما ادرك الوالد ابنته سوسان ، قبض عليها وحرّضها على ان تكفر بالمسيح . ولكنها اعلنت بشجاعة انها انما تكفر بالآلهة الكاذبة وليس بالهها وخالقها ومخلصها . واذ ذاك ضرب الوالد عنق ابنته بالسيف وقطع رأسها ، فسقطت جثتها على صخرة هناك .

ثم واصل الوالد ملاحقة ابنه الصاعد الى مغارة الشيخ القديس . ولدى وصوله الى المغارة ، شاهد الناسك واقفا على مدخلها . فعاجله بضربة سيف حزّ رأسه . ولما دخل ابورزد الى المغارة لم يجد فيها ابنه ، لان الله شق الصخرة فوق المغارة واخرج منها باسوس واوصله الى قمة الجبل . وهناك عكف على الصلاة والاستعداد للاستشهاد . ولما خرج الوالد من المغارة دون العثور على ابنه ، ابصر رعاة يرعون غنمهم عند قمة الجبل ، فذهب اليهم وسألهم عن ابنه . فقال له واحد منهم : «اني

الان ابصرت ابنك مختفيا في شق صخرة هناك . » فاسرع الوالد الى الموضع المشار اليه . ولما رأى باسوس اباه مقبلا اليه صرخ قائلا : «يا رب اقبل روحي . » والتمس باكيا من ابيه ان يهدئ غضبه وان يتخلى عن عبادة الاصنام . الا ان هذا الوالد كان قد انقلب الى وحش ضار لا اثر للشفقة في قلبه . فهجم على ابنه ، وقطع يديه ثم رأسه ورمى بجثته في ذلك الشق عينه .

وما ان عاد الوالد ، حتى ذهبَ توّاً الى معبد الآلهة ليقدم الذبائح مرضاة لها بقتل ولديه . واذا بحريق شب في المعبد وقضى على ابورزد وعلى جميع المجوس الذين معه . وكذلك اصاب الراعي المخبر برص شنيع نخر جسمه شيئا فشيئا . . . واقبل المسيحيون من القرى المجاورة ، ودفنوا سوسان ولونجينا عند المغارة . اما باسوس ، فدفنوه في موضع قريب من قمة الجبل ، وبنوا فيه هيكلا كبيرا وسموه باسم القديس . واما يداه فأخذهما اهل «حديل» الى قريتهم ووضعوهما في مكان لائق .

جرى استشهاد مار باسوس ورفاقه في الحادي عشر من شهر ايار ، وكان له ولاخته اثنتا عشرة سنة وثلاثة اشهر .

٣٤ قصة كرخ بيث سلوخ (كركوك) والذين استشهدوا فيها حتى مطلع القرن الخامس

ان مدينة كرخ سلوخ العريقة في القدم قد تنصرت على ايدي القديسين ادي وماري . ويقال ان هذين الرسولين لدى دخولهما الى المدينة ، استقبلهما رجل يدعى يوسف . وحينما تتلمذ واعتمد ، بنى كنيسة دعيت «دير يوسف» . واخذت المسيحية تنتشر في المدينة شيئا فشيئا . وظلت الديانة المسيحية مزدهرة فيها من عهد الملك بالش حتى السنة العشرين من ملك شابور الاول ابن ارد شير . وفي عهد شابور ، ظهرت فيها بدعة ماني واحدثت فيها الكثير من الفوضى الدينية .

وفي عهد الملك الروماني هادريانس[1] ، اشتدت وطأة الاضطهاد على المسيحيين في الغرب . ففر منها كثير من الاساقفة والمؤمنين والتجأوا الى الشرق . وكان من بينهم الاسقف «توقريطي» الذي جاء الى كرخ سلوخ واستقر فيها وصار اسقفا لها باذن من مطران شهرقرد . لان رئاسة المنطقة كانت تعود الى اسقف شهر قرد ، ويأتي بعده كرسي كرخ سلوخ ، ثم لا شوم ، والرابع خربة جلال ، والخامس دارا . فاقام توقريطي كنيسة في المدينة ووضع لها النظم والقوانين لتسير بموجبها . وبعد ذلك جدّد الاسقف يوحنان هذه الكنيسة .

بعد وفاة توقريطي ، خلفه عبد يشوع على كرسي اسقفية المدينة ، ثم توالى الاساقفة من بعده حتى مجيءُ «معنا» .

كان «معنا» اسقفا فاضلا ، وفي عهده اثير اضطهاد على المسيحيين ، وهُدمت الكنيسة وحدث انقسام مؤسف في صفوف المؤمنين . ولم يتوقف الاضطهاد عند القتل حسب ، بل شمل النهب ايضا والتعذيب والمضايقات . وكانت ثمة بتولات نذرن انفسهن لله . فوشى بهن المانويون فقُتلن في موضع يدعى «حورا» يقع خارج المدينة . وفي موضع استشهاد هؤلاء العذارى القديسات نبتت تينة اضحت مزارا تجري فيه المعجزات والاشفية . إلا ان المانويين قطعوا هذه الشجرة واحرقوا جذورها بالنار . لكن الله عاقبهم بداء البرص الذي ابادهم بعد عذاب اليم . وقد دُعي الموضع منذ ذلك الحين «بيث تيتا» . وكل سنة ، حينما يحتفل المؤمنون بذكرى الجمعة العظيمة ، يقومون ايضا بتطواف مهيب الى ذلك الموضع .

وحينما اشتدت وطأة الاضطهاد على المسيحيين ، شرع بعضُ المؤمنين مع اسقفهم الباسل والنشط يقيمون بيوتا صغيرة في المرتفع الواقع بالقرب من المدينة بجانب حقل يدعى «حاصا» ، لتكون لهم بمثابة الكنيسة ، واخذوا يقيمون فيها المراسيم الدينية سرا . ولما احس الوثنيون بذلك ، قصدوا الموضع ، وهجموا على الاسقف مثل ذئاب مفترسة وانهالوا عليه ضربا وتعذيبا . واذ رأوا انه لا يذعن لارادتهم

---

(١) - هادريانس : امبراطور روماني (١١٧ - ١٣٨) ابن ترايانس بالتبني وخلفه في الملك .

ولا يستبدل الحقيقة بالكذب ، رجموه في المرتقى الكائن فوق «حاصا» ، وقضى شهيدا .

وخلفه اسحق . وكان من عشيرة شهيرة . الا ان اشراف المدينة الذين يُدعَون مسيحيين بالاسم فقط قاموا برجمه ، مدفوعين الى ذلك بامر الملك الفارسي . فاستشهد الطوباوي اسحق في تل فوق قرية «كنار» ، في منطقة «نيقاطور ـ اوانا» .

وخلفه في الاسقفية يوحنان الذي حضر مع مار يعقوب اسقف نصيبين ويوحنان اسقف اربيل في مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر المقدس (نيقية سنة ٣٢٥) .

وخلفه عقبالاها . وكان هذا الطوباوي عاكفا على الخير والفضيلة منذ الخامسة عشرة من عمره . وكان يتصدق على المساكين والغرباء بالاموال التي يأخذها من والديه سرا . وكان والده يشغل منصبا رفيعا في بلاط الملك ، وقد جحد المسيحية وسجد للنار ارضاء للملك . فغادر الطوباوي منزل والده وذهب الى الغربة . الا ان اعماله العظيمة ومآثره الجليلة دفعت الناس الى اختياره اسقفا لمدينة كرخ سلوخ . وما ان استقر به المقام ، حتى شيّد الكنيسة التي كانت قد استؤصلت في عهد «معنا» ، وزوّدها بجميع لوازم الخدم الدينية . وبعد وفاة والديه ، وهب الكنيسة كل ما ورثه عنهما . ونصّر وعمد كثيرين . وكذلك تلمذ ونصّر قرية «تيشين[٢]» التي تدعى بهذا الاسم نظرا الى القبائل التسعين التي جلبها الملك شابور واسكنها فيها . وكان سكانها يسجدون للصنم «ناني» الذي جلبوه معهم من بلادهم الاصلية . وكان خُمسُ هذه القرية يعود الى والدي الطوباوي وقد ورثه عنهما . . . وسرعان ما انتشر خبر مآثر عقبالاها في البلاد كلها ووصل الى بهرام بن شابور ملك الفرس[٣] ، وكان له ابنة يعذبها الشيطان . فاستدعي عقبالاها الى هناك ووضع يده على الصبية ونالت الشفاء . فالتمس من الملك الا تُستأصل الكنائس ، وان تُبنى المهدومة منها . ولبى الملك رغبته . ودأب القديس على العمل في توطيد الدين المسيحي والقضاء على

---

(٢) ـ لقد شملت مدينة كركوك الحالية الموضع المسمى «تسعين» الذي يقع الان في الجنوب الغربي من محطة القطار .

(٣) ـ قد يكون بهرام الرابع كرمنشاه (٣٨٨ ـ ٣٩٩) ابن شابور الثالث . . .

جميع بذور الشقاق والشكوك بين المسيحيين ودحض البدع الموبوءة واستئصالها من ابرشيته ، الى ان توفاه الله .

واختارت الابرشية برحذبشبا خلفا له . وكان يشهد له بالاعمال الصالحة والآيات والمعجزات . وبعد موته خلفه «اخسنايا» (فيلوكسينس) ، وكان رجلا وديعا ومتواضعا وفاضلا .

وخلفه مار شابور براز ، وهو من سكان المدينة ذاتها . وكان ايضا رجلا جليلا وفاضلا ينتمي الى قبيلة اردشير بن شابور براز . فتخلى هذا عن منصب الادارة واعتزل العالم وصار ناسكا في احد الاديرة . وكان هناك يشتغل مع اخوته الرهبان بكل صفاء وقداسة . ولما دعي الى الاسقفية ، شرع ينشر الحقيقة ويستأصل البدع ، ونصّر جميع اهل عشيرته التي كان سلوقس قد اتى بها من «اصطخر» واسكنها هناك . وبنى في ارضهم بيتا للغرباء فيه يُقبَل المرضى والمتضايقون والفقراء والمحتاجون . وخصّه باموال تكفي لاجور الاطباء وللوازم الضرورية للذين يقصدونه .

وبعد موته ، خلفه يوحنان . وكان ذا سيرة فاضلة وشجاعة عظيمة وكاملا في كلا الامرين : الكهنوت والشهادة . وكان اذ ذاك يزدجرد (الاول ٣٩٩ ـ ٤٢٠) ملكا على البلاد الفارسية . وكان هذا الملك في بداية عهده مسالما مدة سبع سنين . ولكنه في السنة الثامنة اثار اضطهادا على كنيسة الله ، وقتل ابنته التي كانت زوجته ، وقضى على كثيرين من عظماء مملكته . وذهب الى منطقة «طشول» واخضع امراءها ، وبنى فيها مدينة سماها باسمه «شهرستان يزدجرد» . وبينما كان هناك ، طرد المسيحيين من جيشه ، لانه ظن ان الاعداء انما ينتصرون عليه بسبب المسيحيين . واختار ثمانية الاف رجل من المجوس وخصاهم واقامهم في خدمته . وكان ثمة نظام حميد وهو انه في الايام السبعة الاولى من كل شهر ، كان اناس معروفون يدخلون على الملك ويرفعون اليه شكوى المظلومين ويطلعونه على الذين لا يحسنون ادارة امور الدولة . فالغى يزدجرد هذا النظام . وحينما عاد من طشول الى العاصمة ، كتب الى طهمزجرد مونرازبد الذي كان في نصيبين ، وكان منظّم المجوسية ، ان ياخذ معه اذرفراجرد مسؤول منطقة ارزون ، وسورين حاكم حديات وبيث كرماي ، فيذهب ثلاثتهم الى

كرخ بيث سلوخ ويحاولوا الضغط على المسيحيين في تلك المنطقة لكي يحملوهم على جحود المسيح والسجود للنار. واذا لم يسجدوا للشمس والنار والماء، فليُسلَموا الى التعذيبات والتنكيلات، ثم الى الموت بالسيف.

فجاء طهمزجرد ورفاقه ودخلوا المدينة في الخامس عشر من تموز، والقوا القبض على اشراف المدينة ورؤسائها. وعذّبوهم ثم زجوا بهم في السجن. وارسلوا رجالا لا يعرفون للرحمة معنى واوصوهم بان ياتوهم بجميع المسيحيين مخفورين، لكي يهلكوهم بمختلف انواع الموت، ان لم يجحدوا ايمانهم.

ولما رأى يوحنان اسقف الكرخ ما حدث، كتب الى بطريرك انطاكيا يلتمس منه الصلاة لاجله ولأجل أبرشيته المنكوبة، لكي يساعدهم الله ويخرجهم من هذا الجهاد الذي دُعُوا اليه. اما يوحنان ذاته، فمنذ دخول طهمزجرد الى الكرخ في الخامس عشر من تموز حتى عشرين من آب لم يغادر الكنيسة، بل كان مع رعاياه في الكنيسة، وهم يبتهلون الى الله ليأتي الى نجدتهم . . . وفي تلك الايام، امر طهمزجرد بفصل الراعي عن رعيته وبالقائه في السجن مع جمع غفير من المسيحيين كانوا قد سبقوه اليه. وهناك اخذوا يضغطون عليه ويضايقونه لكي يسجد للشمس. وبينما كان يوحنان خارجا من الكنيسة في طريقه الى السجن، رأى الحاكم طهمزجرد، فقال له بصوت عال: «السلام عليك ايها الحاكم والمحكوم. السلام عليك ايها المؤدِّب والمؤدَّب، السلام عليك ايها المجوسي والمعترف والشهيد. الا زِدْ يا طهمزجرد، وألّفْ لك فرقة لكي تلاقي معها وجهَ الختن الذي دعانا الى ملكوته. فأرى انَك مثل شمعون الصفا ستُصلَب منكس الرأس في سبيل المسيح.» وكان بين المسجونين مع الطوباوي يوحنان اناس عظماء من عشيرة شهيرة في الكرخ، منهم اسحق بن هرمزجرد، واردشير بن ارزانيا، وابراهيم وسبعة آخرون معهم. فمنهم من ثبت في الحقيقة ومنهم من جحد. اما اسحق بن هرمزجرد، الذي كان في السجن في سبيل الحق، ففتح فاه وقال لطهمزجرد اقوالا نبوية شبيهة بما قاله له الطوباوي يوحنان: «يا طهمزجرد، انك مزمع ان تنال شهادة حسنة في سبيل الرب، فتكون عوض الذئب حملا، وتقدّم جسدك ذبيحة حية مقدسة مقبولة مرضية عند الله.»

ليشوع وبختيشوع مع ثمانية وعشرين من وجهاء الكرخ وامنائه . فاستشهد جميعهم في هذا اليوم الاول وهو الرابع والعشرون من شهر آب الموافق يوم الجمعة من الاسبوع السادس من سابوع الرسل .

وفي السبت التالي الموافق ٢٥ آب ، اخرجوا الى الموضع عينه الذي فيه استشهدت الفرقة الاولى من سكان الكرخ ثلاثة آلاف آخرين كُتبتْ اسماؤهم في سفر الحياة . وخرج طهمزجرد وامر باقامة مذبح ، واضطر اهل الكرخ الى تقديم الضحايا . الا ان هؤلاء الابطال صرخوا وقالوا له : «معاذ الله ان نترك المسيح الذي صار ضحية عوضنا ، فنذبح للشياطين الماردين . » وكلما اضافوا لهم التعذيبات ، ازدادوا صمودا وقوة بالمسيح . وكان بينهم كاهنان هما اسحق واسطيفانس مع آخرين من الاقليروس . فامر الحاكم برجم هؤلاء في المرتقى الواقع فوق قرية «كنار» . اما الراهبتان اللتان معهم ، وكانتا من الكرخ نفسه ، فصلبوهما في منتصف المرتقى ثم رجموهما على صليبيهما . واستشهدت الجماعة المباركة المؤلفة من ثلاثة آلاف في الموضع الذي فيه أُحرقتْ جماعة يوحنان في اليوم الأول . اما ابراهيم وشمعون ومعنا ، فاتوا بهم مقيدين بالسلاسل ، وحفروا لهم مواضع في اعلى المرتقى حيث رُجم اصحاب اسطيفانس ، وارسلوا جنودا رشقوهم بالسهام في المنخفض الذي كانوا جالسين فيه ، ثم احموا مسامير وغرزوها في بآبىء عيونهم مع مسامير اخرى محمرة بالنار ثقبوا بها اجسامهم . فاستشهد هؤلاء في اليوم الثاني وهو الخامس والعشرون من آب الموافق يوم السبت .

وفي الاحد ، وهو اليوم الثالث لاستشهاد المظفرين ، امر طهمزجرد فاخرجوا الى موضع الحكم ثمانية آلاف وتسعمائة واربعين شخصا اتوا بهم من القرى والمدن البعيدة والقريبة . وكان معهم مطرافوليط شهرقرد واساقفة لاشوم وماحوزا وخرْبة جلال واسقف بلدة دارا . وهناك اجلسوا الاساقفة وحدهم مكبلين بالسلاسل ، وشرعوا يستنطقون فرقا فرقا من تلك الجماعة الغفيرة من القديسين . وحينما اعترف جميعهم باسم المسيح ببسالة ، ورأى الوثنيون ان لهم رأيا واحدا ، عيّن الحاكم ثلاثة آلاف مجوسي من الذين لا يعرفون للرحمة معنى لكي ينكّلوا بهم . فقتلوا منهم بحد السيف ، ومنهم حرقا بالنار ، واخرون نُشروا ، وغيرهم رُجموا ، ودَسّوا في اعين آخرين

ومناخيرهم خلا وخردلا الى ان فاضت روحهم. وقصارى القول، قضى الوثنيون على تلك الجموع بمختلف وسائل التعذيب والتنكيل...

حينئذ أرسل احد الحكام الذين مع طهمزجرد الى الاساقفة المذكورين اعلاه، فجاء وسألهم: «من هو رئيسكم؟» فسكتوا جميعا. وكان ثمة غلام اسير وهو ابن ارملة من الكرخ اسمه «ديندوي». فقام هذا الغلام، وقال ببسالة لهؤلاء الآباء: «تشجّعوا يا آباءنا بالرب ولا تخافوا، واجيبوا الاعداء. والا فسلموا الرئاسة الى الكرخ، فنتقبل نحن عوضكم عذابات المضطهدين». وفي الحال، اتفق مطرافوليط شهرقرد والاساقفة الذين معه، وكتبوا كتابا وختموه بتوقيعهم، وقالوا: «بك تليق المطرافوليطية ايها الغلام، اذ قد صرت في هذه الساعة الرهيبة ايليا الثاني وداود الصبي.» ومن ذلك اليوم استقرت رئاسة المطرافوليطية في الكرخ. فوضعوا ايديهم عليه (رسموه) وباركوه بايديهم المكبلة بالقيود. ولما رأى الوثنيون ان المسيحيين ما زالوا بشهامتهم سائرين حسب قوانينهم دون خوف، قطعوا رؤوسهم بالسيف. وفي بادىء الامر قتلوا ديندوي ثم الاساقفة والذين معهم، وكان بعضهم من الكرخ وغيرهم من اماكن اخرى.

وكانت ثمة امرأة من عشيرة زادوق اسمها شيرين تخبز في البيت. فما ان بلغها خبر استشهاد هؤلاء القديسين، حتى تركت خبزها وعجينها، واخذت ولديها، احدهما على كتفها والآخر بيدها، وركضت والتقت الحاكم طهمزجرد في اسفل «حورا»، فامسكت بلجام حصانه واستحلفته باللغة الفارسية بالا يحرمها من تلك الطريق التي سلكها الشهداء. وتوقف الحاكم وقد تولاه الدهش من هذا الامر. وحاول ان يثني المرأة عن عزمها، ولكن دون جدوى. فامر بان يقطع رأسها ورأس ابنها الاكبر. اما الولد الصغير فارتمى فوق جثتي امه واخيه وصار يبكي ويأخذ من دمهما ويمسح به عينيه وجسمه. وكلما حاول الحاكم والوثنيون ان ينتزعوه ويقنعوه بالهدايا والكلمات الطيبة، كان يفلت منهم ويركض الى جثتي امه واخيه ويرتمي فوقهما ويقبّلهما باكيا. اذ ذاك اجهز هؤلاء القساة عليه ايضا.

بعد هذه المجزرة الرهيبة، فتح الرب عيني طهمزجرد فرأى سلما موضوعة على الارض ورأسها يبلغ السماء، وعليها يصعد جميع الذين قتلهم. وكان الرب واقفا في

اعلاها وهو يضع الاكاليل المجيدة فوق هاماتهم . وفي الحال طرأ تغيير مفاجىء على عقل الحاكم واختلجت فيه عواطف الندامة ، وصرخ باعلى صوته : «انني مسيحي !» وهكذا تمت النبوءات التي قيلت عنه . واخذ يرثي نفسه ويبكي ويبتهل الى المسيح كي يغفر له دم الشهداء الذي سفكه . . .

ولما سمع الملك يزدجرد ان طهمزجرد تخلى عن المجوسية واعترف بالمسيح ، امر باستنطاقه وتعذيبه . وبعد ان جربوا عليه السلاسل والتعذيب والسجن وشتى انواع العذابات ولم يتخاذل في جهاده ، امر الملك بان يُعلَّق على الصليب منكس الرأس . وهكذا استشهد الطوباوي طهمزجرد شهادة حسنة ، وذلك في يوم الاثنين الموافق الخامس والعشرين من ايلول . ولدى استشهاده ، صلى الى الله وطلب منه ان يساعد كل من يذكر اسمه ، وان ينجّيه من كل محنة ومرض .

وبعد ذلك ، بنى الطوباوي مارَوُن اسقف الكرخ ، مدفوعا بحب الله ، ديرا في موضع استشهاد اولئك القديسين ، واقام لهم ذكرى كل سنة في حرارة ايمانه . فهو مع مار بابوي الجاثليق عقدا مجمعا لاساقفة بيث كرماي وحدياب ، وكتبوا وحددوا بان يكون تذكار لهؤلاء الشهداء القديسين يدوم ثلاثة ايام ويمتد الى الجمعة والسبت والاحد من الاسبوع السادس من سابوع الرسل . ذلك لان مطرافوليط حدياب ايضا استشهد هناك ، وكذلك اسقف بيث نوهدرا واسقف معلتا والآخرون الذين معهم .

الفهرس

تآليف وترجمات الاب البير ابونا

● **سلسلة الفكر المسيحي**

١ - هل من تحريف في الانجيل؟ (عدد ١٤) - الموصل

٢ - الزواج المسيحي . (عدد ١٧) - الموصل

٣ - الكنيسة في ما بين النهرين (عدد ٣٤) - الموصل

٤ - تقدّم الشعوب (عدد ٤٤) - الموصل

٥ - تراثنا المسيحي (عدد ٥٢) - الموصل

● **سلسلة كلام الله (ترجمة من الفرنسية)**

١ - فجر الكنيسة (عدد ٣) - الموصل ١٩٦١

٢ - اله المساكين (عدد ٦) - الموصل ١٩٦٢

٣ - يسوع الكاهن الأوحد (عدد ١٣) - الموصل ١٩٦٥

٤ - في يد الله (عدد ٢١) جونية - لبنان ١٩٧٢

● **متفرّقات**

١ - الآراميون (ترجمة من الفرنسية) نشرت في مجلة سومر ١٩٦٣

٢ - افكار وخواطر للأخت اليزابيث الثالوث (ترجمة) - الموصل ١٩٦٣

٣ - كتاب الرؤساء لتوما المرجي (ترجمة من السريانية) - الموصل ١٩٦٦

٤ - سعادتي في الايمان (ترجمة) - الموصل ١٩٦٩

٥ - ماذا كان في البدء (ترجمة) - جونيه ١٩٧٠

٦ - ادب اللغة الآرامية - بيروت ١٩٧١

٧ - تاريخ الكنيسة الشرقية - ١ - - الموصل ١٩٧٣

٨ - تاريخ الرهاوي المجهول (ترجمة من السريانية الى الفرنسية) لوفان ١٩٧٤

٩ - أعطني قلباً مصغياً (ترجمة) - جونية ١٩٧٥

١٠ - اسهام في ملحق المعجم السرياني - العربي - بيروت ١٩٧٥

١١ - نشر كتاب (مقالات وقصائد مختارة) للخوري بولس بيداري - بغداد ١٩٧٧

١٢ ـ ترجمة رسالة البابا بولس السادس (من اجل اعلان الانجيل) ـ رومة ١٩٧٨
١٣ ـ الكرمل ـ بغداد ١٩٧٨
١٤ ـ التربية المسيحية (٣ كتب بالتعاون مع الاب جاك اسحق) ـ بغداد ١٩٧٩
١٥ ـ الصلاة في الحياة (ترجمة) ـ بغداد ١٩٧٩
١٦ ـ وعي الايمان (ترجمة بالتعاون مع الاب يوسف عتيشا) بغداد ١٩٨١
١٧ ـ صلاة المساء في العائلة ـ بغداد ١٩٨١
١٨ ـ القراءَة السريانية للصف الاول الابتدائي ـ بغداد ١٩٨١
١٩ ـ القراءَة السريانية للصف الثاني الابتدائي ـ بغداد ١٩٨٢
٢٠ ـ القراءَة السريانية للصف الثالث الابتدائي ـ بغداد ١٩٨٢
٢١ ـ يسوع المسيح الخبز المقتسم (ترجمة بالتعاون مع الاب يوسف عتيشا) بغداد ١٩٨٢
٢٢ ـ القديسة تريزة الكبيرة ـ بغداد ١٩٨٢
٢٣ ـ المسيحيون الاولون (ترجمة) ـ بغداد ١٩٨٢
٢٤ ـ اخبار نفس (ترجمة) ـ بغداد ١٩٨٣
٢٥ ـ يسوع صديقي (ترجمة) بغداد ١٩٨٣
٢٦ ـ القراءَة السريانية للصف الرابع الابتدائي ـ بغداد ١٩٨٣
٢٧ ـ القراءَة السريانية للصف الخامس الابتدائي ـ بغداد ١٩٨٣
٢٨ ـ القراءَة السريانية للصف السادس الابتدائي ـ بغداد ١٩٨٣
٢٩ ـ علّمنا أن نصلّي ـ بغداد ١٩٨٤
٣٠ ـ مار سبر يشوع ـ بغداد ١٩٨٥
٣١ ـ شهداء المشرق ـ ١ ـ ـ بغداد ١٩٨٥
٣٢ ـ العذراء مريم (ترجمة) ـ بغداد ١٩٨٥
٣٣ ـ الطوباوية اليزابيت الثالوث ـ بغداد ١٩٨٥
٣٤ ـ تاريخ الرهاوي المجهول (ترجمة من السريانية) ـ بغداد ١٩٨٥
٣٥ ـ تاريخ الكنيسة الشرقية ـ الطبعة الثانية ـ بغداد ١٩٨٥

(منشورات مكتبة النور)

(الصادرة عن لجنة نشر الكتب الدينية المكونة من آباء دومنيكان وكرمليين)

	السعر فلس / دينار
١ ـ هل كان يسوع سياسيا . . . تأليف الاب عبد السلام حلوة .	٠,٦٠٠
٢ ـ المسيحيون الاولون . . . تعريب الاب البير ابونا .	١,٠٠٠
٣ ـ يسوع صديقي . . . تعريب الاب البير ابونا .	٠,٧٥٠
٤ ـ القداس الكلداني . . . تأليف الاب جاك اسحق .	١,٢٥٠
٥ ـ اخبار نفس (قصة حياة القديسة تريزة بقلمها) . . . تعريب الاب البير ابونا .	٢,٠٠٠
٦ ـ براعم نور (قصص للاطفال) . . اعداد الاب يوسف حبي .	٠,٧٥٠
٧ ـ ان كنت تبحث عن الله . . . تعريب الاب يوسف توما .	٠,٧٥٠
٨ ـ المسيح الحي . . . تعريب الاب يوحنا عيسى .	١,٥٠٠
٩ ـ دليل الزواج . . . تأليف الاب يوسف عتيشا .	٠,٧٥٠
١٠ ـ علّمنا ان نصلي (صلوات) . . . اعداد الاب البير ابونا .	١,٠٠٠
١١ ـ الاسرار ينابيع الحياة . . . تأليف الاب يوسف عتيشا .	٢,٠٠٠
١٢ ـ طوباوية جديدة . اليزابيت الثالوث . . . تأليف الاب البير ابونا .	١,٢٥٠
١٣ ـ العذارء مريم . . . تعريب الاب البير ابونا .	١,٠٠٠
١٤ ـ شهداء المشرق . . . اعداد الاب البير ابونا .	٢,٠٠٠

(مطبوعات مكتبة النور)

	السعر
	فلس/دينار
١ - مع يوحنا على درب الصليب (١٩٨٤) اعداد الاب يوسف توما	٠,٧٥٠
٢ - لون معي حياة يسوع (الجزء الاول ١٩٨٤) اعداد الاب يوسف توما	٠,٥٠٠
٣ - همسات ابو فادي (١٩٨٥) بقلم جرجس القس موسى	١,٥٠٠
٤ - لون معي حياة يسوع (الجزء الثاني ١٩٨٥) اعداد الاب يوسف توما	٠,٦٠٠
٥ - يسوع المسيح نوري وحياتي (١٩٨٥) تأليف الاب يوسف عتيشا	

تحت الطبع

٦ - تاريخ الرهاوي المجهول

تعريب الاب البير ابونا

تآليف وترجمات الاب البير ابونا

أ - سلسلة الفكر المسيحي

١ - هل من تحريف في الانجيل ؟ (عدد ١٤) - الموصل
٢ - الزواج المسيحي (عدد ١٧) - الموصل
٣ - الكنيسة في مابين النهرين (عدد ٣٤) - الموصل
٤ - تقدم الشعوب (عدد ٤١) - الموصل
٥ - تراثنا المسيحي (عدد ٥٢) - الموصل

ب - سلسلة كلام الله (ترجمة من الفرنسية الى العربية) :

١ - فجر الكنيسة (عدد ٣) - الموصل ١٩٦١
٢ - اله المساكين (عدد ٦) - الموصل ١٩٦٢
٣ - يسوع الكاهن الاوحد (عدد ١٣) - الموصل ١٩٦٥
٤ - في يد الله (عدد ٢١) - جونيه ١٩٧٢

ج - متفرقات

١ - الآراميون (ترجمة من الفرنسية) : نشرت في مجلة سومر- ١٩٦٣
٢ - افكار وخواطر للأخت اليزابيت الثالوث (ترجمة) - الموصل ١٩٦٣
٣ - كتاب الرؤساء لتوما المرجي (ترجمة من السريانية) - الموصل ١٩٦٦
٤ - سعادتي في الايمان (ترجمة) - الموصل ١٩٦٩
٥ - ماذا كان في البدء (ترجمة) - جونيه ١٩٧٠
٦ - ادب اللغة الارامية - بيروت ١٩٧١
٧ - تاريخ الرهاوي المجهول (ترجمة من السريانية الى الفرنسية) - لوفان ١٩٧٤
٨ - اعطني قلبا مصغيا (ترجمة) - جونيه ١٩٧٥
٩ - تاريخ الكنيسة الشرقية - ١ - الموصل ١٩٧٣
١٠ - اسهام في ملحق المعجم السرياني عربي - بيروت ١٩٧٥ .
١١ - ترجمة رسالة البابا بولس السادس (من اجل اعلان الانجيل) - رومة ١٩٧٨
١٢ - الكرمل - بغداد ١٩٧٨
١٣ - التربية المسيحية (٣ كتب بالتعاون مع الاب جاك اسحق) - بغداد ١٩٧٩
١٤ - الصلاة في الحياة (ترجمة) - بغداد ١٩٧٩
١٥ - نشركتا (مقالات وقصائد مختارة) للخوري بولس بيداري - بغداد ١٩٧٧
١٦ - وعي الايمان (ترجمة بالتعاون مع الاب يوسف عتيشا) - بغداد ١٩٨١

١٧ – صلاة المساء في العائلة – بغداد ١٩٨١
١٨ – القراءة السريانية للصف الاول الابتدائي (مع لجنة) – بغداد ١٩٨١
١٩ – القراءة السريانية للصف الثاني الابتدائي (مع لجنة) – بغداد ١٩٨٢
٢٠ – القراءة السريانية للصف الثالث الابتدائي (مع لجنة) – بغداد ١٩٨٢
٢١ – القديسة تريزة الكبيرة – بغداد ١٩٨٢
٢٢ – المسيحيون الاولون (ترجمة) – بغداد ١٩٨٢

د – معدّة للطبع

١ – تاريخ الرهاوي المجهول (ترجمة من السريانية الى العربية).
٢ – كتاب قواعد اللغة الارامية.
٣ – كتب القراءة السريانية للصفوف الرابعة والخامسة والسادسة الابتدائية (مع لجنة في وزارة التربية).
٤ – تاريخ نفس – السيرة الذاتية للقديسة تريزة الطفل يسوع (ترجمة).